السنة السابعة ـ العدد ٧٣ ـ ربيع الأول ١٤٠٢هـ ـ يناير ١٩٨٢م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

السجد والآدم : خالد محمد خالد
العرب والعالم سنة ٢٠٠٠ : د. محمد جابر الأنصاري
حكاية الرحيل : قصة قصيرة بقلم الشهيد ماجد أبو شرار





ميرندا بطعم البرتقال الطبيعي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٧٣ ـ ربيع الأول ١٤٠٢ هـ ـ يناير ١٩٨٢ م

رئيس التحرير :

رجاء النقاش

هيئة التحرير

مدير التحرير : عبدالقادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

رئيس قسم دراسات الخليج
مرزوق بشير

التحرير

النور عثمان أبكر — عبدالله جابر
نادية رزق — ممدوح عبدالرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني:

محمد نبيل الحداد — نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان

أحمد عبدالله — علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المراسلات :

التحرير والادارة :
ص . ب . ب ٢٣٢٤
الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي :
المجلة ـ الدوحة
تليكس :
4521 MAGDO DH
تليفونية :
رئيس التحرير : ٢١٢٢١
مدير التحرير : ٢١١٢١
التحرير : ٣٢١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٣٢٧٥٣٨
جميع المراسلات :
ترسل باسم رئيس التحرير

الأسعار :

قطر ٤ ريالات
البحرين ٢٥٠ فلسا
الامارات العربية ٤ دراهم
عمان ٢٠٠ بيسة
الكويت ٢٥٠ فلسا
السعودية ٤ ريالات
الجمهورية اليمنية ٢٥٠ فلسا
اليمن الديمقراطية ٢٥٠ فلسا
العراق ٢٥٠ فلسا
المملكة الاردنية ٢٠٠ فلس
سوريا ٢٠٠ قرش
لبنان ٢٠٠ قرش
مصر ١٥٠ مليما
ليبيا ٣٠٠ درهم
السودان ٢٠٠ مليم
تونس ٣٠٠ مليم
الجزائر ٣ دنانير
المغرب ٣ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

الاشتراكات :

داخل قطر ٤٨ ريالا قطريا
بالدول العربية ٥٤ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ٦٠ ريالا قطريا
للدوائر الرسمية والشركات :
داخل قطر ١٠٠ ريال قطري
بالدول العربية ١٠٦ ريالات قطرية
في باقي دول العالم ١١٢ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

● المواد المرسلة لا تعاد الى مرسليها نشرت أو لم تنشر
● ما ينشر في المجلة لا يعبر بالضرورة عن رأي الوزارة أو المجلة

في هذا العدد


عبد الله جفري


د. جابر الأنصارى


خالد محمد خالد

● كلمة العدد : متى تنتهى هذه المأساة ؟ ..... رجاء النقاش ٥

● العرب والعالم سنة ٢٠٠٠ ..... د . محمد جابر الأنصارى ٦

● قالوا هـذا الشهر ١١

● اسـجدوا لآدم ..... خالد محمد خالد ١٢

● اللسـان لساني ، والمسافة ملكنا جميعاً ..... عبد الله جفري ١٦

● حلم الحضـارة ..... د . حافظ الجمـالي ١٨

● الالتزام الاخلاقي فى مجال التنمية ..... فؤاد كامـل ٢٢

● مي زيادة : حياتها ومأساتها ..... د . كمـال نشات ٢٦

● الانتظار « قصـة قصيرة » ..... يوسف الشاروني ٢٩

● عملية « أم القطن » التى اشعلت الثورة واضاعت الطريق .... عصـام شريح ٣٠

● قصة أول مدرسة اسلامية بنيت فى سيرليون ..... عبد العزيز سيد المصرى ٣٥

● ناس فى طريقى ..... عبد الله الشيتي ٤٠

● ليس بالسياسة وحدها يحيا المناضل ..... حسني شحادة ٤١

● حكاية الرحيل « قصـة » ..... بقلم الشهيد ماجد ابو شرار ٤٥

● وعن الماء نقول ..... درويش مصطفى الفـار ٤٧

● حتى لا يضيع التراث الشعبي فى الخليج ..... بشرى ناصر ٤٩

● صبابات « قصـيدة » ..... حسن طلب ٥١

● سمكة الفراشة ورحلة البحث عن الامان ..... صنع الله ابراهيم ٥٦

● العمانيون والبحر .. فى ملحمة اقتحام المجهول ..... عرض وتلخيص كمال سعد ٦٠

● المأساة هى ضمير كل فنان فلسطيني ..... نبيل خـالد الاغا ٦٧

● باريس تحتضن الفن الذى رفضته منذ ١٥٠ عاماً ..... نهى سماره ٧٠

● مازالت الناصرة فى البرتغال عربية ! ..... احمد العنـاني ٧٦

● الهلالي ابو زيد : رائداً وحكيماً ..... ابراهيم اسحق ابراهيم ٧٨

● هيمنجواي : علم نفسه الكتابة ثم اطلق على رأسه الرصاص جمـال الكناني ٨٣

● شهادة على عصر دموي ..... رءوف توفيق ٨٨

● حركة العاصفة والاندفاع فى الادب الالماني ..... د. عدنان رشيد ٩٤

● عيناها والصبر « قصة » ..... فاروق منيب ٩٦

● الخرطوم : مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الأفريقية .... جمال الغيطاني ٩٩

● أم الناس « قصيدة » ..... محمد المهـدي المجدوب ١٠٦

● أكثر الأحداث الفنية اثارة فى سينما العالم ! ..... مجدي نصيف ١٠٨

● مطلوب طبقة واعية من كتاب الدراما ..... محمـد فتحي ١١٥

● الشعراء ورحلة العمر القصير .. الجميل ..... د . الطـاهر احمد مكي ١١٨

● اضـواء ..... النور عثمان ابكر ١٢٤

● مكائد النساء والرجل المغفل فى عالم القصص ..... عبـاس خضر ١٢٨

● اجراءات حاسمة فى العالم للحفاظ على ذوات الدم البارد ... د . محمد الغباشي ربيع ١٣١

● ضحكات الشهر ..... صـلاح الليثي ١٣٦

● الشطرنج : حرب سلمية ..... ابراهيم السمان ١٣٨

● دوحة القراء ١٤٠

● استراحة الدوحـة ١٤٤

● الورقة الأخيرة : أول انسان عربى قال الشعر من هو ؟..... بقلم : حامد بدر ١٤٦

لوحة الغلاف بريشة : الفنـان حلمى التونى

كلمة

متى تنتهي هذه المأساة؟

في أوائل الشهر الماضي دخل شخصان يخفيان السلاح في ثيابهما إلى مكتب « المؤسسة العربية للدراسات والنشر » في مبنى « برج الكارلتون » في بيروت واستأذن الشخصان في مقابلة مدير المؤسسة « الدكتور عبد الوهاب الكيالي » ، ولم يكن هناك حرس حول الكيالي ، ولم تكن هناك صعوبة في لقائه ، فقد كان مكتبه مفتوحاً ، وكان بيته مفتوحاً ، وكان قلبه وعقله مفتوحين بغير قيد أو تعقيد ، ولكن الشخصين اللذين دخلا مكتب عبد الوهاب الكيالي ، كانا يحملان نية الغدر ، والغريب انهما لم يكونا على معرفة شخصية بالكيالي فقد سأله أحدهما : هل أنت الدكتور الكيالي ؟ فقال له : نعم أنا عبد الوهاب الكيالي . وهنا أخرج الشخصان المجهولان ما أخفياه من سلاح وأطلقا على عبد الوهاب الكيالي أربع عشرة رصاصة قضت عليه . وكان هذا هو اللقاء الأول بين القاتلين وبين عبد الوهاب الكيالي ، أي أن القاتلين لم يتعاملا مع الكيالي أبداً . وهما مع ذلك مكلفان من « جهة ما » لاغتيال هذا الانسان العربي الرائع الذي لا يعرفان عنه سوى ما قيل لهما من ضرورة اغتياله .

نحن أمام ظاهرتين : الأولى هي الغدر ، حيث يتسلل الغادر كأنه ضيف ، ثم يكشف فجأة عن وجه القاتل . أما الظاهرة الثانية فهي اطمئنان عبد الوهاب الكيالي إلى أنه لم يفعل أبداً أمايستحق من أجله أن يتعرض للأذى . إن « الكيالي » كاتب مثقف وطني عربي استطاع بحيويته وشبابه المتدفق وذكائه اللامع وإخلاصه العميق أن ينشيء داراً للنشر أصبحت في السنوات الأخيرة أكبر دار للنشر في الوطن العربي . ثم امتد نشاطه الثقافي والفكري إلى أوروبا ، فأنشأ في لندن مؤسسة لدراسات العالم الثالث . وكان يمد يده إلى الجميع ، ويعمل بكل ما يستطيع على خدمة الفكر العربي والثقافة العربية والقضايا الوطنية العربية ، وعندما بدأت الخلافات تشتعل كالحرائق المدمرة في الساحة السياسية العربية ، ابتعد عبد الوهاب الكيالي عن كل مناصبه السياسية وكان قد وصل إلى مناصب عليا وعلى رأسها عضوية اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومع ذلك فقد انسحب الكيالي من هذه المناصب البارزة ليتفرغ للعمل على الساحة القومية العامة ، من أجل هدف بعيد شامل أصيل أراد أن ينتقل من العمل



د. عبد الوهاب الكيالي

بالسياسية إلى العمل بالحضارة والثقافة ، وأراد أن يبتعد عن الميادين التي يختلف فيها العرب ، إلى ميادين الاتفاق ، والمصلحة المشتركة التي لا خلاف عليها . ولم يتردد عبد الوهاب الكيالي في خدمة أي كاتب أو مثقف عربي ، مشهوراً كان أو مجهولا ، كبيراً كان أم صغيراً ، ولم يتردد في العمل على نشر الانتاج الفكري العربي الجاد في كل مكان ، فكان يحمل الكتاب الذي ينشره إلى أي أرض تنطق باللغة العربية ، ولذلك أصبح « الكيالي » معروفاً ومحبوباً من الجميع ، وكان يتحرك باطمئنان وبلا خوف ، لأنه كان يشعر أنه يزرع الأرض للجميع ، ويعمل في النور والشمس الساطعة ، وينطلق من الحب لوطنه وشعبه ولا ينطلق من الخلافات أو تيارات الكراهية التي يفرضها اعداؤنا على النفس العربية ، حتى تتمزق هذه النفس من داخلها لا من خارجها ، وحتى تدمر نفسها بنفسها لا بايدي الاخرين. وقد أحاط « الكيالي » نفسه بمساعدين يسيرون على نفس الخط الذي يؤمن به ، خط الخدمة القومية العامة البعيدة عن الخلافات والصراعات ، وكان على رأس هؤلاء المساعدين أخوه الشاب المثقف الوطني الواعي « ماهر الكيالي » ، وكان من بين مساعديه أيضاً زوجته الأمريكية « سوزي » تلك السيدة الرائعة ، التي نشأت في أعلى طبقات المجتمع الأمريكي ثراء وجاها وسلطة ، وقد تعرفت بالكيالي فأحبته وتزوجته ، ومن خلال الكيالي آمنت بالعرب وقضاياهم وأصبحت « موسوعة » متحركة في المعرفة بالواقع العربي ، ثم أصبحت بعد ذلك صوتاً حياً صادقاً في دفاعه عن العرب وقضيتهم الأولى وهي قضية فلسطين .

وهكذا عاش عبد الوهاب الكيالي يعمل بقلمه وجهده المستمر الخصب في ميدان النشر ، والمؤسسات العلمية والفكرية ، وكان يعمل من أجل وطنه وقوميته وعروبته ، وكان الذين حوله يتعلمون منه كيف يعملون من أجل الوطن والقومية والعروبة ، وكان لا يفرق بين عربي وعربي إلا بمقدار إيمانه بعروبته وقوميته ، واستطاع أن ينتزع درجة الدكتوراه من الجامعات الانجليزية في موضوع كان المفروض أن ترفضه هذه الجامعات وهو « تاريخ فلسطين الحديث » وقد كتب هذا التاريخ من وجهة نظر وطنية صريحة ، وهي نفسها وجهة نظر الحق والعدل ، ولكنها وجهة نظر ما تزال مرفوضة من الجامعات ومراكز البحث في الغرب ، ومع ذلك فرض « الكيالي » امتيازه ونبوغه على الغربيين فمنحوه الدكتوراه في بحث يثبت أن وجهة النظر الغربية في القضية الفلسطينية خاطئة .

كان عبد الوهاب الكيالي مفكراً ووطنياً وصاحب قدرة نابغة على التأثير في الغرب ، بالاضافة إلى ما كان له من تأثير عربي واسع .

ومن هنا كان مطمئناً إلى أن أحداً لن يفكر في قتله ، ومن باب هذا الاطمئنان دخل عليه اثنان يتحدثان باللجهة اللبنانية وقتلاه . فمن القاتل هنا ؟ إن القاتل هو « الصهيونية » حتى لو كانت تخفي وجهها القبيح وراء قناع عربي مزيف ، فالصهيونية هي التي ترفض أن يكون العرب أقوياء بالسلاح أو بالثروة أو بالعلم أو النبوغ . ما أفدح الخسارة في وفاة هذا المثقف الوطني الكبير وهو في عز شبابه وانتاجه ونبوغه.

والسؤال الآن هو : متى تنتهي هذه المأساة ، ومتى يصبح « النبوغ العربي » آمنا من طلقات الرصاص الغادرة على الصدور المطمئنة الشريفة ؟ متى يصبح أصحاب الأقلام في أمان من أصحاب الأسلحة المخفية وراء الأثواب ؟

متى يصبح الحبر العربي خالياً من لون الدم الذي يسيل من الرأس والقلب ؟

متى يصبح الكاتب والمفكر الذي يمشي بغير حراسة ، محروساً من امته كلها ، كما ينبغي أن تفعل الأمم الحية مع أصحاب العقول الكبيرة ؟

متى تنتهي هذه المأساة في الوطن العربي .

متى ... متى ... متى ؟ !

رحباء النقاش

ماذا عن الرؤية المستقبلية للفكر العربي؟

العرب والعالم سنة ٢٠٠٠

بقلم الدكتور محمد جابر الأنصاري

تقع المنطقة العربية ـ الاسلامية فى قلب التفاعلات العالمية والانسانية شئنا أم أبينا . أقول فى قلب التفاعلات من الناحية المصيرية ، وليس فى قلب العالم من الناحية الجغرافية والاستراتيجية فقط ، كما هو مسلم به .

من هذه الزواية لا مفر من أن يكون العقل العربى والضمير فى قلب تلك التفاعلات أيضاً . ليس على مستوى الأحداث اليومية فحسب ، وانما على مستوى التطورات والمستجدات ـ واشدد على كلمة مستجدات ـ الفاعلة فى العمق ، والتى تعيد اليوم خريطة العالم الفكرية والاستراتيجية فى صياغة مستجدة من العلاقات والتوازنات بين القوى والأمم والأجناس بحيث نوشك أن نستيقظ فى الغد القريب على عالم جديد ، هو الذى يولد اليوم من رحم هذا العالم المتوتر بمخاض الولادة . كما نرى فى كل ساعة ، حروباً وعنفاً وخروجاً على كل ما هو مألوف وقلباً لكل ما هو متعارف عليه .



الرئيس الراحل جمال عبد الناصر



الرئيس رونالد ريغان

ونحن أمام هذه الدوامة إما أن نقع فى دوارها وفوضاها فنصاب باليأس والعجز والشعور المتشائم والمأساوى بعدم القدرة على التحكم فى المصير والاستسلام لكل ما يفرض علينا ، واما أن نتجاوز كل آلام المخاض العسير الطويل ، القاطع للأنفاس ، لنستشرف المشهد التاريخى بما يتجاوز منخفض الانحطاط ويأسه ، لنطل على الأفق الجديد الآتي مع الغد .. ونبصر معالمه التى نأمل أن تعيننا على رؤية أفضل .

ولقد أسهب الكتاب والمفكرون العرب فى الآونة الأخيرة فى تشخيص أدواء الواقع العربى ومعضلاته ، وهى عملية نحتاج اليها والى استمرارها بلاشك ، ولكن اكمالا لهذا التأمل المكثف فى وضع الذات العربية والواقع العربى من الضرورى أيضاً التأمل فى الصـــورة الانسانية الواسعة الرحبة من حولنا ، لأن العالم أصبح اليوم كما يقال بمثابة « قرية صغيرة واحدة » وهى حقيقـــة ستزداد رسوخاً فى الغد القريب مع تطور وسائل الاتصال والايصال الحديثـــة وظهور أنواع جديدة منها ذات طابع تغييرى جذرى للعلاقات بين البلدان والدول والأفكار والتراثات ، بل بالنسبة للتأثير على سلوك الانسان ونشاطه العقلى .

ودون أن نسهب فى وصف هذه الظاهرة ـ ظاهرة الانقلاب المذهل فى علم الكمبيوتر ومشتقاته الايصالية والتأثيرية ـ يكفي أن نشير الى أن أبرز معضلة تواجه العلماء فى الدول المتقدمة اليوم هى كيفية التوصل لاختراع أجهزة تقاوم الشلل الذى يمكن أن تحدثه أجهزة العدو فى جميع انظمة الدفاع وانظمة الطاقة وانظمة الانتاج فى دولة من الدول إذا أريد لهذه الدولة أن تقع فى حالة من الشلل التام لبعض الوقت يفعل خلاله العدو ما يريده بها وهى فى حالة شلل كامل للارادة والقدرة والرد ، بل لفهم ما يدور حولها وما يجرى بداخلها ، وليس بعيداً عن الذاكرة ما تواردته الانباء قبل مدة ليست بالبعيدة عن ظهور اجسام غريبة طائرة فى اجواء دولة عربية نفطية ، أو اكثر ، وكيف ان أجهزة الضخ توقفت عن الحركة فى فترة اقتراب الجسم الغريب منها .. ثم اختفائه دون القدرة على معرفته .

هذا لمجرد التذكير بمدى قدرة الكمبيوتر الحديث على قلب العلاقات البشرية وخلط الأوراق بعضها ببعض والتقريب بين أطراف العالم ، وجعل كل طرف فى حالة ارتباط لا فكاك منه بما تفعله الأطراف الأخرى وبما تخطط له وبما تتعرض له من تطورات ، وذلك بما يتجاوز جذرياً كل ما أحدثه اختراع القطار والباخرة والطائرة والراديو من تغييرات فى الفترات السابقة ستبدو متواضعة جداً بالنسبة للانقلاب الالكترونى الحالى والمقبل فى القريب .

وفى الحالة هذه ، فانه من الحكمة أن نتنبه ، وبقوة ، الى ان علم الكمبيوتر ليس هو أجهزة الفيديو التى نســـتمتع بتشغيلها كل ليلة مع شرب الشاى ـ وغيره ـ ومع تسالى السمر الأخرى «وأنه ليس بالمبالغة ولا المثالية المطالبة بتأسيس هيئة عربية عليا تشرف على الاسراع بغرس وتجذير علم الكمبيوتر وصناعته فى الوطن العربى ، كي لا يفوتنا هذا العلم الجديد أيضاً ، كما فاتنا من قبل علم الذرة وعلم الطاقة وغيرهما من علوم العصر » .

العرب والعالم سنة ٢٠٠٠

واذا كنا نطالب أهل الحل والعقد في الوطن العربي بذلك ، فانا نطالب انفسنا كمثقفين ومفكرين وباحثين ، ان ننتقل في قفزة نوعية من علوم الماضي الى علم المستقبل ، بحيث ينشأ لدينا في الفكر العربي « تيار مستقبلي » يعمل جاهداً على استبصار حقائق الغد حتى لا تفاجئنا بغرابتها وبمرارتها وبعجزنا عن مواجهتها ، كما فاجأتنا في الفترات السابقة وبشكل متكرر . وغني عن البيان ان هذا العلم المستقبلي هو الأكثر رعاية ودعماً في الأوساط القريبة من قادة الدول المتقدمة ومؤسساتها الحاكمة أو المختصة بصناعة القرارات المصيرية .

بعد هذا التوقف الذي لابد منه لتبيان أهمية « علم الكمبيوتر » و « علم المستقبل » نعود الى موضوعنا الأساسي وهو استشراف واستبصار الصورة الانسانية الرحبة المحيطة بوطننا العربي وعالمنا الاسلامي ، بما تحمله من معالم الغد القريب للعلاقات والتوازنات الأممية وبما تخبئه من تقلبات في مجرى الحضارة العالمية كلها .

لتكن محطتنا الأولى في هذه الرحلة الاستكشافية : أوربا .

ففي هذه القارة القديمة المتجددة تتولد ملامح مهمة من الغد الآتي . في أوربا الشرقية ثورة [illegible] النظام الماركسي التقليدي وعلى الـ [illegible] لة الشيوعية الرسمية وتطلع جريء الى نظام آخر . وما يحدث في بولندا بالذات قلب لكل مسلمات ومعطيات النظرية الماركسية . فهاهم « العمال » يتحركون ضد « دولة العمال » كما تسميها الماركسية ، ويطالبون بالحرية قبل الخبز ، بل يذكرون العالم ان الخبز أيضاً لم يعد متوفراً في ظل النظام الذي قام اصلا ـ واكتسب مبرر وجوده ـ من العمل على توفير الخبز !

على الضفة الأوروبية الأخرى ، تخرج الجموع اليوم لتتظاهر في هولندا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا ضد « الحليف الأميركي » ولتقول « لا » عريضة للمظلة الأطلسية كما تريدها أمريكا ، وللسلاح النووي الذي تريد امريكا ان تزرعه على امتداد القارة الأوربية . يحدث هذا مع ميل بلدان أوربية عريقة في رأسماليتها الى النظام الاشتراكي المتميز عن الرأسمالية الأمريكية واتجاهاتها ، ومع بروز لتيارات أوربية غير معهودة منذ ما قبل الحرب العالمية الأخيرة ، تتراوح بين النازية الجديدة ، والحيادية على طريقة العالم الثالث وهي الفكرة التي تستقطب أوسع التأييد .

وقبل الاستطراد في شرح هذه الظاهرة يلح علينا الآن سؤال نود طرحه على عالمنا العربي ودوله وأهل الرأي والقرار فيه :

● إذا كانت أوربا ، التي هي أوربا بكل طاقاتها وحضارتها ، ترفض مقولة التقسيم بين نفوذ سوفياتي ونفوذ أمريكي ، وبين نظام سوفياتي ماركسي ، ونظام أمريكي رأسمالي ، فهل هو الوقت المناسب لنا نحن العرب أن ندخل من جديد في استقطاب ثنائي حاد يمزق وحدة وطننا ووحدة إرادتنا واستقلالنا بين معسكر سوفياتي ومعسكر أمريكي ، وبين نظرية ماركسية ونظرية رأسمالية ؟

هل يجوز أن نقيد انفسنا بصيغ قديمة يخرج عليها العالم المتقدم ، كالأمم الأوربية التي أخذت اليوم تطالب بالحياد وعدم الانحياز ، وهي الفكرة التي خرجت من قلب العالم العربي قبل ثلاثين سنة على يد القائد العربي جمال عبد الناصر يوم كان العالم منقسماً الى شرق وغرب ؟ نطرح هذا السؤال ، ونحن أقرب الى التفاؤل بالغد ، لأن مصر العربية ، القلعة التاريخية والمستقبلية للوحدة العربية وللحياد الايجابي وعدم الانحياز ورفض منطق تقاسم النفوذ والمعسكرات الدولية ، قد عادت لتأكيد ايمانها القاطع بفكرة الحياد وعدم الانحياز على لسان قيادتها الجديدة ، آملين أن يتمكن العرب جميعاً من العودة الى ممارسة هذه الفكرة بالعمل والفعل .

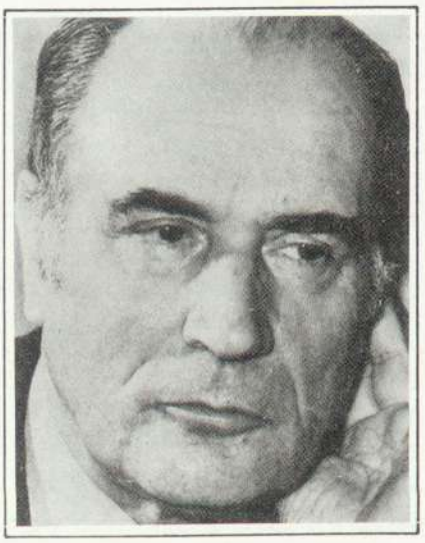
أما بالنسبة لايمان أوربا الجديد بفلسفة الحياد ، فلقد بلغ الأمر الى حد طرح فكرة توحيد ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية في دولة حيادية متحدة ومستقلة عن النفوذين السوفياتي والأمريكي معاً . وهي فكرة تجد لها صدى عميقاً في الشعور الألماني في القسم الشرقي والغربي على حد سواء .

ويرى الكاتب الدولي بول إردمان ، مؤلف كتاب « انهيار ١٩٧٩ » ـ الذي تنبأ فيه قبل سنوات بالتطورات الايرانية وحرب الخليج ـ يرى في كتاب جديد له صدر مؤخراً بعنوان « أيام أمريكا الأخيرة » بأن الولايات المتحدة ستضطر ان آجلا أو عاجلا الى ترك أوربا وشأنها أو الى تخفيض تورطها العسكري في الساحة الأوربية ، على أقل تقدير . وان هذا سيحدث ليس بسبب المعارضة الأوربية الشعبية والرسمية المتزايدة للهيمنة الأمريكية ، وانما أيضاً بسبب الأزمة التي يعاني منها الاقتصاد الأمريكي وبسبب تحول الولايات المتحدة

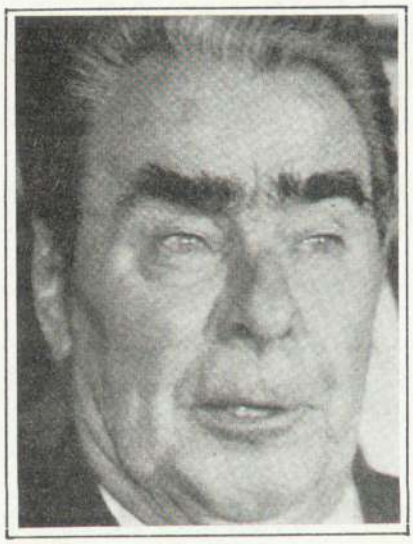
من قوة اقتصادية عظمى كانت تتحكم فى اكثر من نصف الاقتصاد العالمى حتى الخمسينات الى قوة فوق المتوسطة بقليل لا تسيطر على اكثر من خمس الاقتصاد العالمى فى الوقت الحاضر . وهذا يجعلها أمام خيار لا مهرب منه : إذا أرادت حل مشاكلها الاقتصادية فيجب أن تقلل من حجم انفاقها العسكرى الهائل فى أوربا بالذات . وعليها أن تختار فى النهاية : إما انقاذ الاقتصاد الأمريكى بالجلاء عن أوربا ، وإما البقاء فى أوربا والاستمرار فى تفاقم الأزمة الاقتصادية ومواجهة انعكاساتها على مختلف أوجه الحياة الأمريكية .

والرئيس ريغان سيحكم التاريخ له أو عليه ، وسيقف أو سيسقط بمدى قدرته على التخفيف من هذه الأزمة الاقتصادية فهل سيستمر هو ـ وخلفاؤه ـ فى ممارسة تصعيد التواجد العسكرى الأمريكى فى القارة الأوربية ؟

أما الاتحاد السوفياتى الذى يعانى من مشكلات اقتصادية وغذائية اعترف بها الرئيس برجنيف نفسه ، فانه سيرحب بفكرة ألمانيا الموحدة وأوربا المحايدة وسيقبل باجراء تخفيض فى قواته المواجهة لأوربا ، لأن ذلك سيريح خاصرته الغربية وسيمكنه من تقوية خاصرته الأخرى المكشوفة فى الجنوب الشرقى ، أى بمواجهة الصين والشرق الأقصى . حيث سيتحالف هناك مع تايوان (الصين الوطنية) التى بـــدأ الأمريكيون بالتخلى عنها تدريجياً ، وسيحولها الى قاعدة ثابتة للأسطول السوفياتى فى بحر الصين ، بالاضافة الى توثيق تحالفه مع فيتنام التى دخلت فى حرب ضد الصين أيضاً وهذا سيؤدى



فرانسوا ميتران



بريجينيف

بدوره الى زيادة التقارب الاستراتيجى بين الصين الشعبية والولايات المتحدة ، وبين الصين واليابان اللتين تمثلان تكنولوجياً وبشرياً ـ معاً ـ القوة الضاربة للجنس الأصفر ، أو الكتلة الصفراء التى نرى انها على وشك استلام قيادة الحضارة العالمية من الجنس الأبيض فى مطلع القرن الحادى والعشرين . هذه حقيقة مستقبلية تستحق فى نظرنا تأملا طويلا .

وفى البداية فان الولايات المتحدة ستستخدم هذه « القوة الصفراء » فى مواجهة « القوة الروسية » وستمدها بالدعم والخبرة لتحقيق ذلك ، ولكنها ستكون قد ارتكبت خطأ تاريخياً فاحشاً آخر لأن القوة الصفراء ستعرف فى النهاية ـ بما لديها من ذكاء وتنظيم وقدرة على الانتاج والتحدى ـ كيف تستخدم الدعم الأمريكى لتصفية نفوذ روسيا وأمريكا ـ معاً ـ أى تصفية نفوذ الجنس الأبيض فى آسيا والشرق ، ليبدأ عهد التفوق الأصفر ، عهد قيادة الجنس الأصفر للحضارة البشرية ، بعد قرون من السيطرة البيضاء على مقدرات الكرة الأرضية ، وما « المعجزة اليابانية » غير ارهاص بذلك .

أما الأجناس السمراء والسوداء ـ والعرب منهم ـ فان الطريق ما يزال أمامها طويلا وشاقاً ووعراً . لأن الجنس الأصفر قد سبقها الى اكتساب مقومات الحضاوة الحديثة ـ كما نرى فى هذا التفوق اليابانى التكنولوجي الهائل وفى العمل المنظم المنتج الذى تمارسه شعوب الشرق الأقصى الصفراء ـ واذا ما أردنا أن نهيىء لأنفسنا مكاناً تحت الشمس فيجب علينا أن نتعلم بتواضـــع من اليابان والصين وكوريا كيفية قدرة

العرب والعالم سنة ٢٠٠٠

شعوب الشرق على استيعاب التقنية الحديثة وكيفية تحويل الفرد والمجتمع الى قوة عاملة منتجة قادرة على تجاوز التواكل والاعتماد على الغير والميل المسرف إلى الاستهلاك ، وهى الصفات التى تتصف بها مجتمعات عربية كثيرة حتى يومنا هذا ـ للأسف ـ رغم كل التحديات التى تحيط بنا .

أما ما يقوله بعض المفكرين العرب بأننا نحن المؤهلين لتولي القيادة بعد الجنس الغربى الأبيض ، فأرجو أن يكون صحيحاً ، ولكنى لا أرى له أى سند موضوعى على ضوء استمرار تباطئنا وسرعة صعود القوة الصفراء الى مسرح التأثير والفعل .

غير ان العرب يمكنهم الاستفادة من هذا التحول فى ميزان القوى بين القوة البيضاء والقوة الصفراء .

فالقوة الغربية البيضاء بحكم طبيعتها التاريخية والعقيدية والاستعمارية قوة معادية للعرب والاسلام ـ فى التحليل النهائى ـ مهما كان الطابع « الدبلوماسي » الذى تغطى به حقيقة مشاعرها فى التعامل المصلحى مع العرب والمسلمين . وهى القوة التى أقامت اسرائيل بالاكراه والعنف والقهر على الأرض العربية ، وهى القوة التى مازالت تساند عدوانها وتتحالف معها استراتيجياً ضد اية ارادة عربية يتوفر فيها الحد الأدنى من مقومات الاستقلال والكرامة .

أما القوة الصفراء فانها غير ملتزمة تاريخياً ومصلحياً وشعورياً بالفكرة الصهيونية وباهداف الكيان العدوانى فى فلسطين المحتلة ، وهى أقرب للعرب بحكم الرابطة الشرقية والجوار التاريخى الطويل والرغبة فى مقاومة السيطرة الغربية .

لذلك فان الفكر الاستراتيجى العربى المستقبلى مطالب بأن يدرس « الظاهرة الصفراء » ككل فى اليابان والصين وكوريا وفيتنام وألا يكتفى بدرس « الاعجوبة اليابانية » لأن هذه الأعجوبة على ضخامتها ليست سوى العنوان والمؤشر لصعود القوة الصفراء الهائلة ، كما كانت النهضة الايطالية قبل أربعة قرون عنواناً لنهوض الجنس الغربى الأبيض كله فيما بعد ..

والأهم من دراسة الظاهرة ، الانتقال الى رسم ملامح التحالف المستقبلى بين العرب وهذه القوة الجديدة الصاعدة التى ربما أصبحت حليفهم الحقيقى فى مواجهة العدوان الصهيونى وتصفية النفوذين الروسى والأمريكى فى المنطقة العربية ، إذا عرفنا كيف نستفيد من خبرة القوة الجديدة وفهمنا تطلعاتها واندفاعاتها ، كما فهم اليهود كيف يستفيدون ، منذ اكثر من قرن من القوة الغربية البيضاء فى تحقيق مخططاتهم .

ونأمل ان نتمكن من تقديم دراسات اكثر تعمقاً فى المستقبل لظاهرة القوة الصفراء ودورها العالمى فى القرن الحادى والعشرين على صفحات مجلة « الدوحة » الهادفة دائماً لمتابعة هموم وآمال وطنها العربى الكبير بأسلوب البحث والعرض الهادىء والفكرة المبتكرة مع الالتفات بصفة خاصة ـ فى تلك الدراسات ـ الى ملامح التحالف الممكن بين العرب وتلك القوة فى عالم الغد الجديد .

ولتحديد معالم هذه الجولة الاستكشافية فى العالم الانساني الرحب من حولنا ، نلخص رؤيتنا الاستراتيجية المستقبلية فى الملامح الهامة التالية :

أولا : تضطر القوتان الأعظم ـ أمريكا وروسيا ـ بحكم أزماتهما الاقتصادية والاجتماعية الداخلية الى التقليل من تدخلهما فى الشئون العالمية لمعالجة مشاكلهما الخاصة . هذا يخفف ضغطهما على شعوب العالم الأخرى ، ويترك لهذه الشعوب شيئاً من حرية التحرك والتحكم فى المصير بعيداً عن التقاسم المتكرر للنفوذ بين العملاقين .

ثانياً : تبرز أوربا كقوة محايدة ، وتتوحد ألمانيا فى قلبها وتبتعد أوربا الشرقية عن موسكو ، وأوربا الغربية عن واشنطن ، فى ظل نوع من الديغولية الجديدة الشابة التى تؤكد الاستقلال والحياد الأوربى بين العملاقين . وتصبح أوربا فى هذه الحالة اكثر قرباً من شعوب العالم الثالث وأكثر تفهماً لها وتفاهماً معها كما يبدو من سياسة الرئيس الفرنسى ميتران فى الوقت الحاضر . ويمكن للعرب الاستفادة من أوربا المحايدة بشكل أفضل نسبياً من أوربا الحالية الممزقة بين المعسكرين الدوليين .

ثالثاً : غير ان القوة الدولية الأهم ، قوة المستقبل ، قوة القرن الحادى والعشرين ستكون القوة الصفراء (اليابان ، الصين ، كوريا ، فيتنام) التى ، ستتولى قيادة الحضارة فى وقت غير بعيد .

رابعاً : ان المنطقة العربية الاسلامية مازالت فى مخاضها الطويل ، ولكنها توشك أن تحسم أمرها فى صيغة حضارية واستراتيجية جديدة تؤكد خصوصيتها واستقلالها بين القوى ، وبامكانها التحالف مع قوة الشرق الجديدة لضرب النفوذ الأبيض الجاثم عليها ونقصد به النفوذ الأمريكى ـ الروسى ـ الصهيونى . غير ان دراسة تطورات المنطقة العربية الاسلامية تحتاج بدورها الى ابحاث معمقة تقع خارج نطاق هذا البحث الذى قصدنا ان يكون مجرد طرح أولى لبعض الأفكار ذات الطابع المستقبلى ونحن نستقبل فصلا جديداً فى تاريخ الانسانية ، نأمل ان تكون امتنا العربية ، رغم آلامها ، بل من خلال آلامها ، إحدى القوى الخيرة التى ستصنعه بالكد والعمل والابتكار والتقدير لكرامة الانسان .

د. محمد جابر الأنصارى
باريس

قالوا هذا الشهر

● كلما غنيت باسم امرأة
أسقطوا قوميتي عنى وقالوا :
كيف لا تكتب شعراً للوطن ؟
فهل المرأة شيء آخر غير الوطن ؟
آه ... لو يدرك من يقرأنى
أن ما أكتبه فى الحب
مكتوب لتحرير الوطن

نزار قبـانى


نزار قبانى

● لماذا لا أرشح نفسى لرئاسة الجمهورية فى لبنان .. فأنا مارونى وزوجتى كاثولويكية من « زحلة » !!

فيليب حبيب ـ مبعوث الرئيس
ريجان إلى الشرق الأوسط والمعروف أنه من أصل لبنانى

● لاشك أن نسبة القراءة قد قلت فى انحاء العالم وهذا يؤثر فى توزيع الكتب . وقد وجد الجيل الجديد أنه من السهل الجلوس أمام التليفزيون من أن يفتحوا كتاباً يقرأونه ، وحتى العلوم التى تدرس فى المدارس أصبحت تذاع فى التليفزيون وتسجل فى الفيديو وكأنها تريد أن تقول لنا : نحن فى طريقنا لالغاء الكلمة !

احسان عبد القدوس


احسان عبد القدوس

● لقد أغلقت صفحة الماضى ولن أتحدث عن ما حدث فى تجربة ٩٠ يوماً فى السجن ، ولكننى أسأل نفسى هل كان فى وسعى أن أكتم تجربتى لو لم يكن الرئيس حسنى مبارك قد قابلنى ؟ وقال : علينا جميعاً أن نطوى صفحة لنبدأ صفحة أخرى .. إذن فهذا على ما فيه من شجاعة أدبية فيه أيضاً ذكاء سياسى .

محمد حسنين هيكل


محمد حسنين هيكل

● يا امرأة .. تتمنى أن أحررها فى حين أبحث عن أنثى تحررنى !

نزار قبانى

● الأخطر من الحضارة الغربية التى هى بالنسبة لى عبث .. هو تقليدها .

أحمد بن بيللا

● لو كنت حاكماً عربياً لوقفت فى مؤتمر القمة العربى واختصرت كل خطابات العالم بكلمة واحدة أقول فيها !
« أيها السادة : اغلقوا ملفاتكم وتعالوا ننضم إلى أهالى الضفة الغربية » .
ولكننى لست حاكماً عربياً ..

نبيل خورى


نبيل خورى

● إذا لم يوجد حزم قوى يربط الجماهير بحركة الحياة ، أى بأعمـــالهم التى يرتزقون منها بحيث يحترمون هذه الأعمال مهما كانت قيمتها وصورتها ، ستضطرب الأمور وتأتى المشاكل ..

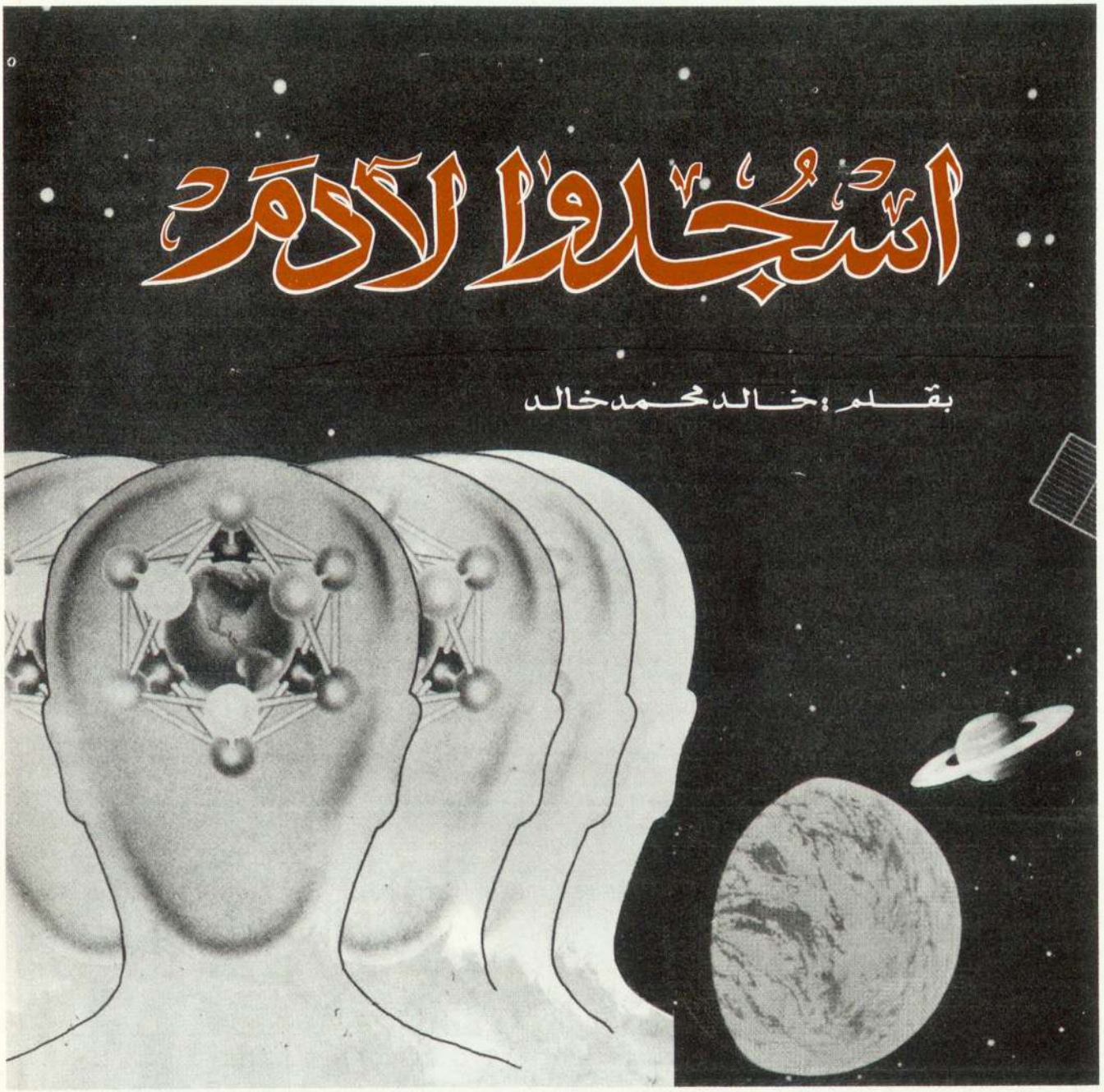
الشيخ محمد متولى الشعراوى

● إذا نجح مشروع السلام السعودى عربياً فسوف يحرج الولايات المتحدة دوليا

محمود عباس « أبو مازن »
عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين

اسجدوا لآدم

بقلم : خالد محمد خالد



كم هو رائع وباهر وعظيم .. هذا الانسان !!

درة الخليقة ، وأستاذ الحياة .. الانسان ..

هذا الاسم ، ذو الرنين الصادق ، الفاتن ، العذب ، المثير ..

هذا المخلوق الكبير الذى اؤتمن على أمانات الحياة وواجباتها ..

هذا المسافر الذى لا يضع عصاه عن كاهله لحظة ، والذى يولي وجهه دوماً شطر كمال بعيد ..

هذا الانسان فى علمه وجهله .. فى ثرائه وفقره .. فى حريته وأغلاله .. فى تقواه وفجوره .. فى صحته وسقمه .. فى أمله وألمه .. فى عظمته وبؤسه ..

هذا الذى سواه الله بيديه ، واصطنعه لنفسه ، ونادى ملائكته كى يسجدوا له !!

كم هو رائع ، وباهر ، وعظيم .. !!

أعطى الأرض والوجود والحياة .. ومنذ بدأ وثمت من الأعماق البعيدة نداء

لا يفتأ يتردد ويهيب به ؛ كى يواصل السير ، ويرفع مراسيه ، ويبحر الى المستقبل العظيم .

سار مع القدر ، ومع الحظ ، ومع الذكاء ..

زامل اليأس ، وزامل الرجاء ..

ذاق مرارة الاخفاق وحلاوة الظفر ..

عاش بين السفوح وتذرى القمم ..

واجه الفجائع ، وعانق المباهج ، وسار على الشوك حافياً وعانى الصقيع عرياناً

وفى كل هذا وذاك كانت راية الأقدام تخفق عالية فوق قافلته التى راحت تحتدم شوقاً ، وتتضرم أملا ، وتتفجر عناء وذكاء وعزماً ..

وكان أروع ما فيه ، وأعظم خصائصه الشوق ..

أجل ـ كان الشوق رائده ، وحافزه .. ومن كل ظفر عظيم يتاح له تحقيقه ، كان ينبعث شوق جديد لظفر قادم ، وتعروه غبطة جديدة بمسئوليات تالية ..

كم تمنيت لو كنت شاعراً ؛ لأنظم فيه القصيد ، وأغنى لعظمته الفائقة .. فأنا من عشاق الانسان ، العاكفين على حبه ، المأخوذين بعظمته ، المفتونيـــن بأسراره .. !

● ●

هذا الانسان كون عجيب لايزال مجهولا . وما أوتينا من العلم به إلا قليلا.

ولقد ذهب علماء الدين ، وعلماء النفس ، وعلماء الحياة يجوسون خلال تلك القارة الغامضة ولايزالون يفعلون ..

أما الدين فقد رأى فى «الانسان» رأى الحق حين أعلن أنه «خليفة» الله فى الأرض .. والجرم الصغير الذى انطوى فيه العالم الكبير ، وهو مجلى مشيئة الله ، ومظهر عظمته واقتداره .

ويجيء العلم ـ علم الحياة ، وعلم النفس ، وعلم وظائف الأعضاء ـ فيضع الانسان تحت مناظيره ومختبراته ، فتفجأه أسرار وألغاز لا تؤذن بانتهاء !!

يقول العالم الدكتور «الكسيس كاريل» فى كتابه «الانسان ذلك المجهول» : «إننا لا نفهم الانسان ككل .. إننا نعرفه على أنه مكون من أجزاء مختلفة . وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا . فكل واحد منا عبارة عن موكب من الأشباح . تسير فى وسطه حقيقة مجهولة .. وواقع الأمر أن جهلنا مطبق .. فأغلب الأسئلة التى يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشرى ، تظل بلا جواب» .. !!

إن هذه الكلمات لا تعنى أن العلم عاجز ، إنما تعنى أن الانسان حقيقة ضخمة وعالم كبير ، وأنه ليس من البساطة بحيث تكفى لادراكه تلك الجهود التى بذلت .. بل لابد من مواصلة مضنية لمحاولات فهمه ، وكشـــف حقيقته !!

ولابد أيضاً من ترويض أنفسنا على تقبل الملاحظة الموضوعية التى تجعل الانسان موضوع سعيها ، والتى تعطينا نتائجها أصدق صورة لحقيقة الانسان ..

إن الدين ، والعلم ، والفلسفة ، والفن ، والأدب .. قد أبلوا جميعاً بلاء صادقاً فى تمهيد الحياة للانسان وتعبيد طرائقها .. أو قولوا : إن الانسان عن طريق هذه القوى قد وطأ أكناف الحياة لنفسه ، وعن طريقها جلى ذاته وأظهرها . ولايزال يجليها ويظهرها ..

وإن كلمة «إنسان» لتبلغ من الدفعة مبلغاً يجعل كل اضافة لها لغواً .. وتبلغ من السمو مبلغاً يجعل نعتـــه بـ «السوبرمان» فضولا .. «السوبرمان» وصف نخلعه على الانسان لنرضى به جهلنا بحقيقة الانسان ، ولنعبر به عن أمنيات عزيزة ـ وإن تك طيبة ـ لمستقبلنا نحن البشر .

ولكن ، لماذا «السوبرمان» . ؟؟

لماذا الانسان الأعلى . ؟؟

أولا يكفى أن يكون «الانسان» وحسب ؟

وهل وجد الانسان حتى نتعجل مجيء الأعلى ؟!

فى رأيى أن الانسان لم يتم بعد ظهوره واكتماله .. وهو حين يتم ظهوره يجيء متضمناً كل كماله . ويصير وصفه بالأعلى شبيهاً لوصفنا الشمس بالمضيئة !!

ونحن نخشى أن تخدعنا كلمة «السوبرمان» عن حقيقة الانسان التى يجب أن نتقبلها ونحترمها بكل ما فيها من طين ونور .. وأشواك وأزاهير ..

إن الناس الذين عاشوا فى العصر الحجرى ، والذين سيجيئون بعد عصر الفضاء ، سواء فى التمجيد والتكريم .

والانسان فى بداية تطورنا على الرغم من جهله وعجزه ، لا يقل شأناً عن الانسان القادم فى نهاية التطور مع شموخه وسموقه .. بل إن الانسان القادم متضمن الانسان الذاهب .. وهو ابنه وحفيده ..

من أجل هذا نولي وجوهنا فى هذا الحديث شطر الانسان . الانسان الذى ليس أدنى ، وليس أعلى .. والذى لا يترك الى جواره فراغاً لأى وصف يتعاظم قدر الانسان .

الانسان ، الذى بدأ ظهوره ، ولم يتم بعد ، والذى يتجلى شيئاً فشيئاً ، سائراً عبر نفسه .. طاوياً أعماق كيانه الأزلى أو الشبيه بالأزلى على كل إمكانات تفوقه وكماله .

هذا الذى يحول بؤسه الى عظمة ، ورذائله الى فضائل ، وعجزه الى قوة ، وانحطاطه الى رفعة ..

هذا الذى يفرغ أمسه فى يومه ، ويهدى يومه الى مستقبله .

هذا الذى عندما تجلى فى سقراط وأفلاطون ، وعمر بن الخطاب ، وماركوس أوريليوس ، وبوذا ، وغاندى ، وهيجل ، وابن سينا ، وشكسبير ، والمعرى ، واينشتاين ، وابن الهيثم ، وديكارت ، وابن رشد ، والفارابى ، والمئات من أمثالهم ـ لم يكن يعنى أنه حقق بهذا التجلى كماله .. بل كان يعنى أن يختبر معازفه التى ستعزف ذات يوم



هذه العبقريات جميعها وغيرها كانت «عينات» تجلت فيها قدرة الانسان على اكتشاف طبيعته وإهداء يومه الى مستقبله .. من أجل الانسان .


سقراط


افلاطون

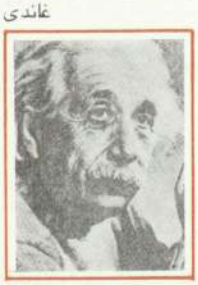

بوذا


غاندى


هيجل


ابن سينا


شكسبير


اينشتاين


ابن الهيثم


ديكارت


ابن رشد


الفارابي

والى الأبد «سمفونية» وجوده ، واللحن العبقرى العظيم لحياته الوافدة الصامدة الصاعدة .. !!

أجل ـ كانت هذه العبقريات جميعها « عينات » يكتشف بها طبيعته واستعداده ، ويستبين بها وجهته ، ويدرس عليها قدراته ..

وإنه لماض الى يومه الموعود وأيامه الآتية .. تلك الأيام التى يرتفع فيها جميع أفراد النوع الى مستوى القدوة .. الأيام التى يصير فيها كل فرد جديراً بحمله كلمة «انسان» حيث تتحول كل الخصائص العظيمة التى تجلت فى عباقرة البشر ؛ لتصبح طبيعة عادية لكل أفراد البشر !!

هذا ، هو دور الانسان ، وهذه رسالته التى من أجلها يعمل ، والتبعة التى استحق بها الزعامة على الأرض وعلى الحياة ..

هذه هى المخاطرة الكبرى الظافرة التى كتبها الله له ، والتقى عندها بأسرار الكون مسخرات لأمره ، مذعنات لمشيئته .

●●

والى هذا الانسان البطل والجسور بعث الله أنبياءه ورسله ليعاونوه على تحقيق انسانيته ، والاحتفاظ فى يمينه برايته .. ولقد كانت حفاوة الله بالانسان عظيمة اذ أرسل اليه من لدنه رسلا مبشرين ومنذرين .

وتخلقاً بأخلاق الله ، كانت حفاوة المرسلين بالانسان عظيمة . فاحتفوا به ، وأحاطوه بكل ما فى قلوبهم الكبيرة من حب وحنان .

انظروا المسيح ، كم كان دائم الترديد الممعن لاسمه ، ودائم الحفاوة الصادقة به !!

إنه لايفتأ يكرر ويعلن أنه «ابن الانسان» .. !!

ها هو ذا يتحدث : «إن ـ ابن الانسان ـ لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص» .. «ها نحن صاعدون الى أورشليم ، و ـ ابن الانسان ـ يسلم الى رؤساء الكهنة» .. «لا يذوقون الموت حتى يروا ـ ابن الانسان ـ آتياً» .. «ومن قال كلمة على ـ ابن الانسان ـ يغفر له» .. «إن ـ ابن الانسان ـ ماض كما هو معروف عنه» ..

وفى عشرات المرات يصف نفسه بأنه «ابن الانسان» ويردد كلمة «الانسان» فى حفاوة وتمجيد .

أما أخوه «محمد» فما أكثر وما أعظم حفاوته بالانسان ..

إن القرآن الذى تنزل عليه يتحدث عن الانسان خمساً وستين مرة ـ هذا عدا حديثه عن الناس وعن الأنس ، وعن الأناسي .

«أولا يذكر ـ الانسان ـ أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً» ..

«لقد خلقنا ـ الانسان ـ فى أحسن تقويم» .. «يا أيها ـ الانسان ـ إنك كادح الى ربك كدحاً فملاقيه» .. «لقد خلقنا ـ الانسان ـ فى كبد» .. «علم ـ الانسان ـ ما لم يعلم» .. «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها ، وحملها ـ الانسان ـ» .

هكذا يشعرنا القرآن وهو يتحدث عن الانسان بحدبه عليه ، وتقديره لدوره ورسالته .

ولأن الانسان عظيم ، ولأن الانسانية جليلة فقد اختار الله رسله الأكرمين منه ومنها .

يقول الله سبحانه وتعالى : «ولو شئنا لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا» .

وهو لم ينزل ملكاً ، بل وجعل الملائكة فى عون الانسان وخدمته ، لأن الانسان الصامد أمام تجربة الحياة .. الانسان الذى حمل أمانة الوجود بعد أن أشفق من حملها خلائق كثر كانت تسير معه فى سباق التطور العظيم ..

الانسان هذا ، كان فى عين الله خليقاً بأن يتلقى من نفسه الدرس والمثل .. ومن هنا جاءته رسله منه : «لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم» ..

ومن هنا يبدأ توقير الرسل عليهم السلام للانسان .. من إمعانهم فى توكيد بشريتهم ، وإعلان انسانيتهم ، ووضع وجودهم دوماً داخل هذا الاطار .

ولقد كانوا وهم يرفضون المبالغة فى



اطرائهم ، والغلو فى توقيرهم . إنما يقررون القيمة العليا للانسان .

كأنهم يقولون لمن يحاول الارتفاع بهم عن مستوى الانسان فيهم : أى مقام هناك أسمى وأعظم تريد أن تذهب بنا اليه ؟!! وماذا فوق «الانسان» من خلق ؟ الملائكة مثلا .. ؟ إنهم فى خدمة الانسان الصالح الكادح . هكذا جعلهم الله ..

وحين أراد الله أن يصطفي فى الأرض خليفة ، تعالت ترنيمات الملائكة ضارعة مبتهلة أن تكون صاحبة الحظ فى هذا الاصطفاء . بيد أن الله سبحانه رمق الانسان بعين حانية ونظرة راضية ، وأشار اليه فى حب غامر وقال : هذا هو الخليفة .. !!

والانسانية إذن ، هى الجنسية المشرفة التى يحملها المسيح ومحمد والمرسلون جميعاً عليهم صلاة ربنا وسلامه .

عيسى يقول : أنا ابن الانسان ..

ومحمد يقول : إنما أنا بشر مثلكم .. ويرتل هذا النداء كل الأنبياء .

ولماذا لا يفعلون ، وفى أسماعهم اليقظى يرن الصدى القوى لقول الله لملائكته «اسجدوا لآدم» .. !!

ألا من كان يعرف تمجيداً للانسان أصدق من هذا التمجيد فليأتنا به ..

ومن كان يعرف قدر الانسان ، فليختبر نواياه تجاهه .. حاكماً كان أو محكوماً ..

إن أى إساءة للانسان .. أى تثبيط لعزمه .. أى كبت لطاقاته وكظم لأنفاسه .. أى استغلال لعرقه وامتهان لشأنه .. أى ترويع له وتعطيل لرغبة الله فى ارتقائه .. أى تقنيط لآماله وكبت لأشواقه .. أى تعويق لمسيرته بالكلمة أو بالحركة بالقول أو بالفعل .. أى شىء من ذلك كله لن يكون سوى تمرد على قرار الله بأن «الانسان» سيد كونه ، والمهيمن بأذنه على أرضه ، والواعد بما لا يخطر على قلب بشر من الرقى والصعود .

وإن أمر الله «اسجدوا لآدم» ليس تكريماً وتمجيداً للانسان بأقل مما هو تحذير له ألا يسمح بأن يخرج من بين صفوفه من يتمردون عليه ويسيئون اليه ، ويبغون حياته عوجا ، وينتقصون من حقوقه الكاملة فى الحرية والأمن والعدل وبقية الحقوق التى يحلق بها فى آفاق حياته ووجوده .

كما أن أمر الله ملائكته «اسجدوا لآدم» نذير رهيب لكل من يسهم بالكلمة أو بالحركة ، أو حتى بالصمت فى استعباد الانسان ، وتعتيم رؤاه عن الحقيقة ، وكبح ارادة السيادة والتفوق فيه .

فيا من ترجون لله وقاراً .. قدموا كل وقاركم ، وكل تمجيدكم ، وكل عونكم للانسان .

خالد محمد خالد

عبد الله جفري

اللسان لساني .. والمسافة ملكنا جميعا

والآن توقفوا !!
استعيدوا أنفاسكم اللاهثة ، ثم آه .. خذوها إلى صدوركم ، وتفرجوا على وقفتكم !!
ثم .. شاهدوا صدوركم من الداخل .
المهمة صعبة .. بالغة الارهاق !
أيضاً ـ من الوجه الآخر ـ المهمة سهلة . بليغة التناول !!
دعوا عقولكم تمارس الألعاب السويدية : روضوها . دلكوها .. بعد ذلك اغسلوها بكل محتوى صدوركم ، وزحام العالم ينتظرها بلا مجاملة .
افرجوا ـ على مهل ! ـ عن خفقاتكم .. فليس كل الركض حرية .. أحياناً هو يعبر عن التيه ، والتيه حرية الضياع ! .
دعوها ـ خفقاتكم ـ تقف تحت أشعة الشمس ، وخذوا أنفاسكم !
الآن توقفوا ..
هذا ليس اقتراحاً .. أنه نداء بلغ حدقتي ، وتقلقني الرؤية ، ويستفزني الصدى الصاخب !
عفوكم .. إنى أتكلم من مسافة طولها « عقلة » أصبع لشخص ممتلىء !
اللسان لساني .. والمسافة ملكنا جميعاً ، و « العقلة » أداة خاصة .
وقد يعوزنا التشبيه فنضطر أن نحفظ « المعلقات » !!

إن ندائى .. مخاض ليلة استمتعت فيها بسأمى الطويل ، وسئمت فيها من كآبى الضخم الذى أقراه من زمن طويل أيضاً وموضوع الكتاب يمكن أن نضغطه فى كلمات . ربما يكتبها أديب أصابه الملل ، وتعب من الحقائق واشتاق للخيالات ، فكتب قصيدة رديئة مترنحة الأبيات .

لكن .. ليس أمام هذه الأشياء نضطر للوقوف ..

توقفوا أمام ليلكم . أمام نهاركم .. أمام عقولكم ، وخفقكم .

إن « متاريس » العالم تتساقط فى الليل ، ويستحكم رتاجها فى النهار ! غير مفهوم ؟!

حسناً .. ماذا يقول هذا الكاتب ؟؟ فى البداية ، هو لم يقل شيئاً .. كان يمسك قلمه ، ويحبس قرطاسه تحت كف يديه ، و « يحك » شعر رأسه بعِداء ، ولم يكتب حرفاً ، ولم يطق السكوت الداخلى فى صدره ، ولم يحتمل الصخب من حوله .. غير أنه لا يستطيع أن يتوقف .. إنه يمشى حتى وهو جالس .. إنه يرحل بين أربعة جدران !

مع ذلك لم يقل شيئاً .. اللسان لسانه ، والمسافة ملكنا جميعاً !

وبقي ينتظر من يسأله .. من يفتح جمجمته ليأخذ ما بداخلها ، ويريحه !

داخل الجمجمة الصغيرة هذه مسافات عريضة لكنها داخل « فريزر » ..

داخل الجمجمة أفكار يتمنى لو تفجرت ونسفت رأسه ومات مقتولا بأفكاره بدلا من أن تبقى جُوانِيَّة .. تؤخزه ، وتسبب له الصداع المزمن وتستعدى الآخرين أن يسألوه .

● أليست هناك فكرة بدون سؤال مسبق ؟؟

● الا يمكن أن يصحو ذات يوم ، فيكتشف أن محتوى جمجمته يماثل محتوى جمجمة « عم عثمان » بائع اللفت والسلك والزبانخ ؟؟

لحظة من فضلكم . رجاء .. رجاء توقفوا قليلا ..

إنه يحاول أن يبصر .. يحاول أن يسمع .. يحاول ان يقول شيئاً !!

ـ قال : نعم . قال هذه العبارة التى أسمها : يتيمة الناس !!

ـ قال : مساء الخير يا نجمتى الطالعة فى ليلة غائمة !

ودوت جمجمته بالتصفيق . العبارة رائعة . العصر هو زمن الخطف ، وهذه عبارة مخطوفة من التبلد ، مخطوفة من الرغبة فى التوقف . مخطوفة من « الوصل » .. مخطوفة من «الأصول» !

ـ قال مثالا : اسمعوا .. ألم تحسوا أن عبد الوهاب « خطف » أم كلثوم من سنواتها الطويلة واعادها الى السنة التى غنت فيها « جددت حبك ليه » ؟ .. لقد جعل صوتها يرقص « الفالس » لقد جعلها أكثر شباباً من عايدة الشاعر فى زمانها عندما غنت لحنه : إنت عمرى !

ـ قال مثالا آخر : ألم تشاهدوا كيف يخطف « بيرت لانكستر » فتاته الحسناء « ديبوراه كير » فى فيلم : (من الآن والى الأبد) ويجرى بها ليقتلها بمعانيه ، ولم تقتله بمعاناته ؟ .. وكيف خطف دكتور بيرنار شباب عروسه « بربارة زولنر » ووارداه فى خمسيناته .. وكيف تخطف الدول الكبيرة المستعمِرة خيرات الشعوب النامية واستقلالها لتضيفها الى تاريخها ؟!

قال أمثلة .. وأشعل لفافته على طريقة « سومرست موم » ، وصمت !!

● ●

وتناهى إلى سمعه صوت يسأله : لماذا هو « عالم مخطوف » ؟! .

كان ينتظر ـ قبل الاجابة ـ أن يصل الاحتراق الى عقب سيجارته ليتكلم ، لكنه ملول .. كسر اللفافة ، وقال :

ـ العالم مخطوف وخاطف .. ان سكانه يخطفون أنفسهم ، فلم يعد الوقت كاف للتريث .

ان الناس يخافون الحرب الثالثة وقد وقعوا فيها .. فهل بدأت فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟!

وهل مات الناس فى السادس من اكتوبر عام ١٩٧٣ ؟!

وقد ماتوا مرتين قبل ذلك فى عام ١٩١٤ ، و ١٩٣٩ ، وقبل ذلك كانوا يموتون بالقنص .. تقنصهم الحروب الأهلية والمقاصل ، وتقنصهم الاضطرابات الجانبية .

ان كل شىء توسع ، والأصوات تضخمت ، والفرحة قصيرة .. فاذا أحب الشاب فتاة سئمها بعد شروق الشمس ، واذا كتب شاعر قصيدة .. عارضها فى اليوم الثانى ، واذا استقلت دولة رزح على صدرها الاستعمار قروناً .. تناحرت داخلياً بعد أسبوع ، واذا اكتشف العلماء علاجاً للشلل ابتكروا بعد شهر سلاحاً للحصد ، واذا يئس شاب من فرص النجاح فى العمل تحول عند منتصف الليل الى « هيبى » يلبس بنطلوناً مرقعاً ، و « ينكش » شعر رأسه ، ويفترش الرصيف ، ويقول كلاما نظرياً فقط !!

● أتعنى أن الناس يموتون لكثرة ما هم أحياء ؟؟

ـ قال : العجيب هو العكس .. انهم يزدادون حياة لكثرة ما يموتون كل يوم !!

● إنهم لا يموتون يا سيدى .. انهم مخطوفون فقط ، هكذا قلت !

ـ بلى .. غير أن تكرار الاختطاف دليل على الفوضى النفسية .. دليل على البعثرة الخلقية .. دليل على ان من يختطف يحمى ، ومن يحمى مريض بالاختطاف .

● لكننا مضطرون للمعرفة .. عليك ان تجرب لتعرف . وهذه احلام فى ذهنك .. انك « انفصامى » ومقهور الركض !

ـ أحد علماء الفضاء قال مرة : « مثل هذه الأحلام خير زاد للتغلب على الواقع » !!

● وأحد الشعراء الانجليز الشبان قال بعد هبوط « ابوللو » على سدح القمر : أريد الآن أن انظم قصيدة على سطح القمر لأرسم صورة للألوان كيف تتحد ؟!

ـ مخطوف .. إنه يخطف نفسه من واقعه . إنه لم يستطع ان يرسم ألوان مشاكل الأرض . هل رأيت صورته ؟!

● لا .. لكنى أهتم بكلامه !

ـ لا .. « ان الأديب حجم انسانيته » وَكَيْفَ نفسه !!

● سؤال اذن : لماذا نطلب من العالم ان يتوقف ؟!

ـ جواب : لكى يلتقط أنفاسه ، لكى يعيدها الى صدره . ان انفاس الناس اليوم فى عيونهم . إن صدورهم مهشمة !

● سؤال : ماذا يخطف الناس ؟؟

ـ جواب : يخطفون أنفسهم من أنفسهم .. انها « حالة » من القلق .. حالة من التفريط والفقد معاً !

● سؤال : الى أين يهربون ؟؟

ـ جواب : الى بدايتهم .

● سؤال : وماذا نحتاجه ؟

ـ جواب : نحتاج الى جيل جديد .. يفهم ما يقرأ .. يعي ما يفعل .. يفرق فيما يشاهد .. يسمع جيداً !

● سؤال : والاديب ، أنت ماهو عملك ؟؟

ـ جواب : أعالج المشكلة بأسلوبها !

● سؤال : كيف تتمكن ؟؟

ـ جواب : باختصار ... بمثل ما جاء فى هذه العبارة التى قرأتها : (لابد من اختطاف بحر الأمية الى مرفأ الأدب .. لابد من اختطاف زبائن الكلمات المتقاطعة وبختك هذا الاسبوع . ونوادر جحا ، وزبائن النكتة ليقرأوا مفيداً ، أو يلمسوا متعة أكبر » !!

● سؤال : لكن العالم اليوم ثقافى ، وحضارى ، ومتمدين ، وسفلح ان العبارة متوقفة !

ـ جواب : إننى أريد أن تقرأ بعينيك ، وذهنك ، ولا تدع غيرك يقرأ لك .

● ●

والآن ؟؟ ..

توقف هو . أشعل السيجارة الحادية عشرة ثم ضحك ، وأنهى الكلام قائلا :

ـ « يبدو اننى أدمنت كل شىء .. رغم أن المسافة « عقلة » أصبع !

لقد احببت « تبغى » لأنه أصبح كلمات أغنية مرحة وجذابة .. ترددها بعض الاذاعات التى تنطق بالعربية .. فلم يتبق لنا من لغتنا إلا النطق !!

حلم الحضارة

بقلم : د. حافظ الجمالي

لو أن انساناً ما ، أى انسان من العالم الثالث ، لا على التعيين سئل عن أغلى أمانيه ، وأسعد أحلامه ، لأجاب ، أو لظننت أنه سيجيب : إن حلمى هذا هو أن تصبح بلادى متحضرة ، تصنع الماكنات ، والطائرات ، وغير ذلك من وسائل اخضاع الطبيعة لحاجات الانسان ، والدفاع عن وجوده ضد أعدائه . وحقاً فان هذا الحلم مشترك بين جميع الشعوب المتخلفة ، من أقاصى آسيا ، الى آخر أدغال افريقيا مروراً بالوطن العربى .

لكن الشعب العربى يتميز عن غيره من هذه الشعوب من حيث أن له ماضياً حضارياً متألقاً ، بدا ، فى حينه ، وكأنه كل الحضارة ، لا بعضها ، تماماً كما نقول الآن ، عن الشعوب المتقدمة ، بأنها تملك كل الحضارة . فاذا بدا للعربى اليوم ، أن حنينه الى استعادة ماضيه ، بالصورة المعاصرة ، هو الحنين الأول ، فان هذا الشعور يتضاعف دوماً بواقع التخلف الذى انحدر اليه بعد تاريخ عريق فى التقدم والمدنية .

وكذلك يتميز العربى ـ على مثال الواعين من قادة الدولة العثمانية ، بأنه أول من شعر ، فى البلاد المتخلفة ، بواقعه البائس ، وحاجته الى التقدم ، بسبب من المجابهات المخفقة الكثيرة ، التى كانت تتعرض لها الدولة العثمانية أولا ، وبسبب من تقمص العربى ، فى تلك الأيام ، لمشاعر الدولة التى كان يخضع ، طوعاً أو كرهاً ، لسيادتها . إن تلك الاخفاقات المتتالية التى اتضحت من جراء الهزائم التى كان يصاب بها العثمانيون ، فى كل حرب ، مع الروس أو مع غيرهم من الشعوب الأوروبية ، كانت كافية ، منذ منتصف القرن السابع عشر ، لفضح الواقع العثمانى المتخلف ، تجاه واقع غربى متقدم . ولئن كان السلاطين العثمانيون يعزون بعض هزائمهم الأولى الى «سوء الحظ» أو الى ضعف المنجمين ، وعجزهم عن حسن اختيار «البرج» والساعة ، والمكان ، فان تتالى الاخفاقات كان كافياً لحمل الواعين على التفكير بأن الهزيمة ، لم تعد قضية «برج» وساعة ، ومكان ، أى لم تعد قصوراً فى علم التنجيم ، بل هى تعبير عن قصور حضارى ، لم يكن معه بد من الهزيمة ، وان الحرب لو تكررت مئة مرة ، لما كان وراءها إلا النتيجة نفسها ، أى الهزيمة . ومن هنا كان القادة الأتراك ، أو قل بدأ هؤلاء بملاحظة السبب الموضوعى الذى يجعل النصر فى أية معركة ، حليف الآخرين ، لا حليفهم ، ومن هنا أيضاً بدأ عهد التفكير بالاصلاح أو بما كان يسمى باسم التنظيمات الخيرية ، والخطوط الشريفة ، مثل خط كولخانة الشهير عام ١٨٣٩ ، والاستعاضة عن الانكشارية بالجيش الحديث ، وانشاء المدارس العسكرية ، والمدارس جملة ، ونشر المعرفة ، واقتباس علوم الغرب ، لينتهى المطاف الى ضرورة انشاء حكومات دستورية تستغنى عن الحكم الفردى ، وتجعله مسئولية مشتركة بين أهل الحل والعقد ، أى بالدرجة الأولى ، بين رجال الفكر ، والعلماء ، والاختصاصيين وكان السبب الآخر الذى أسرع بعملية الوعى هذه ، لدى العرب ، هو اصطدامهم بفرنسا فى مصر ، على يد نابليون عام ١٧٩٩ . وكان يكفى بطبيعة الحال أن يدرك الواعون أن أول قراءة للهيروغليفية ، وأول ترجمة لها ، وأول كشف عن أسرارها لم يتم على يد مواطن ، يعيش جانباً ضخماً من حياته بجانب الأهرامات ، والأقصر ، والمعابد الأثرية المتناثرة ، وما كان عليها من كتابات مصرية قديمة ، بل على يد أول عالم بالآثار ، وفد مع نابليون الى مصر . ولا يعنى هذا أن علم الآثار نفسه علم حديث ، نما وتطور بين ما نما وتطور من علوم عصر النهضة ، بل يعنى أن العالم الأثرى شامبوليون طرح على نفسه هذا السؤال : «كيف تقرأ الهيروغليفية ؟» فاكتشف الجواب ، ولكنه لم يكن أول من طرحه ، بل إن «ذا النون» الصوفى المصرى الذى توفى «عام ٢٤٥ هـ ـ ٨٥٩ م» كان يدعي أنه يعرف قراءة الهيروغليفية ، ويزيد قدراً فى عيون الناس لمعرفته هذه . ولولا أن هذا النوع من المعرفة يعلي شأن صاحبه إذن لما أعاده صوفينا العظيم ، وبالتالى فانه لابد أن التساؤل حول أسرار الكتابة المصرية القديمة كان قائماً لدى نخبة مفكرة ، ولو أنها صغيرة ، بل إن اكتشاف هذا السر ، كان ينبغى أن يكون أسهل فى

نابليون



محمد علي



زمن ذى النون ، منه فى زمن شامبوليون . لكن صوفينا إدعى المعرفة مجرد دعوى

أما شامبوليون فقد عرف وجعل الآخرين يعرفون . غير أن هذه المعرفة لم تكن إلا جانباً هامشياً من الصدام الحضارى الكبير الذى تم بين الفرنجة والعرب فى ذلك الحين .

ويبدو لي أن محمد علي باشا هو الذى فهم معنى هذا الصدام أكبر الفهم ، واستفاد منه أكبر الفائدة ، وأوفد البعثات العلمية من أجله ، وأنشأ جيشه ودولته على أساسه ، وبدأ أول نهضة جدية فى مصر ، بوحى منه . وإنى لأحسب أحياناً أن الدرس العظيم ، لايستفيد منه إلا العقل . ولأول مرة كان السلطان العثمانى هو الذى يطلب من محمد علي باشا مؤازرة ثقافية ، على حين أن هذا الأخير كان يظن أنه يستوحى ما يعمل مما سبقه اليه السلاطين .

وعلى ذلك فان العرب كانوا أول من استيقظ على الواقع المتخلف الذى يعيشون فيه ، وحتى قبل اليابان بنحو من ستين سنة ، ومع ذلك فان شعوباً كثيرة متخلفة قفزت فى الحضارة قفزات أوسع . مما فعله العرب ، على تخلف اليقظة لديهم عن اليقظة العربية (مثل الهند ، والصين وأمريكا الجنوبية) ، وإذا كان الناس يرددون دوماً عندنا أن أمريكا اللاتينية متخلفة ، مثلنا ، فلابد من الاشارة ، على سبيل المثال ، الى أن متوسط دخل الفرد فى أمريكا اللاتينية (وبدقة أكبر متوسط انتاجه الخام) يبلغ ٢٠٠٣ دولارات فى الأرجنتين ، و ١٦٩٩,٣ فى الشيلى ، و ١٣٠٩ فى البرازيل ، و ١٣١١ فى السلفادور و ١٦٦٨ فى الأوروغواى و ١٤٨٨ فى الباراغواى ، على حين أنه ما من متوسط دخل فى الدول العربية يبلغ الألف دولار ، أو يزيد عليها إن لم يكن من دول النفط وحدها . أما الصين والهند ، فحسبهما ، على فقرهما ، أنهما ، على ما لديهما من أعداد سكان ، هائلة ، تملكان أسرار الطاقة النووية ، والقدرة على صناعة الأسلحة منها ، وأننا ، فى هذا المجال ، وفى غيره أيضاً ، نتسكع على أبواب الميسورين ، ليقدموا الينا فتاتاً غير ذات خطر من هذه المعرفة .

ابتداء من الابرة !

لابد من التساؤل اذن : لم يطول بنا الحنين الى الحضارة ـ الصناعية طبعاً ، لا الأخلاقية بالتأكيد ، ذلك أننا محلقون فى عالم القيم ، بلا ريب ـ لم يطول ويتطاول حتى لكأنه ليل امرىء القيس الذى لا ينجلى ، ثم لا يسفر صبحه أو ما يقال انه صبحه عن الأمثل والأفضل ؟ ولم تبدأ النهضة فى مصر منذ ١٧٠ سنة وتبدأ فى سورية منذ ستين سنة ، وفى المغرب منذ عام ١٩١٢ ، أى مع اتصال هذا القطر بالحضارة الفرنسية ؟ هذا إن كان كل ما سبق هذا التاريخ قطيعة كاملة ، ويبدأ فى الأقطار العربية الأخرى ، فى لحظة ما ، قبل سورية أو بعدها ، ثم تنظر فتجد أنه ما من قطر عربى إلا ويقع تقريباً ، على المستوى الحضارى نفسه ، بلا فارق نوعى ملحوظ ، لا فى الأدب ولا فى العلم ولا فى الصناعة . ؟ ولم توجد دويلة اسرائيلية ، أكثر سكانها من بلادنا المتخلفة جداً ، أو المتطورة بعض الشىء ، دون أن يقصر بها هذا كله عن بلوغ المستوى الحضارى الذى نعرفه لأوروبا الغربية . ؟ ولم تذكر جامعاتها ومراكز البحث فيها ، كما لو أنها على قدم المساواة هى وأوروبا ؟ بل لم سهل عليها هذا الذى نراه غاية فى الصعوبة عندنا ؟

إنى أتذكر الآن عرس «بوران» على الخليفة المأمون ، وما حفظه لنا التاريخ عن ليلة هذا العرس ، وكيف نثرت الدنانير بين المدعوين ، أو على الناس ، كما لو أنها تاتى من كنز لا آخر له ، وكيف وزعت رقاع كتب عليها اسم بعض القرى والمزارع ، فمن أصاب رقعة منها ، امتلك مباشرة ما كتب عليها . لكنى لا أذكر هذه التفاصيل إلا لأتصور أن «بوران» هذه كانت بلا ريب حتماً تلبس ثياباً أنيقة جداً ، وأن هذه الثياب مخيطة بالابرة حتماً ، لا كالأثواب الهندية أو الباكستانية اليوم التى تلف على الجسم لفاً بسيطا ، بلا خياطة ضخمة ، وأقول : من أين كان الناس فى ذلك الحين يحصلون على الابر ؟ إن أوروبا لم تكن متقدمة آنذاك ، ولم تكن ذات حضارة صناعية ، فبأى الوسائل ، أو من أى المصادر كان الناس فى بلادنا يأتون بالابرة ؟ لقد سألت منذ أيام قليلة بعض المهندسين الصناعيين عما اذا كنا فى بلادنا نملك مصانع للابر والدبابيس ، أعنى فى سورية . فاذا بى أفهم أن الدبابيس موجودة دون الابر . ولماذا ؟ لأن صناعة الابر تحتاج الى مستوى أعلى من التقنية لكنى أتساءل : كيف تهون علينا إذن صناعة المدفع ، اذا كانت تصعب صناعة الابرة ؟ وكيف نطمح الى امتلاك الطاقة النووية ، إذا كنا لا نحسن لا هذه ولا تلك ؟

ولكم يضحكني ، ولكن بمرارة كبيرة ، أن أجد صنبوراً من الماء ، لدي أو لدى الآخرين ، يحتاج الى بعض الاصلاح ، وأن انتظر «السباك» شهراً بعد شهر ، لأفوز به ، كنصر كبير ، وانجاز ضخم ، فاذا أتى وأصلح مافسد ، بدا لي بعد قليل أنه زاد الفساد بدلا من أن يحسن الاصلاح . وأقول : رباه ! أهؤلاء الفرنجة يصنعون لنا كل شىء ، وحتى الصنابير ، ونحن لا نحسن إصلاح أبسط الأشياء من أقل فساد ... وتتابعت فى ذهنى صور أخرى شبيهة بالمثال الذى ضربته ، وتساءلت فى نفسى : فى العام الماضى نجح لدينا فى سورية ١٤ ألف طالب فى القسم العلمى .. ولكن أيهما أفضل للوطن : أحامل بكالوريا بعلامات دون الوسط بكثير أو بقليل ، أم «سباك» يصلح الحنفيات ؟ ولكن الأنكى من ذلك أننا نملك عدداً ما بين الطلاب أدنى بكثير من عدد الناجحين فى البكالوريا ، الأدبية والعلمية ، إلا أنهم يحملون البكالوريا الصناعية . ترى أيمكن حقاً أن نطمئن الى كفاءة هؤلاء ، من أصحاب الإختصاص المناسب ، لاصلاح صنابير الماء ؟ أما أنا فأشك فى ذلك أكبر الشك .

سيارة وليست لعبة !

لكن هذا كله ليس إلا جانباً أسود من

حلم الحضارة

الحياة الحاضرة . فهل غاب الجانب الأبيض نهائياً ، أو هو موجود أيضاً . حسبى إذن أن أروى بعض الملاحظات .

● يحتاج كل صاحب سيارة الى اصلاح خلل ما فيها فى يوم أو آخر . ويحتاج خاصة الى بعض قطع التبديل ، ويروعه أنها بسيطة جداً ، وأن سعرها عال أو غال . ويدفعه الفضول الى السؤال : ألا تستطيع يا صاحبى أن تصنع أنت هذه القطعة البسيطة ، بدلا من استيرادها من الخارج ، ودفع هذا المبلغ الباهظ ثمناً لها ؟ ويكون الجواب فى أكثر الأحيان :

ـ يا سيدى ، إننا قادرون على صناعة هذه السيارة كلها ، من أولها لآخرها ... لا أنا وحدى ، بل مجموعة معينة ، أو عدة مجموعات منا ، نحن معاشر الميكانيكيين لكن هل يسمح لنا بانجاز مثل هذا المشروع ؟

والاحظ أن هنالك قناعة ضمنية عميقة بأنه لن يسمح لأمثال هؤلاء بانجاز من هذا النوع ، ولابد أن لهذه القناعة العميقة المشتركة ، من مبرر قائم فى الواقع ، ليس أصحابها هم المسئولون عنها حتماً .

● وتحتاج أبنيتنا المسكينة الى اصلاحات شتى فى جانب أو آخر . ولكن قطع التبديل كلها مستوردة . وتطرح نفس السؤال ، على النجار ، والحداد ، واختصاصى التدفئة والتبريد ، فاذا بك تجد الجواب نفسه ، وتقول فى نفسك : لابد من أن يكون لهذه القناعة المشتركة بين جميع هؤلاء الصناع ، من كل الأنواع ، مبرر من خارج نفوسهم ، لا من داخلها .

● لكن الأهم من ذلك تجربة قادها وزير التموين السورى وكانت تجربة ناجحة جداً . وخلاصة الأمر أن أزمة التموين فى الخبز كانت قائمة على أشدها فى طول البلاد وعرضها ، عندما جاء هذا الوزير ، وتسلم منصبه ، حتى أن المواطن ليحتاج الى انتظار على باب المخبز يتراوح بين ربع الساعة ونصفها ، على أقل تقدير .

ودعت الحاجة الى استيراد مخابز آلية ، تصنع لنا خبزنا التقليدى .. إن أولئك الذين لا يألفون فى بلادهم خبزنا ، هم الذين يتولون ، بدلا منا ، صناعة المخابز له ، ولو شئنا ، ذات يوم ، أن نطلب من الغربيين مصانع أخرى لحلوياتنا التقليدية ، من كنافة ، وبقلاوة ، وقطائف ، وتورتات ، وسنبوسك ، و «أم علي» المصرية ، لكنا متأكدين أنهم سيمدوننا بها . وعلى كل فقد استوردت المخابز الآلية ، وخفت الأزمة الى حد كبير .

وخطر ببال الوزير ذات يوم ، أن يستدعى مهندسيه وأن يعرض عليهم تقليد هذه المخابز الغربية ، بما يشبهها ولكن بالصناعة المحلية . ولقد تردد هؤلاء ، وأطالوا التردد وخافوا من عدم النجاح .. لكن الوزير طمأنهم ، وقال لا عليكم ، إن خسرنا التجربة ، فسنرد حديدها الى مصنع «الخردة» كمادة أولية .

وعلى أكبر دهشة من المهندسين أنفسهم ، نجح الرهان ، وصنع المخبز الآلى الأول ، وتلاه الثانى بكلفة لا تزيد على ربع الثمن الذى يدفع للمصانع الغربية ، وبالعملة المحلية بالدرجة الأولى ، وعلى ما أعلم فان عدة مصانع من هذا النوع ، أو قل عدة مخابز ، هى الآن قيد الانشاء ، وخلال مدة ما ، يسيرة ولاشك ، سيكون فى وسع سورية أن تقدم هذه المخابز الأفضل من مثيلاتها الأوروبية بغير قليل ، الى كل من يطلبها .



ولئن تكلمت فى هذا المجال على ما أعرف ، فلاشك أن الاختصاصيين السوريين قد أنتجوا فى مجال آخر ، ما يعادل الصناعة الأوروبية . بل إن مهندساً سورياً ، أخرج للناس ذات يوم ، سيارة من صناعة دمشقية ، أو أكثرها دمشقى ، سميت باسم سيارة الشام ، ولو أن المسئولين فى وزارة الصناعة أذاعوا على الناس ، بكل الوسائل ، ما يجب أن نفهم منه أن هذه السيارة تزييف فى تزييف . ومع ذلك فان سيارة تمشى أمامك فى الطريق ، لا يمكن أن تكون مجرد لعبة أطفال .

عوائق مصطنعة

والذى أستخلصه من هذا كله هو أن المعطيات الموضوعية لقيام حضارة صناعية ، حتى ولو كانت مجرد تقليد فى البداية ، أصبحت جاهزة ، وفى وسعها أن تبدأ الانتاج ، والقفز بالمستوى الحضارى القائم فى سورية . ولاشك أن مثل هذه المعطيات ، متوفر فى غير سورية ، وبدرجة أكبر أو أصغر ، تبعاً لمستوى ثقافة البلد . لكن العلة ، كل العلة ، هى أن هذه المعطيات لا تستثمر .

أقول هذا وفى ذهنى معلومات عن عدد الجامعيين من الطلاب ، لا من الأساتذة . إنهم أكثر عدداً فى سورية الآن منهم فى فرنسا نفسها عام ١٩٣٩ ، وبينهم كل أنواع المختصين ، من الهندسة الذرية ، الى علم الاجتماع ، أفيمكن ألا يستطيع هؤلاء بناء حضارة صناعية كالتى كانت فى فرنسا عام ١٨٥٠ أو عام ١٩٠٠ ؟ ولاريب أن فى مصر خمسة أمثال عدد الطلاب والمتخرجين والأساتذة الجامعيين فى سورية ، أفيمكن ألا يستطيع هؤلاء أن يجعلوا بلادهم على مثال ايطاليا عام ١٩٠٠ أو المانيا عام ١٨٨٠ ـ ١٨٩٠ ؟ إن من الصعب أن يفهم الانسان ذلك . ولكن الواقع يوضح أن بلدينا لايزالان متخلفين عن مستوى أوروبا عام ١٩٠٠ ، وكذلك كل الدول العربية ، نفطية كانت أم

غير نفطية .

وهنالك طبعاً من يقول : إن الحضارة بنت تطور طويل ، لابد من قطع مراحله ، خطوة فخطوة ، ومن الصعب أن يتم ذلك كله فى غضون خمسين أو مئة سنة . وهذا صحيح من حيث المبدأ ، لأن تقدم العلم فى الغرب كان هو الذى صنع الحضارة الغربية ، وكان مسار العلم ومسار الحضارة متوازيين . وكان تقدم العلم بطيئاً نسبياً ، ولئن تضاعف حجم المعرفة مرتين منذ الميلاد حتى عام ١٥٠٠ ، ثم تضاعف مرة أخرى بين عام ١٥٠٠ و ١٨٠٠ ، وثالثة بيت ١٩٠٠ و ١٩٤٥ ، ورابعة بين عام ١٩٤٥ و ١٩٦٠ ، وخامسة بين ١٩٦٠ و ١٩٦٨ ، فانه كان لابد من أن تتضاعف الحضارة الصناعية على هذا النسق ، وببعض التأخر أيضاً . أما عندنا فانه لا مجال لانتظار تقدم العلم . فهذا قد صنعه الآخرون ، ويكفينا جيل واحد من الأذكياء لتمثل كل أو أكثر علوم العصر ، على نحو ما فعل اليابانيون . وأما التراكم الرأسمالى ، والسوق الداخلية للصناعة مما يعتبر لدى بعض المنظرين شرطاً لنمو الحضارة الصناعية ، وحاجة ذلك كله الى التراكم الرأسمالى ، فاننا نحمد الله على أن هذه الشروط متوفرة موضوعياً ، ولا حاجة بها لشىء آخر غير انعكاسها فى النفوس ، أعنى أن ندرك ، نفسياً ، توفر هذه الشروط موضوعياً .

كل شىء إذن مهيأ لنمو الحضارة . فاذا كانت خطاها تتعثر عندنا ، فلأن «إنساننا» ، والانسان المسئول خاصة ، لا يحسن استثمار هذه الشروط الموضوعية .. وعبثاً نملك أرضاً خصبة ، إذا لم يكن هنالك من يريد استثمارها ، أو من لا يحسن هذا الاستثمار . فلو قيل إن التخلف طبيعى فى بلادنا فى العشرينات ، والثلاثينات والأربعينات ، وحتى الخمسينات ، لكان هذا القول صحيحاً جداً ، أما أن يبقى هذا التخلف حتى الآن ، فهذا هو الأمر اللامعقول واللاطبيعى ، لا فى سورية وحدها ، بل فى أكثر من بلد عربى واحد . ولئن عذر التخلف فى بلاد أخرى ، ينقصها المال ، أو الأرض ، أو الأنهار ، أو الماء ، لما وجد له عذر عندنا ، بأية حال . فكأن هنالك عوائق مضافة ، أو مصطنعة ، أو مخترعة ، أو لنقل هنالك ما يشبه اللاعزم أو اللاارادة أو التآمر على التقدم .

التعبير عن الذات

لابد إذن من «إخلاء سبيل» المبادرات الفردية ، ومن دراسة أفضل الحدود التى يفرج فى إطارها ، عن «حرية المواطن» ولاسيما حرية التعبير عن الذات ، سواء أتجلت هذه الحرية فى التعبير المقول ، أو المكتوب ، أم كانت فى القيام بالمشاريع بحفز من الدولة ، أو بالاستغناء عن هذا الحفز ... وبصورة عامة لابد من التخلى عن المستبقات الايديولوجية التى لا تبرهن ضرورة التطور على سلامتها ، وبكلمة أفضل وأوضح لابد من عقلنة الحياة العامة ، وإبعادها أكثر ما يمكن عن عالم الرغبة والنزوة والهوى والميل وكل ما هو ذاتى لا يخضع للمقاييس الموضوعية . ولو رحنا نتقصى خطوط التطور المتوازية لوجدنا ، أول ما نجد ، توازياً شبه كامل بين كبت الحريات الفردية ، وبين الهبوط المتزايد فى هوة التخلف ، وبين التزايد فى غلبة النزوات الفردية ، وضعف العقلانية فى الحياة العامة ، وتصلب الشرايين الفكرية .

وأنا أعرف أن جانباً ما من جوانب الحياة العامة ، سيظل أرعن ، أهوج ، مفعماً بالطيش واللاعقلانية ، وأن فى هذا الجانب ما يكفى ويزيد عن حاجة الطائش والأرعن . ولا أطالب ، تبعاً لذلك إلا بشىء من العقلنة يزيد عن حصة «الجهلنة» . فاذا انتفى ذلك ، فاقرأ على التقدم السلام .

الفارس العربى المنهك !

ولقد قضيت شطراً كبيراً من حياتى وأنا أدرس الفلسفة والعلوم الانسانية فى الثانويات والجامعة ، وكانت الصفوف التى أدرس فيها صغيرة تارة ، وكبيرة أخرى . ولكنى لم أجد فى حياتى مرة واحدة ، صفاً واحداً بلا طلاب أذكياء ، وآخرين على شىء من الغباء . وعندما أنظر إلى الدول العربية الثلاث والعشرين ، على ما أظن ، ولا أجد واحدة منها متقدمة بوضوح على غيرها . فسرعان ما أقول فى نفسى : هذه الدول كلها تشبه أى صف فى أى مدرسة ، أفيمكن أن يكون كل طلابه متواضعى الذكاء ؟ لئن صح هذا فانه ينافى كل القوانين الطبيعية . وعلى ذلك فانه ليست الحضارة هى الصعبة ، أو المستحيلة ، وليست عقولنا هى الكسيحة أو الغبية ، وليست الامكانيات العامة هى المفقودة .. ولكن كل ما فى الأفق يشير الى أن التقدم معطل بشىء ما قد أستطيع تحديده ، ولكنى أؤثر أن يكون هذا التحديد من عمل جماعة مختصة .

وأخيراً فليست الحضارة كلها تقدماً فى الصناعة ، أو فى الانتاج ، أو فى مقدار الدخل المتوسط ، على ما لهذه القرائن من دلالة كبيرة ، ولكنها كذلك قيم ، وصور تعامل انسانى ، وهدوء بال ، وراحة نفس ، واطمئنان على الغد ، وحد أدنى من الخوف ، لا حد أعلى ... فان فقدنا «حسنى» الحضارة الصناعية ، فلا أقل من أن لانفقد « حسنى » القيم .. أما الاستغناء عن الجنسيين معاً ، والكبت من الداخل والخارج ... فذلك كثير وخطير ... ولا أدرى إن كان تاريخنا لم يهب أجدادنا كل أنواع الشر فلم يمنعهم بأكبر الأذى ... ولعله قد آن الأوان لطى صفحة الشرور المتلاحقة ، لنوازن بعض الشىء بين أيام الشر وأيام الخير ، أيام الشقاء وأيام الهناء ، أيام البؤس وأيام الأنس ... فاذا لم يئن هذا الأوان ، فينبغى أن نعرف كم من القرون يجب علينا أن نقضيها فى الشقاء ، بعد القرون الماضية ؟ .. وكما قالت مرة أسماء بنت أبى بكر الصديق ، بعد أن طال صلب ابنها عبد الله بن الزبير : أما آن لهذا الفارس أن يترجل ، فيجب ، أو قل لعله يجب أن نتساءل ، وقد طالت أيام الشقاء علينا ، ترى أما آن لهذا الفارس العربى المنهك أن يستريح ؟

حافظ الجمالى
دمشق

فـــؤاد كـــامـــل

الالتـــــزام الأخـــــلاقي في مجـــال التـــنمـيـة

كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عن وضع نظام اقتصادى عالمى جديد . وقد نشأت الحاجة إلى وضع هذا النظام نتيجة للهوة العميقة الواسعة ، التى تزداد عمقاً واتساعاً على مر الأعوام ، بين الدول الفقيرة والدول الغنية ، أو بين الدول النامية ـ دول العالم الثالث ـ وبين الدول المتقدمة صناعياً ، أو بين الشمال والجنوب كما يقال اليوم إيثاراً للبساطة فى التعبير .

وقد عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر من هذا العام دورة خاصة لمواصلة الحوار بين الشمال والجنوب بهدف حل للمشكلات المعلقة بينهما ، وكان من المقرر أن تستمر هذه الدورة عشرة أيام ، ولكنها امتدت إلى أسابيع ثلاثة على أمل التوصل إلى شىء .. وانفضت أخيراً دون أن تبلغ مما أرادت شيئاً ، اللهم إلا الاتفاق على عقد دورات أخرى وإجراء مزيد من المناقشات ، ومزيد من الحوار.

وعندما يطرح موضوع للمناقشة على مائدة للمفاوضات بين الأغنياء والفقراء ، فمن المتوقع دائماً ، كما تقضى بذلك طبيعة الأشياء . أن يكون الأغنياء هم المتحكمون فى سير المفاوضات ، وفى مصير الفقراء الذين يجلسون معهم ـ غير متكافئين ـ على مائدة واحدة . ومن المتوقع أيضاً ، أن تكون المعونة التى يتكرم بها الأغنياء على الفقراء هى محور الأزمة ، وهى مفتاحها فى آن واحد .. وتقديم مزيد من المعونة والمساعدة هو بلاشك مطلب البلدان الفقيرة تتقدم به فى توسل ورجاء ، أو بالحاح وإلحاف ، حسب الظروف والأحوال ، إلى البلدان الغنية . ولكن ، هل هذه هى الصورة الوحيدة ، أو الصيغة الواحدة التى ينبغى أن يكون عليها الموقف بين الشمال والجنوب ، بين دول العالم المتقدم الغنية ، وبين دول العالم الثالث الفقيرة ؟ وما هو . « المبدأ » الذى يتحكم فى هذا الموقف والذى يدفع الدول الكبيرة إلى تقديم المساعدة للدول الصغيرة ؟ أهو المصلحة ؟ ألا يمكن أن يكون ثمة « مبدأ » آخر غير المصلحة ، دافعاً إلى تقديم يد العون من هذه إلى تلك ؟ ألا يمكن أن يكون هناك « حق » للدول الفقيرة على الدول الغنية فى طلب المعونة ، يجعل هذا الطلب صادراً عن عزة وكبرياء ، لا عن ذلة واتضاع ؟ أو فى عبارة موجزة : هل يمكن أن تصدر الدول الكبرى فى موقفها من الدول الصغرى عن « التزام أخلاقي » يلزمها بتقديم المساعدة طائعة مختارة لا تبغى مصلحة ولا نفعاً ، بدلا عن تقديمها مجبرة مكرهة بحكم تبادل المصالح والمنافع ، وإذعاناً لموازين القوى ، وانصياعاً لشهوات السيطرة والهيمنة والاستعلاء ؟ هذا ما نحاول أن نجيب عليه فى هذا المقال ، معتقدين أن الكلمة المكتوبة هى فعل فى حد ذاتها ، أو هى سلاح ، فان لم تكن فعالة بما فيه الكفاية ، فهى على أضعف الايمان دالة على قدر الامكان .

المعيـــار الأخلاقى

لا جدال فى أن دافع « المصلحة » هـــو الدافع الرئيسي فى العلاقات الدولية ، ولم يكن للدافع « الأخلاقى » أية سيادة أو سيطرة فى مجال هذه العلاقات إلا فى النادر من العهود ، والقصير من الحقب . وليس عصرنا الحاضر بدعاً فى العصور ، فما زال « دافع المصلحة » هو سيد الدوافع وهو سلطانها ، ولكن الجديد حقاً هو ظهور نوع جديد من المفكرين ينادون بالنظر إلى عملية المعونة على أنها عملية أخلاقية إنسانية فى المقام الأول ، بعد أن كان النظر إليها مقصوراً على أنها عملية سياسية اقتصادية ، وبالتالى فانهم يضفون عليها « قيمة إبداعية » ، بعد أن كانت مجرد قيمـة « مالية » أو « نفعية » ، وبهذا تتخذ عمليـــة « التنمية » معناها الاصطلاحى الحقيقى ، بأن تكون تطويراً وتقدماً للشعوب والأفراد لا مجرد نمو للموارد والانتاج ، وهو ما يستهدفه رجال التخطيط ويعتزون به ، وتصبح عملية التنمية حينذاك علاقة جوهرية بين الانسان والانسان ، إنسان العالم المتقدم وإنسان العالم النامى ، لأن الانسان هو الانسان فى كل زمان ومكان ، وهنا يكون إلهاب الحماسة ، وإثارة المشاعر الانسانية والبواعث الوجدانية أهم الجوانب فى عملية التنمية ، ويكون الهدف الرئيسي هو إقامة « المجتمع العالمى » و « الحضارة العالمية » .

وفى الوقت الذى ترتفع فيه هذه الأصوات الانسانية داعية إلى « التضامن العالمى » ، منادية بمزيد من الترابط بين شعوب العالم متقدمها ومتخلفها ، غنيها وفقيرها ، تتعالى أصوات أخرى فى الدول الكبرى تستحث حكوماتها على تخفيض برامج المعونة الخارجية ، وعلى التركيز على الانفاق الداخلى وحل المشكلات الداخلية أولا وقبل كل شىء . وعلى أساس هذه الدعوة الأخيرة أخـــذت المساعدات الحكومية التى تمنحها الدول الكبرى للدول الصغرى تتناقص وتنكمش ابتداء من عام ١٩٦٨ ، وبعد أن كان اسهام هذه الدول فى مساعدة الدول النامية يمثـــل ٥٤ر ٪ من دخلها القومى فى ســـنة ١٩٦١ ، انخفض فى سنة ١٩٧١ إلى ٣٩ر ٪ من ذلك الدخل ، وهذه هى الأرقام التى وردت فى تقرير بيرسون الشهير الذى أشار أيضاً إلى أن برامج المعونة الخارجية تتم فى جو « مثقل بالريبة وانقشاع الوهم »

ذلك أن الدول الكبرى كـــانت تحتضـن « أوهاماً » معينة تصبو إلى تحقيقها وراء ما تقدمه من معونة . كان تبدد هذه الأوهـــام نابعاً من الكشف عن « حقائق داخلية » أخرى فى تلك البلدان المتقدمة نفسها . إذ تكشف الأمر عن وجود « جيوب من الفقر والبطالة » قابعة فى أعماق مجتمعاتها ذاتها ، وكان التفاوت بين الجماعات والطوائف فى المجتمع

الواحد ، وهو تفاوت يزداد شدة وحدة مع السرعة التى تنمو بها تلك المجتمعات فى مجال التقدم الصناعى ـ حافزاً على « التمركز القومى » لتلك الدول ، انعكاسا « للتمركز الذاتى » الذى تتخذه تلك الطوائف والجماعات دفاعاً عن مصالحها وذودا عن منافعها ، وتطلعا إلى الرفاهية التى تنعم بها الطبقات العليا من تلك المجتمعات فى الشرق والغرب (وما أحداث عمال بولندا ببعيدة ، وكذلك ثورة الطلاب واضرابات العمال المتلاحقة فى العالم الغربى) . وكان هذا الانسحاب إلى القومية والذاتية والأنانية من جانب الدول الكبرى مدعماً بادراك نوع من الجحود الذى لقيته جزاء معونتها للدول الصغيرة ، وكانت تأمل بوعى قل او اكثر ـ أن تعود عليها هذه المعونة بشىء من الفائدة بعد أن تشرع الدول النامية فى التقدم ، وتكون هذه الفائدة على هيئة اعتناق لأفكارها ، ولطريقتها فى العيش ، وأسلوبها فى الحياة ، أى أن تحالفها فى السراء والضراء ، بيد أن الأمر جاء على غير ما تتوقع ، إذ قامت فى تلك الدول الصغرى سلسلة من الثورات والانقلابات والصراعات . وهكذا انتهت الدول الكبرى إلى هذه النتيجة وهى أنها قد أضاعت أموالها فى غير طائل ، واستثمرتها فى غير عائد .

وهنا أخذت الدول الكبرى تتساءل عن دوافعها إلى تقديم المعونة . إن الهدف الذى تزينه لها المحافل الدولية هو مساعدة الدول النامية على تنفيذ خططها للتنمية . وها هى تبوء بالفشل فى إنجاز تلك الخطط بالاضافة إلى ما قدمناه من أسباب دفعت الدول الكبرى إلى تخفيض معونتها . ولكن هل يتوقف الأب فى الانفاق على ابنه إذا رسب فى أحد الامتحانات ؟ هل يحجم المواطن عن ولائه لوطنه لمجرد أن حكومته تنتهج سياسة اقتصادية أو خارجية لا ترضيه ؟ بالطبع لا . ولكن هذا هو ما يحدث فى العلاقات الأصيلة التى لا تنفصم عراها ولا تتغير مهما تعاورت عليها التقلبات ، وطرأت عليها الأحداث ، وهى التزامات غير قهرية تنبع من الذات ، ويقبلها المرء راضياً مختاراً .

فهل يمكن أن تقوم بين بلدان العالم هذه العلاقة الحميمة من الالتزام الاختيارى الذى يترابط به أفراد مجتمع واحد لا انفصام للعلاقات التى تقوم بين بعضهم والبعض الآخر ؟ وبعبارة أخرى : هل يمكن أن تقوم المعونة على « أساس دائم » لا يخضع للمتغيرات والتقلبات التى تطالعنا بها وسائل الاعلام صباح مساء فى أنحاء العالم كله : شرقه وغربه .. شماله وجنوبه ؟

وهنا تبرز للعيان حقيقة لا ريب فيها وهى أن بلدان العالم لم تلتزم بعد بقانون أخلاقى يتحكم فى تصرفات بعضها تجاه البعض الآخر فحتى مع وجود دستور للأمم المتحدة وقوانين تخضع لها العلاقات الدولية هذا الدستور ، وتلك القوانين ليست معتمدة فى السلوك الفعلى للدول . وهذا راجع إلى تنازع المصالح وتضاربها من جهة ، وإلى اختلاف الايديولوجيات والأديان والثقافات من جهة أخرى . والسؤال المطروح الآن هو : هل يمكن أن ينبع من تلك العقائد المختلفة « التزام واحد » وإن اختلف التعبير عنه فى كل منها ؟ هل هناك « أمر مشترك » واحد بين شعوب الأرض جميعاً ، « أمر عالمى » يمكن أن يواجه « تحدياً عالمياً » ؟ هل هناك « معيار أخلاقى » واحد يمكن أن تتخذه دول العالم قاطبة وتؤمن به ؟

ثلاثة مواقف

والحجج التى تساق لتقديم المعونة إلى الدول النامية تنبع من ثلاثة مواقف أخلاقية :

● الصدقة أو الاحسان : بمعنى أن يتصدق الغنى على الفقير لكى يتخفف من شعوره بالذنب ، ويتخلص من تانيب الضمير ، ويخفف فى الوقت نفسه من آلام الفقراء الذين يعترضون سبيله ويشعرون نحوه بالحسد . وتنظر المجتمعات التقليدية إلى الفقراء بوصفهم ضحايا أبرياء لنظام محتوم للأشياء ، فهى تنظر إلى الفقر نظرتها إلى الكوارث الطبيعية التى تقع قضاء وقدراً ، ومن ثم لا يمكن القضاء على الفقر قضاء مبرماً ، وإنما من الممكن تخفيفه فحسب .

● المسئولية تجاه الفقراء : بمعنى أن يشعر الرجل الغنى بانه مسئول إلى حد ما عما يعانيه الفقير من فقر ، وبالتالى كان لزاماً عليه أن يمنح الفقير نسبة ضئيلة من ثروته التى لو أحسن توزيعها ، لكانت كافية لتلبية احتياجات الجميع هنا كانت الدعوة إلى العدالة الاجتماعية فى توزيع الثروة ، وقيام الجمعيات والهيئات الخيرية التى تهدف إلى تصحيح التفاوت بين الفقراء والاغنياء .

● اتقاء العنف من جانب الفقراء : ذلك أن الجماهير الفقيرة يمكن أن تلجأ إلى أعمال العنف تجاه الأغنياء ، مدفوعة بياسها من حالة الاملاق التى تعانيها . وتتوقى طبقة الأغنياء هذا العنف الذى قد تلجأ إليه « الطبقات الخطرة » بالتنازل عن أجزاء من ثروتها .

وفى الحالات الثلاث تكون الدوافع إلى تقديم يد العون للفقراء هى على التوالى العطف والشعور بالذنب والخوف ، وهى بلاشك دوافع تمد جذورها العميقة فى الضمير الانسانى والنفس البشرية ، وكان لها تأثيرها الذى لا سبيل إلى إنكاره على الرأى العام فى الدول المانحة للمعونة . وثمة قطاع من الناس فى تلك الدول يندفع متطوعاً متبرعا بطاقته واحياناً بحياته لتقديم معونة منزهة عن الغرض ، وهو يعتقد أنه إنما يفعل ذلك علاجاً للشرور الذى ارتكبتها أمته فى استعمارها للبلدان الفقيرة أو كانت مسئولة عنها . فلا جدال فى أن شطراً كبيراً من التخلف فى العالم الثالث يرجع إلى استنزاف الاستعمار لموارده الطبيعية ، وكبت حريات أبنائه وتعطيل نموهم الثقافى والمادى والروحى .. الخ . فكان طبيعياً أن تشعر الدول الامبريالية بشعور من الذنب تجاه مستعمراتها السابقة ، وبرغبتها فى اصلاح شىء مما أفسدته . ولا يقتصر هذا الشعور على الدول الاستعمارية الكبرى ، بل يشمل أيضاً الدول الصناعية المتقدمة بوجه عام التى اعتمدت فى تنمية مجتمعاتها على تصدير منتجاتها إلى البلدان النامية واستيراد المواد الخام من تلك الدول بابخس الأسعار ، واستغلال الأيدى العاملة فى صناعاتها وحروبها على السواء . ولعل أسوأ مثل على هذا الموقف هو تجارة الرقيق التى كانت تمارسها الدول الغربية الكبرى ، وهى الدول التى تعد مسئولة عن افقار افريقيا السوداء ، كما كانوا يسمونها . وعلى الرغم من انحسار الاستعمار عن معظم دول العالم ، فقد ظلت تلك الدول تدور فى فلكه إقتصادياً وثقافياً ، إن لم يكن سياسياً ، ومازالت معتمدة فى تحقيق أهدافها الانمائية على الدول المتقدمة صناعياً ، ولهذا كانت شروط التبادل الاقتصادى مجحفة ـ بوجه عام » للدول النامية ، ذلك أن الدول الكبرى تأخذ المواد الخام من البلدان النامية بأسعار غير ثابتة تحددها الاحتياجات الموقتة للدول الغنية ، ثم تبيع منتجاتها المصنعة من تلك المواد الخام بأسعار أعلى من الأسعار

● لاجدال في أن "المصلحة" وليس "الأخلاق" هي الدافع الرئيسي في العلاقات الدولية

● الدول الكبرى تحتضن أوهاماً معينة تصبو إلى تحقيقها وراء ما تقدمه من معونة

الالتـــزام الأخـــلاقي في مجـــال التـــنمـــيـــة

السائدة فى الدول المتقدمة حيث تؤدى للمنافسة إلى إغراق الأسواق بتلك السلع ، وموجز القول أن البلدان النامية تلعب دوراً ثانوياً فى عملية السوق العالمية ، على حين تربح الدول الغنية ربحاً إضافياً من البـــلدان النامية ، عند طرفى الدائرة الاقتصادية بائعة ومشترية .

الشـــعور بالذنب

أضف إلى ذلك أن الثقافة الغربية مسئولة إلى حد كبير عن الدعوة إلى العقلانية التاريخية والتقدم التكنولوجى ، مما حدا بدول العالم كله ـ أرادت ذلك أو لم ترد ـ أن تأخذ بأسباب التقدم الحضارى فى الاطار الذى رسمته الثقافة الغربية ، أعنى إطار « العلمنة والتصنيع » . فاذا أراد الفكر الغربى أن يكون متسقاً مع نفسه ، فينبغى عليه أن يقبل نتائج تلك النزعة العالمية الشاملة » التى جعلها من مبادئه .

بيد أن الشعور بالذنب لا يمكن أن يدوم طويلا ، لأنه من المشاعر التى يود المرء التخلص منها سريعاً ، وبالتالى فان المتهم يصبح متهما ، ويقوم بتوجيه النقد إلى البلدان التى سبق أن استعمرها لأنها لم تستطع أن تفيد من استقلالها . والعطف نفسه يمكن أن يكون دافعاً إلى الضجر والملل ، بل إن البلدان موضع العطف تميل إلى التخلص منه لأنه مهين لها محقر لشانها . وكذلك الخوف لا يمكن أن يستمر حافزاً على المعونة ، وقد يؤدى الخوف من العنف إلى اصطناع العنف . ولهذا لا يمكن أن يقوم « التزام أخلاقى » دائم على هذه الأسس العاطفية الثلاثة التى تتسم بالتقلب والتحول والوقتية .

و « الالتزام الأخلاقى » معناه أن نرى كل حياة إنسانية جديرة بالاعتبار وأن لكل إنسان علينا حق الاحترام بوصفه إنساناً .

والصيغة التى وضعها « كانت » للأمر المطلق فى الأخلاق : « اعمل بحيث تعامل الانسانية فى شخصك وفى أى شخص آخر كغاية لا كوسيلة » ما برحت هى الصيغة التى يقوم عليها « الالتزام الأخلاقى » تجاه الآخرين . فهل يمكن أن يكون هذا القانون الأخلاقى هو نفسه القانون الذى تتأسس به العلاقة بين الدول ؟ قد يكون من المفهوم أن يلتزم الفرد فى مجتمع ما بهذا القانون الأخلاقى تجاه مواطنيه نظراً لوحدة المصير المشترك التى تربط بين أبناء الوطن الواحد . ولكن ، كيف نقنع فرداً فى دولة متقدمة بأن يلتزم بهذا المبدأ نفسه تجاه بلد متخلف ، وأن يأخذ نفسه بشىء من التضحية من أجل أبناء بلد لا ينتمى إليه ؟

نحو ســـلام دائم

إن للأمر المطلق الذى وضع « كانت » صيغته المشار إليها صفة الشمول والكلية ، ولكنه من حيث التطبيق فى العلاقات الدولية فانه يحتاج إلى قيام حكومة عالمية ، وهذه الحكومة العالمية مازالت حلماً طوباوياً لم يخرج بعد إلى حيز الواقع . ولهـــذا يقترح « كانت » فى كتابه « نحو سلام دائم » أن تبرم دول العالم فيما بينها « عقداً اجتماعياً » مع احتفاظ كل منها باستقلالها وسيادتها ، ويتأسس على هذا العقد حق جديد هو حـق « المواطنة العالمية » وهو شرط مبدئى ينبغى أن يتحقق قبل أن تتمتع كل دولة ـ وبالتالى كل فرد ـ بسلام دائم بدلا من أن تظل دائماً عرضة للقرارات المتعسفة وللتهديد بالحرب .

كان ذلك فى القرن التاسع عشر . أما فى عصرنا الحالى فان اشتراك دولة ما فى القانون الدولى يتطلب شروطاً اقتصادية واجتماعية معينة وتتضمن هذه الشروط أقصى استغلال ممكن لمواردها من جهة ، وزيادة فى حجم تجارتها من جهة أخرى . ومن ثم لم يعد السلام مجرد تهيئة الظروف السياسية التى تسمح للدول بعقد اتفاقات تجارية فيما بينها ، بل إنه يقتضى إقامة النظم والمؤسسات واتخاذ الوسائل التى تتيح للدول كافة ـ وبخاصة الدول النامية ـ أن تستغل مواردها أفضـــل ممكن بمساعدة الدول الأخرى ، وهكذا لم يعد السلام مطلباً سلبياً بتجنب الحرب ، بل أصبح مطلباً إيجابياً ينشأ عن تنسيق أو تنغيم تطلعات الدول المختلفة التى يسعى كل منها إلى تنمية نفسه بطريقته الخاصـــة . وبذلك لا يتوقف السلام على التجمعـــات بقدر ما يتوقف على الترابطات الدينامية التى تستهدف غايات إنمائية متبادلة .

وكما نعلم أن التخصص قد أصبح سمة من سمات العصر الحديث بين أفراد الأمة الواحدة فكذلك يمكن أن نعده سمة من سمات الأمم المختلفة داخل الاطار العالمى ، بحيث أصبح احتياج الأمم بعضها إلى البعض الآخر حقيقة لا مراء فيها لا نستثنى من ذلك أمة كبيرة أو صغيرة . ولهذا يفترض التعاون بين الـــدول ترشيداً لاستخدام موارد العالم لرفع مستوى الأمم والأفراد فى آن واحد ، وبالتالى تكون التنمية هى المبدأ وهى الغاية من تقديم المعونة ، ويكون الأساس الذى يقوم عليه القانون الدولى ـ من ناحية التطبيق العملى ـ هو الرغبة المتبادلة فى التنمية . فلو أن التفاوت بين البلدان المتقدمة والبلدان النامية أخذ يتزايد لاستحالت التجارة بينهما ، ولتوقفت العلاقات الدولية تماماً ، وأصبح الجو مهيئاً لنشوب الحروب ، وسيادة الهمجية

ومساعدة الشعوب الأخرى على التنمية معناه إعانتها على تأسيس حقها فى الانضمام إلى عضوية المجتمع الدولى التى لا يمكن بدونها أن تتمتع الدول بسلام دائم ، وحياة مستقرة . والبديل الوحيد لهذه النزعة الانمائية الشاملة هو هيمنة دولة كبرى على العالم أو التنافس على هذه الهيمنة بين أكثر من دولة ، وبالتالى العودة إلى استعمار الشعوب التى ظفرت حديثاً باستقلالها ، أو استعمار شعوب لم تعرف الاستعمار من قبل .

إحياء الناس جميعا

وهذا هو ما يدفعنا إلى القول بأن الدول الكبرى حين تساعد الدول الصغرى فانما تساعد نفسها فى حقيقة الأمر من حيث انها تنتمي إلى مجتمع دولى واحد ، وتشارك فى سلام منشود ، ولهذا الغرض انشأت الأمم المتحدة ومنظماتها ووكالاتها الدولية المتخصصة ضماناً وتنظيماً للعلاقات المتبادلة السليمة بين الدول المانحة والدول المتلقية . ومهما تكن العثرات والعقبات التى تعترض طريق هذه المؤسسات الانمائية الدولية والوليدة ، فانه لا مندوحة عن الاعتراف بأنها تتحدث باللغة العالمية الوحيدة التى تتجاوز حدود القوميات والايديولوجيات وبأنها تمثل البدايات الصحيحة على طريق المجتمع العالمى الجديد .

وكما أن « الالتزام الأخلاقى » يخلو من مضمونه ، ويتجرد من معناه ان لم يخرج الى مجال التطبيق والفعل ، فانه لا يتقدم فى مسيرته ان لم تزدد الدائرة التى يشملها اتساعاً . فالمتتبع لتاريخ التقدم فى الأخلاقيات البشرية يجد أن هذا التقدم يتم على هيئة توسع وامتداد للواجبات والالتزامات لتشمل تجمعات بشرية أوسع وأكبر . القبيلـة ،

الطائفة ، المدينة ، الأمة ، الدولة ، العالم كله . وهذا ما يمكن أن نسميه التقدم الافقى للأخلاقية ، وان يكون من الواجب ان يواكبه تقدم رأسى ، أى تقدم فى طبيعة الأخلاقية نفسها حين تزداد عمقاً وتعقيداً . وربما لمسنا هذين الاتجاهين للتقدم الأخلاقى فى هذه الآية الكريمة من سورة المائدة : « من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل انه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ..... » (آية ٣٢) .

الالتزام الأخلاقى يمكن أن يكون إذن رسالة ذات شعبتين : تحقيق الذات والمساعدة على إحياء ذوات الآخرين ، أو بمعناها الشامل إحياء الناس جميعاً . وهنا لا تكون التنمية مجرد نشاط خارجى ، أو واجب على المجتمعات أن تؤديه ضمن سائر الواجبات الأخرى ، بل تصبح ضرورة مرتبطة بماهية الانسان وحريته ورسالته الروحية ، وتعبر حينئذ عن طموح الانسان إلى النمو والتقدم والكمال ، فلا تكون التنمية مجرد واجب اخلاقى قائم على أساس مبادىء أخلاقية معينة ، بل تكون هى الموقف الأخلاقى نفسه بلا منازع ، من الذات ومن الانسانية ككل .

ويقتضى هذا الموقف الأخلاقى أن نساعد الآخرين على أن يصبحوا أكثر إنسانية ، والمساعدة معناها تقديم الوسائل وتوفير السبل . ولا يكون ذلك إلا بالعمل على استخدام الموارد الطبيعية لصالح البشرية جمعاء ، وتنمية الثروة وتوزيعها بالقسط على الناس ، فالمطلوب هو إضفاء الطابع الانسانى على ضروب التبادل الاقتصادى الدولية بحيث نتجاوز النظرة الحسابية الضيقة ، نظرة الربح والخسارة ، وأن نجرى أنواعاً أخرى من التبادلات تكون أكثر اتساعاً وتنوعاً من التبادلات القائمة حالياً ، وبفضل هذه الأنسنة – إن صح هذا التعبير – تفقد السلع تدريجياً أهميتها الكمية والنقدية لتصبح علامات على النشاط الابداعى ودعوات للحوار الاجتماعى ، والمعرفة ، والحياة الحافلة بالحيوية والتنوع . وتصبح الرغبة فى العطاء – وهى من أهم الدوافع الانسانية – أساساً من أسس الاقتصاد الدولى ، على ألا يفهم هذا الدافع بوصفه مرادفاً للاحسان ، بل بوصفه مقوماً من مقومات الروح الانساني ، وعنصراً أساسياً من عناصر النزعة الغيرية فى الانسان . وهذا الاقتصاد الجديد يدفعنا إلى التخلص من اقتصادنا القديم القائم على التنافس ، ويشمل تدريجياً على أمور لا سبيل إلى التعبير عنها بالأرقام كالعلاقة بين الأفراد والعلاقة بين الأمم ، وأسلوب الحياة ، وتقدم الثقافة ، والسعادة والحرية .. الخ . ولم تعد هذه الأمور كلها الآن مجرد أحلام طوباوية ، وذلك أن الوسائل التى أصبحت فى متناول التكنولوجيا بلغت حداً من القوة يجعلها مؤدية إلى الخراب والدمار إن لم توجه إلى التنمية المشتركة . فمن الممكن توجيه الصناعة المتقدمة وبخاصة الصناعة النووية إلى الأغراض العسكرية أو الأغراض السلمية على حد سواء وهذا إنذار كاف للبشرية : ألا تتوانى فى الاختيار بين الفناء الشامل او الخلاص الشامل .

بين التنمية والتقدم

وهذا الطابع الحيادى للتكنولوجيا يجرنا إلى تفرقة هامة بين التنمية والتقدم . فقد يحدث فى كثير من الأحيان أن ينشىء الاستعمار من الأنظمة وينشر من المعرفة والعادات ما يؤدى إلى « التقدم » التقنى ، بيد أن هذا التقدم لا يتجاوز حدود الاستيعاب أو المحاكاة أو التبعية . أما التنمية فهى استغلال القيم والامكانيات الخاصة بكل شعب على حدة ، وهى تفترض الايمان بقدرة كل المجتمعات على استخدام « أدوات » التقدم لصالحها . فليس من الضرورى أن يكون النموذج الغربى – أى الاستجابة الغربية للتقدم التكنولوجى – هو المعيار المحتوم لكل تنمية . وهذه التفرقة ضرورية للتمييز بين المساعدة الحقيقية على التنمية والمساعدة التى يتستر وراءها الاستعمار لاستعادة سيطرته على دول العالم الثالث . والتضامن ليس مرادفاً للتجانس بل إن التنوع هو أساس التبادل النافع بين الشعوب . والشعب المتمسك بتقاليده ، المدرك لشخصيته هو وحده الذى يستطيع أن يقيم علاقة سليمة مع شعب آخر يختلف عنه ، إذ يكون لديه حينئذ ما يقوله . وكثيراً ما يصاحب الطموح إلى التنمية تطلع للبحث عن الهوية ، ورغبة فى أن يكون الشعب ذاته ، فلا عجب أن تكثر فى هذه الآونة الأبحاث المكرسة لقضية التراث فى بلدان العالم الثالث .

ولا يتعارض البحث عن الذات مع الانفتاح على الآخرين ، كما لا تتنافى القومية مع التضامن العالمى ، ذلك المثل الأعلى الذى وضعته الثقافة الغربية لشعوب العالم كافة . فمن التناقض البين إذن أن تأتى الدول الكبرى اليوم فتمتنع عن مساعدة بلدان العالم الثالث التى اعتنقت هذه المثل العليا فى الحرية والاخاء والمساواة بعد أن أوشكت هذه التعاليم أن تؤتى ثمارها ، ولا يمكن أن تعيش أية مدينة إن هى غلقت على نفسها الأبواب ولم تشارك غيرها فى ثمار حضارتها ، خاصة وأنها هى التى عملت على نشر هذه المبادىء ما وسعها الجهد وتحملته الطاقة . فهى عندما تتنكر لمطالب الشعوب الصغيرة فانما تتنكر لصورتها ، وترفض النموذج الذى أقامته للاحتذاء .

وربما كان هذا التناقض الواضح فى موقف الشمال من الجنوب هو الذى يفسر لنا موجات الاحتجاج الصارخة التى انطلقت من الشباب المثقف فى الدول المتقدمة ضد النظم القائمة . فقد صدمهم فى حقيقة الأمر ذلك التعارض الواضح بين ما ينادى به ساستهم من مبادىء سامية ، وبين ما يمارسونه من سياسات مكيافيلية . فهناك سباق التسلح والعنصرية والتخلف ، وانقسام العالم إلى أغنياء وفقراء ، كل هذا لا يكف عن وخز ضمائر البلدان الصناعية ، وما سخط الأجيال الشابة إلا علامة على سوء الطوية الذى يضمره الشمال للجنوب . والسؤال المطروح الآن هو : متى تسلك الدول الكبرى سلوكاً يتفق مع مبادئها المعلنة ومثلها العليا التى تبشر بها منذ أواخر القرن الثامن عشر ؟

مواجهة الخطر المشترك

إن الخطوات الأولى التى يخطوها العالم الآن نحو التعاون تدل على أن البشرية تتطلع إلى الوحدة ، وأنها تتقدم على جبهة واحدة لمواجهة خطر مشترك . ولن يحقق الأفراد والأمم رسالتهم الخاصة إلا إذا قبلوا التنمية بوصفها مهمة تتجاوزهم وتوحدهم فى آن معاً . وقد أصبح استغلال موارد العالم واكتمال الجنس البشرى غايتين لا تنفصل إحداهما عن الأخرى ، وصارت المساعدة الانمائية ضرورية للشمال ضرورتها للجنوب .

فؤاد كامل

● إن الخطوات التي يخطوها العالم الآن نحو التعاون تدل على أن البشرية تتقدم على جبهة واحدة لمواجهة خطر مشترك



ومـــرّت أربعـــون ســـــنـــة :

مـي زيـادة

حيـاتـهـا ومأسـاتـهـا

بقلم : الدكتور كمال نشـأت

في يوم ٢٠ اكتوبر (تشرين أول) من العام الماضي تكون قد مرت على وفاة الأديبة النابغة «مى زيادة» أربعون سنة كاملة ، إذ أنها توفيت في العشرين من اكتوبر عام ١٩٤١ ، وحيدة منسية .

وعلى الرغم من ألمعيتها ، والشهرة التي حققتها ، في وقت كانت المرأة العربية فيه قعيدة المنزل ، بعيدة عن الاشتراك في الحياة العامة ، فان هذه الشهرة لم تستطع أن توطد لها مكاناً بحيث تفرض نفسها على الناس ، فتحتفل بذكراها المجلات والجرائد والاذاعة والتليفزيون كما يحدث لغيرها من الأدباء والمفكرين .

وإننا نتساءل : أيرجع ذلك إلى أنها كانت من الكتاب المنشئين الذين كان أدبهم يدور في قالب المقالة والخواطر النثرية كالرافعي وأغلب كتابات المنفلوطي ؟ أيرجع إلى أن كل اهتمامها الأدبي انصب على تصوير خوالج ذاتية وأنها كانت مهتمة ـ إلى جانب ذلك ـ بقضية المرأة العربية ، في فترة أصبحت الآن تاريخاً ، بعد أن شاركت المرأة في الحياة العامة هذه المشاركة الفعالة في مجالات الحياة المختلفة ؟

ربما تكون الاجابة على هذين السؤالين هي السبب ، فان المرحلة التي عاصرتها مي قد أبرزت كثيراً من الكتاب والمفكرين ، ولم يبق التاريخ القريب منهم إلا العمالقة الذين تجاوزوا شكل المقالة والخواطر الذاتية والقضايا العامة الآنية فكتبوا الدراسات والأبحاث كما كتبوا في النقد التطبيقي ، وفي الترجمة المحللة لشخصيات تاريخية كبيرة ، وفي القصة والرواية كما فعل طه حسين والعقاد ، وظل في الحدود الزمنية لهذا الجيل كتاب مرحليون ، كان لهم أثرهم في هذه الحقبة من تاريخنا الأدبي منهم الرافعي والمنفلوطي .

●●

ولدت «مارى إلياس زخور زيادة» في الناصرة عاصمة الجليل في فلسطين ، من أب لبناني يعمل معلماً ، وأم فلسطينية من الناصرة ، ولم ينجبا إلا ابنتهما هذه ، فكانت «مى» طفلتهما الوحيدة ، اشتغل الأب بالتعليم في هذه المدينة الصغيرة التي نالت شهرة لأن المسيح عاش فيها صباه وفترة من شبابه ومن هنا أصبحت مزاراً معروفاً . عاشت «مى» ثلاثة عشر عاماً فيها ، وقضت أربعة أعوام في معهد للراهبات ، ثم انتقلت إلى لبنان حيث قضت خمسة أعوام في معهد للراهبات أيضاً في قرية «عينطورة» وليس من شك في أن جو المعاهد الدينية ـ وكان غالباً في أديره والمدرسات راهبات ـ قد ترك أثره في نفسها الحساسة ، خاصة أنها كانت تحس بوحدة قاسية ، فهي وحيدة والديها .. وهي وحيدة في الدير الذي تغادره الطالبات في المناسبات كالأعياد ، وها هي «مى» تسجل في مذكراتها صورة لهذه الفترة من حياتها .. تقول على لسان (عائدة) وهو الاسم الذي كتبت المذكرات ونسبتها إليه (أخذت «عائدة» تكتب ، ولا سيما أن عيد الميلاد قد دنا ، وأخذت أيام العام الأخيرة تسرع نحو هوة العدم

كانت تكتب لأن رفيقاتها الصغيرات أخذن يغادرن الدير ليصرفن الأسبوع بين أهلهن المقيمين في المدينة أو ضواحيها . وعائدة من بلدة بعيدة كل البعد ، لذلك لا يزورها من ذويها في العيد أحد . وستقضي هذه الأيام وحدها بين أولئك النسوة الصائمات المصليات الزاهدات ، اللائي كانت تشعر بأن منهن غير السعيدات رغم امتثالهن الظاهري ، فتودع رفيقاتها الواحدة بعد الأخرى متمنية لهن عيداً سعيداً . حتى إذا مضت آخرهن انطلقت إلى الكنيسة وحجبت وجهها بيديها وأجهشت بالبكاء وكان مساء العيد حزيناً ، وجوّه مكفراً ، والدير صامتاً كتوماً ، مرمريا كالمقابر القديمة يضن بخفاياه ، وكان لعائدة

« إنما حياة الانسان على الأرض جهاد مستمر رغم كونها محض عبور ورغم أننا نموت فى ذاتنا كل يوم .. »

« مى زيادة »

يومئذ أن تفعل ما شاءت دون قانون يقيدها فتقضى أكثر أوقاتها فى غرفة الموسيقى المنفردة فى أطراف الحديقة تخيم عليها الأشجار ذات الغصون العارية . هنالك جلست طويلا والسماء تمطر رذاذاً ، ثم نهضت إلى البيانو وما كادت تمس أصابع العاج حتى سحبت يدها قائلة : «ما أشد برد البيانو !» ثم أضافت : بل البرد فى يدى ، البرد فى روحى ، البرد فى وحدتى وغربتى وألقت برأسها إلى خشب الآلة الموسيقية ، على أن يداً لطيفة اجتذبتها مداعبة شعرها وخدها ، فصرخت الفتاة قائلة «اتركنى» لا أريد أن يشفق علىَّ أحد لأنى لا أطلب الشفقة ..) .

... إلى القاهرة

وعادت «مى» إلى الناصرة بعد ان انتهت من دراستها فى «عينطورة» ، عادت لتعانى فراغاً كبيراً حاولت أن تبعده بقراءات فى الأدب الفرنسى ، فقد كانت تجيد الفرنسية وبعضاً من اللغات الأجنبية الأخرى . الا أن هذه القرءات قد توقفت زمناً لانتقال الأسرة إلى القاهرة عام ١٩٠٨ . سافرت الأسرة إلى هذه المدينة التى كانت مناراً أدبياً وفكرياً على الساحة العربية الكبيرة ، وهناك عمل أبوها فى الصحافة فترة أصدر بعدها جريدة (المحروسة) ، وفى مصر تفتحت مواهب «مى» فابتدأت تكتب فى جريدة أبيها ، وأخذت كتاباتها تظهر بعد ذلك على صفحات الجرائد والمجلات المصرية كما كثر وقوفها خطيبة أو محاضرة فى النوادى المختلفة ، وفى عام ١٩١١ أصدرت ديواناً باللغة الفرنسية أسمته (أزاهير حلم) واختارت اسماً مستعاراً هو «ايزيس كوبيا) ، إلا أن «مى» كشخصية أدبية لم تعرف على نطاق الصعيد الأدبى إلا بعد أن استقبلت كبار الأدباء والمفكرين فى منتداها الأدبى بمنزلها كل يوم ثلاثاء . كانت «مى» فى هذه الفترة شابة متألقة ، جميلة ، لبقة تعرف كيف تدير الحديث ، وكيف تجالس صفوة المفكرين والمثقفين المصريين والعرب الذين كانوا يزورون القاهرة . لقد كان يوم الثلاثاء عيداً للفكر ، ولقاء خصباً للأرواح الخصبة .. لطفى السيد ،

اسماعيل صبري



جبران خليل جبران



وطه حسين ، وعباس العقاد ، وحافظ ابراهيم ، والرافعى ، وإسماعيل صبرى ، والبشرى ، وولى الدين يكن ، ومنصور فهمى ، ومطران ، ومصطفى عبد الرازق ، والمازنى ، وغيرهم .

يقول اسماعيل صبرى ذاكراً يوم الثلاثاء فى بيتين اشتهرا بعد ذلك :

روحى على دور بعض الحى هائمة
كظامىء الطير تواقا إلى الماء
إن لم أمتع بمى ناظرى غداً
لا كان صبحك يا يوم الثلاثاء

ويصف طه حسين هذا المنتدى الأدبى .. يقول : «كان الذين يختلفون إلى هذا الصالون متفاوتين تفاوتاً شديداً ، فكان منهم المصريون على تفاوت طبقاتهم ومنازلهم الاجتماعية ، وعلى تفاوت ألسنتهم أيضاً ، وكان منهم السوريون ، وكان منهم الأوربيون على اختلاف شعوبهم وكان منهم الرجال والنساء ، وكانوا يتحدثون فى كل شىء ، ويتحدثون بلغات مختلفة بالعربية والفرنسية والانجليزية خاصة ، وربما استمعوا لقصيدة تنشد أو مقالة تقرأ ، أو قطعة موسيقية تعزف ، أو أغنية تنفذ إلى القلوب . وقد أتيح لى أن أكون من خاصة «مى» بفضل الأستاذ لطفى السيد فكنت أتأخر فى الصالون حتى ينصرف الزائرون ، وما أكثر الليالى التى انصرف فيها الزائرون جميعاً ، ولم يبق منهم إلا الأستاذ لطفى السيد ، ومحمد حسن نائل المرصفى ـ رحمهما الله ـ وأنا .. وفى تلك الوقت كانت «مى» تفرغ لنا حرة سمحة ، فنسمع من حديثها أو إنشائها ، ومن عزفها أو غنائها ..» .

ويقول العقاد عن براعتها فى الحديث كأديبة وسيدة صالون : (لا يحضرنى مثل لذلك أدل على البراعة من إدارتها الحديث فى مجلس حضره نحو ثلاثين كاتباً وأديباً ووزيراً للتشاور فى الاحتفالات بالعيد الخمسين للمقتطف وكان اجتماع هذا المجلس عندها فى إبان المنازعات السياسية التى وصلت بكثير من الكتاب والأدباء إلى حد التقاطع والعداء .. قضينا عندها ساعتين نسينا

مي زيادة

حياتها ومأساتها

فيها أن فى البلد أحزاباً أو منازعات سياسية بفضل براعتها فى التوفيق بين الآراء والأمزجة ، وقدرتها على توجيه الحديث إلى أبعد الموضوعات عن الخلاف والملاحاة) .

وعلى الرغم من أن ميـاً قد أثارت مشاعر زوارها واعجابهم ، ومنهم من أحبها ، ومنهم من ادعى أنها تحبه ، فان أحداً منهم لم يجرؤ على مفاتحتها فى الزواج منها ، ولا نســـتثنى غير المتزوجين .. لا لأنها مسـيحية وأغلب المعجبين بها مســـلمون ، ولـكن لأن ظروف المجتمع المصرى الشرقى فى ذلك كانت تقف سداً قوياً أمام هذه الفكرة .

خطرت لى هذه الخاطرة وأنـــا أشاهد فى شهر أكتوبر الماضى فى تليفزيون بغداد مسلسلة عن حياة عباس العقاد أسماها كاتبها عامر العقاد ـ والعقاد عمه ـ «العملاق» . وقد تعرضت المسلسلة إلى علاقة العقاد بمى ، وإذا بالعقاد فى هذه المسلسلة يبدو فى صورة المحب المتحفظ ، والرجل الجريء فى مخاطبة النساء ، وإذا بمى عاشقة مولهة تذرف الدموع وتطارد العقاد باكية ذليلة .. وهنا وقفت حائراً .. فالمعروف ان الرافعى كان يحبها ويدعى أنها تحبه ، ويقول بعض من كتبوا عن العقاد انهـا كانت تحبه ، أما زكى مبارك فقد كان يغص بعطف لطفى السيد على مى ، ويقال إنه كان يُعمل لسانه فى هذه المسألة ، وقد تناولت فى كتابى عن مصطفى صادق الرافعى الذى صدر عام ١٩٦٨ فى سلسلة الأعلام هذه القضية خاصة ما يتعلق منها بالرافعى ، ولكن الذى لاشك فيه هو أن مياً أحبت جبران خليل جبران ، فرسائلها ورسائله دليل مادى على هذه العلاقة الروحية التى قامت بينهما ابتداء من عام ١٩١٢ حين أرسلت «مى» خطاباً إلى جبران تعرب فيه عن اعجابها بأدبه واستمرت المكاتبات بينهما حتى قطعتها الحرب الكبرى ثم عادت بعد الحرب لتنقطع بموت جبران عام ١٩٣١ .

مى تعتزل الناس

وبموت يعقوب صروف مرشدها وصديقها عام ١٩٣٠ ، ثم موت أبيها الذى تلاه موت أمها وموت حبيبها جبران بعد هؤلاء اشتدت أزمة وحدتها ، فاعتزلت الناس ، وأدمنت التدخين ، فاهتزت أعصابها وانهارت نفساً وجسداً . وقد حكى لى الصحفى أسعد حسنى منذ سنوات انه فى هذه الفترة الأخيرة من حياتها ذهب بصحبة سلامة موسى لزيارتها ، ولكنهما فوجئا وهى تفتح لهما باب شقتها بامرأة نال منها الشحوب والهزال وهدمتها شيخوجة مبكرة ، فانصرفا بسرعة منعاً لاحراجها .

ابراهيم المازنى



لطفي السيد



وقد سمع أهلها بحالتها المتردية ، فجاء قريبها الدكتور جوزيف زيادة من بيروت وصحبها معه إلى لبنان ، وهناك أدخلوها مستشفى (العصفورية) وهو مستشفى للأمراض العقلية .

واندلعت الحرب العالمية الثانية ، وشغل الناس بأخبارها ، وفي العشرين من شهر أكتوبر عام ١٩٤١ ماتت «مى زيادة» وحيدة ، مكسورة الجناح والمشاعر . وقد أقيم لها حفل تأبين شاركت فيه صفوة من الأدباء ، كان منهم العقاد الذى رثاها بقصيدة قال فى بعض أبياتها :

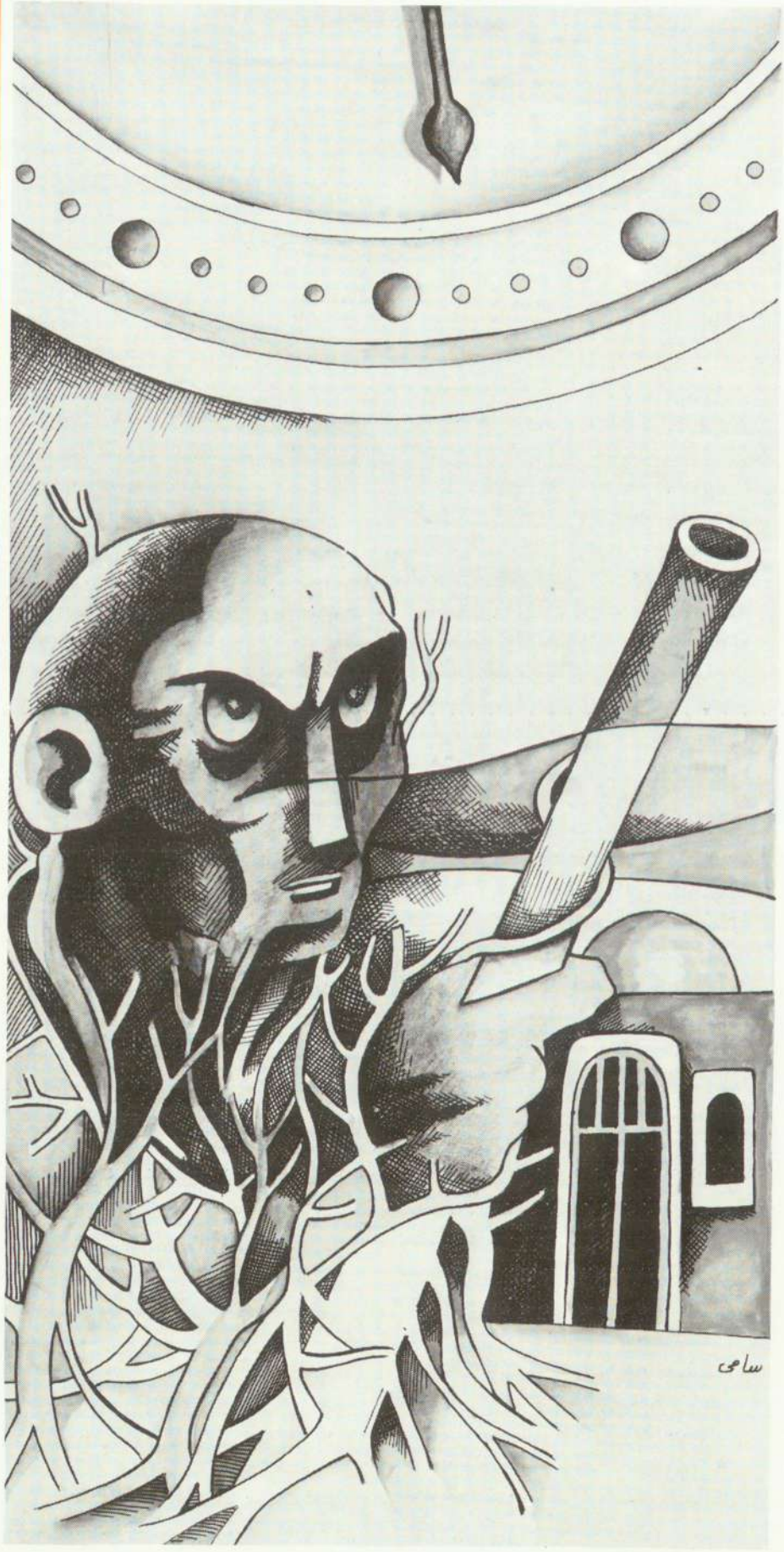
أين فى المحفـــل مى يا صـــحاب
عودتنـــا ها هنا فصل الخطـــاب
عرشـــها المنبر مرفوع الجنـــاب
مستجيب حين يدعى .. مستجاب

خلفت «مى» وراءها ١٥ كتاباً تدور كلها حول خواطر منثورة أقرب إلى روح الشعر إن لم تكنه ، وأحاديث ومقالات تتناول قضية المرأة العربية وتحررها . وقد كانت صاحبة أسلوب شاعرى شفاف ولعلنا نلمس هذه الصفة فيه حين نقرأ قولها فى رثاء عصفور من عصافير الكناريا : « طائر صغير نسجت أشعة الشمس ذهب جناحيه ، وانحنى الليل عليه فترك من سواده قبلة فى عينيه ، ثم سطت عليه يد الانسان ، فضيقت من دائرة قضائه وسجنته فى قفص كان بيته فى حياته ، ونعشه فى مماته . طائر صغير أحببته شهوراً طوالا ، غرد لكآبتى فأطربها ، ناجى وحشتى فأنسها ، غنى لقلبى فأرقصه ، ونادم وحدتى فملأها حناناً » .

د. كمال نشأت ـ بغداد

الانتظار

قصة بقلم : يوسف الشاروني



فى حجرة التحقيق جلس صابر ـ ابن تلك القرية شبه الجبلية شبه الريفية حيث يضيق وادى النيل ـ يروى للمحقق كيف استراح أخوه فى قبره :

منذ أربعين سنة سهرت قريتنا احتفالا بزفاف أخى عامر . ووسط انطلاق الزغاريد والرصاص ابتهاجاً بالزفاف ، انطلقت رصاصة فى قلب أخى ، وسالت دماؤه أمامنا فوق ملابس عرسه .

أغمى على العروس وولولت النساء ، وأعلن شهود الحادث ان القاتل زيدان ، انتقم من عامر لأنه تزوج سعدية التى كان يحبها .. عندما أفقنا من ذهولنا حاولنا الفتك به ، لكنه كان قد اختفى عن القرية كلها . أربعون عاماً لا نعرف عنه شيئاً . لكننى كنت قد أقسمت على الانتقام ولو بعد مائة سنة .

واليوم عاد زيدان ـ بعد ان أصبح تاجراً كبيراً من تجار الاسكندرية ، وجدا لأحفاد والبياض في شعر رأسه ـ محملا لأهله بالهدايا وبالشوق لرؤيتهم وبتوهم الامان بعد سنوات الهرب والخوف . تغير كل شيء ، حتى سعدية ماتت ، كل شيء .. الا انتظارى . راح يعانق اقرباءه لتنهال عليه قبلاتهم ، ووسط انطلاق الزغاريد انطلقت رصاصتى فى قلبه . كان عائداً يظن أن دم أخى عامر راح هدراً لكنى كنت أنتظر . قضيت على فرحتهم كما قضوا على فرحتنا منذ أربعين عاماً . والآن يمكننى أن أقيم العزاء فى وفاة أخى .

وأخرج صابر ـ ذو الستين عاماً ـ مظروفاً من جيبه ناوله للمحقق قائلا : هذه مائتا جنيه ـ هى كل ما ادخرته خلال هذه السنوات ـ لهذه المناسبة ، سلمه لأهلى ليقيموا سرادقاً للعزاء ويشيعوا جنازة عامر من جديد .

وقبل انتهاء التحقيق ، فجأة سقط رأس صابر على مكتب المحقق ، وعندما جاء الطبيب أعلن أنه فارق الحياة .

عملية "أم القطن"

التي أشعلت الثورة وأضاءت الطريق

بقلم : عصام شريح

يقول الكاتب والمحلل العسكري العربي المعروف السيد الهيثم الأيوبي ، « ان نجاح الثورة الفلسطينية فى البقاء حية حتى الآن ، يشكل فى حد ذاته انتصاراً يرقى إلى مستوى المعجزة » .

ويروى السيد هاني الحسن ـ المستشار السياسي لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، ان الزعيم الصيني الراحل « ماوتسي تونغ » قال لوفد فلسطيني زار بكين فى عام ١٩٦٤ ما يلى : « لقد درست قضيتكم ، والظروف المحيطة بها بدقة .. انها قضية صعبة ، تتداخل فيها المشاكل تداخل اسنان القرش (سمك القرش) ، فاذا تمكنتم من تفجير ثورة والاستمرار فيها ، فاننى سأكون سعيداً لدراسة قوانين جديدة لحرب شعب فى ظروف لا تنطبق عليها قواعد حرب الشعب التقليدية » .

ثم يروي السيد هاني الحسن حادثة اخرى فيقول ، انه زار بكين فى عام ١٩٧٤ ، واجتمع إلى رئيس وزراء الصين انذاك ، والرجل الثانى فى القيادة الصينية « شوآن لاي » ، الذى ابلغه ما يلى :

« لقد درست قضيتكم ، ووجدت فيها شيئاً محيراً ، وهو أن ظروفها الصعبة ، ولياليها السوداء لا تطول إذا ما استمريتم فى النضال ،والمهم أن تجدوا جبهة تستمرون فيها بعمل مسلح ذي صوت مسموع » .

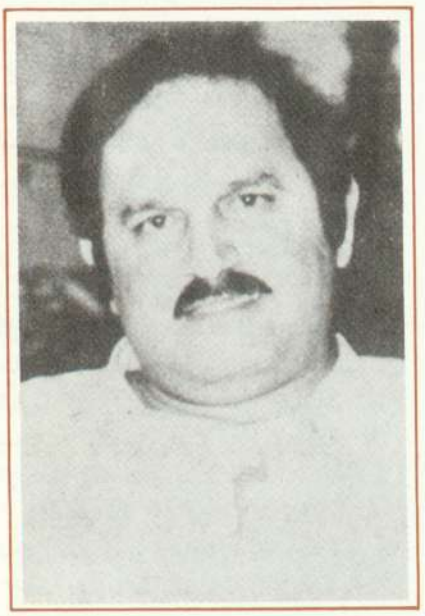
ومن الواضح هنا الفارق بين التقييم الصيني للثورة الفلسطينية فى عام ١٩٦٤ ، وبين التقييم فى عام ١٩٧٤ ، وهذا الفارق يعود إلى الظروف الصعبة بل البالغة الصعوبة ، التى نشأت فيها الثورة الفلسطينية التي أطلقت رصاصتها الأولى نحو العدو الصهيونى فى ١ ـ ١ ـ ١٩٦٥ .

وقد تمثلت هذه الظروف العصيبة ، فى واقع التجزئة الذى خلفه الاستعمار وراءه فى العالم العربى ، وفى حجم السيطرة والهيمنة التى كانت للامبريالية فى ذلك الوقت ، وفى الأهمية الاستراتيجية للمنظمة العربية وثرواتها اضافة إلى الطبيعية التوسعية ـ الاستيطانية للحركة الصهيونية ، وحالة التشرد والضياع التى عاشها الفلسطينيون الموزعون بين اقطار العالم المختلفة .

لكن الثورة الفلسطينية اخترقت جميع الحواجز الموضوعة فى طريقها ، وتغلبت على جميع قوى العدوان الخارجى الضخمة التى جابهتها خلال مسيرتها طيلة السبعة عشر عاماً الماضية ، وكان ذلك كله بفضل إدراكها لمسألتين فى غاية الأهمية والخطورة :

الأولى : ان الكفاح المسلح ودماء الشهداء هما الطريق إلى اكتساب الشرعية وحق الوجود والاعتراف سواء فى ذلك من الاصدقاء أو الاعداء .

والثانية : أن التناقض الرئيسي الذى يتوجب عليها أن تواجهه ، وألا تغفل عنه لحظة واحدة ، انما هو التناقض مع اسرائيل وحاضنتها الولايات المتحدة الاميركية ، وأن اى انتصار او تقدم تحققه الثورة الفلسطينية وجماهيرها العربية ، فى مواجهاتها مع هذا التناقض الرئيسي سوف ينعكس على الوطن العربى بأسره ، ويؤدي بالتالى إلى ضمور التناقضات الداخلية أو الذاتية والتى هى فى المحصلة النهائية تناقضات من الدرجة الثانية .



هانى الحسن

العملية الأولى

ولنعد إلى التقييم الصيني للثورة الفلسطينية حين كانت ما تزال جنيناً فى الرحم ، وحين صارت وليداً قادراً على المشي وتلقي الضربات ، بل وتوجيه اللطمات ، ولندرس ذلك على خارطة الواقع ، فالعملية الفدائية الأولى ، بدأت ونفذت بأسلحة ووسائل شبه بدائية ، وبامكانيات محدودة فى العتاد والرجال .

وقصة العملية الأولى توضح ذلك :

« قبل ان تختفى الغزالة خلف الأفق ، والشمس تبعث بآخر خيوطها الذهبية ، أومأت لزوجتى « أم ابراهيم » أن تحمل « الجرة » التى كنا قد ملأناها بالمتفجرات المصنوعة محلياً فحملت أم ابراهيم الجرة ، وسارت فى طريقها إلى « العين »



المقاومة الفلسطينية

(عين الماء) ، وهناك وضعت الجرة ، ثم عادت أدراجهـا .. »

ويمضى « ابو ابراهيم » (احمـــد ابراهيم الشمالي) قائلا : سرنا .. أنا .. وعبد العزيز جبران ، والشهيد وديع ، وموسى محمود ، فى حوالى الســـاعة التاسعة من ليل ٣١ ـ ١٢ ـ ١٩٦٤ ، وسلكنا طريق « بيت علام » ثم « وادى ابو الخيل » ، ثم « خلة النعجه » من اراضى قرية « وادى نخاس » ، ثم إلى « دير نخاس » نفسها ، ومنها إلى « أم القطن » حيث يوجد « موتور الماء » هدف عمليتنا ..

ويستطرد « ابو ابراهيم » فيقول : كانت « غرفة الموتور » مغلقة ، و « خلة أم القطن » تنام حالمة فى وهدة الليل .. والسكون مطبق تماماً على الموقع ، وكان « الموتور » محاطاً بكمية كبيرة من براميل الوقود ، فوضعنا الجرة فى الموقع ووصلنا بها فتيلا بطيء الاشتعال يبلغ طوله حوالى متر ، ثم وصلنا الفتيل بالصاعق ، واشعلنا الفتيل . وهنا .. اخذت أفئدتنا تخفق بشدة ، ونحن ننتظر « القمر » وهو اسم عمليتنا الفدائية الأولى ـ وكنا نوجس خيفة من أن لا تنفجر جرة الديناميت .

وارتفعت درجة الحرارة فى أجسادنا على الرغم من البرد القارص ، الذى كان يلفح أجسادنا ، فقد كان البرد شديداً فى تلك الليلة ، فيما كانت ساعات الانتظار تبدو قاتلة ، بالرغم من اننا قمنا بأكثر من عملية واحدة لاستطلاع العدو ، حيث كان اثنان منا ينتظران خارج مبنى الموتور للحراسة ، فيما تولى اثنان آخران تثبيت العبوات الناسفة ، اما ساعة التثبيت فقد كانت محددة على الدقيقة البكر من اليوم البكر من الشهر البكر من عام ١٩٦٥ ، ومضت ربع ساعة كانت من أدق اللحظات فى تاريخ عمرنا .. وفجأة تطايرت أشلاء البناء فى الجو ، فلقد كان الانفجار شديداً إلى درجة أن « أم ابراهيم » التى كانت تنتظرني سمعت الصوت ، كما سمعه آخرون فى قرية « اذنا » ـ كما اخبرونا عند عودتنا إلى القرية .. ولدى سماعنا صوت الانفجار الذى هزنا من الأعماق ، شعرنا اننا نطير فى الهواء ، ولا ندري أكان ذلك من الفرح ، أم من قوة الانفجار .. وغادرنا موقعنا فى أرض الوطن لننتقل إلى موقع آخر .

واختتم «أبوابراهيم » روايته عن العملية الفدائية الأولى بالقول : « وفى طريق العودة ، شاهدنا سيارات العدو تتحرك من «بيت جبرين » إلى « دير نخاس» ، وهى تطلق نيراناً غزيرة فى كل اتجاه ، كما شاهدنا سيارات أخرى تتحرك مسرعة من « أم القطن » إلى « موقع الموتور » .

البلاغ الأول

وفى بيروت صدرت الصحف في ١ـ١ ١٩٦٥ ، وهى تحمل البلاغ الأول للثورة الفلسطينية على صدر صفحاتها :

« اتكالا منا على الله ، وايماناً منا بحق شعبنا فى الكفاح لاسترداد وطنـــه المغتصب ، وايماناً منا بواجب الجهاد المقدس .. وايماناً منا بموقف العربى الثائر من المحيط إلى الخليج ، وايماناً منا بمؤازرة احرار وشرفاء العالم ، لذلك فقد تحركت اجنحة من القوات الضاربة فى ليلة الجمعة ٣١ـ١٢ـ١٩٦٤ ، وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ، ضمن الأرض المحتلة ، وعادت جميعها إلى معسكراتها سالمة .. واننا لنحذر العدو من القيام بأية اجراءات ضد المدنيين العرب الآمنين اينما كانوا ، لأن قواتنا سترد على الاعتداء باعتداءات مماثلة ، وسنعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب .. كما واننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو بأي شكل كان .. لأن قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح الدول للدمار اينما كانت » .

عاشت وحدة شعبنا
وعاش نضاله لاستعادة كرامته
« القيادة العامة لقوات العاصفة »

مولد الثورة

ومع العملية الفدائية الأولى فى «أم القطن» كان مولد الثورة الفلسطينية ، وقد سجل تاريخ هذه الأمة العظيمة ، صفحة مشرقة جديدة ـ هى صفحة النضال والثورة ، بعد هجوع طويل فى ظل الاحتلال الصهيونى العنصرى ، وفى ظل التشرد والبؤس والحرمان والقمع الذى فرض على الشعب الفلسطيني .

ومنذ انطلاقتها ، اعلنت الثورة الفلسطينية ، أن هدفها هو تحرير أرض فلسطين ، وتحرير الانسان العربى ، والأجهاز على الكيان الصهيوني المزروع فى قلب الأمة العربية .

لكن الثورة الفلسطينية ، مع تشددها على التمسك بالهوية الفلسطينية وايقاظ الشخصية الفلسطينية ، لأسباب موضوعية تتعلق بمرحلة الكفاح المسلح الراهنة ، فانها كانت وما تزال عربيـــة

عملية "أم القطن" التي أشعلت الثورة وأضاءت الطريق

« الوجه واليد واللسان » ، وطليعة حرب التحرير القومية الشاملة ، إذ أن تحرير فلسطين يعنى فى نهاية المطاف ، تحرير العالم العربى بأسره من الكابوس الصهيونى والاستعمارى ، ومنطلقاً لنهوض عربى شامل ، ولقيام وحدة عربية حقيقية تقف سداً فى وجه المطامع الاستعمارية ، وتعمل من أجل ولادة عالم أفضل .

من أم القطن الى فندق سافوى

لقد ظن كثيرون لدى سماعهم بالعملية الفدائية الأولى للثورة الفلسطينية ، أن المسألة لا تعدو ان تكون زوبعة في فنجان ، أو نوعاً من أنواع المغامرة ، وأن العدو الصهيوني قادر على سحق مثيلاتها ، اذا ما فكر الفلسطينيون بذلك ، لكن الذين عاشوا بعد الفاتح من كانون الثانى (يناير) من عام ١٩٦٥ ، رأوا بأم أعينهم كيف تنامت الثورة الفلسطينية حتى تعملقت وسارت من انتصار إلى آخر ، واجتازت حاجزاً بعد حاجز ، كما شهدوا التطور المذهل فى نوع العمليات الفدائية وكميتها .

بل إن العدو الصهيوني نفسه ، اضافة إلى الدوائر الاستعمارية الحاضنة له ، أصيبوا بالذهول لذلك التنامي والتطور ، ولم يستطع هؤلاء إخفاء ذهولهم وارتباكهم ، بعد عملية « فندق سافوى » بتل ابيب ، حيث اقتحم تسعة فدائيين قلب الكيان الصهيونى فى تلك المدينة فى آذار (مارس) ١٩٧٥ ، وخاضوا مع العدو معركة طويلة ، ابتدأت فى الحادية عشرة ليلا ، وانتهت فى الثامنة والنصف من صبيحة اليوم التالى ، أوقعوا خلالها فى صفوف الصهاينة ، أكثر من خمسمائة اصابة بين قتيل وجريح ، اضافة إلى تدمير الفندق وعدد من المبانى المجاورة .

ولم تكن عملية فندق سافوى ، هى العملية الفدائية الوحيدة المتطورة ، ولكنها النموذج الأكثر تطوراً فى الواقع من حيث التقنية العسكرية ونوع العمليات ، فهناك على سبيل المثال « عملية معلوت ـ ترشيحا » التى قتل فيها أكثر من ثمانين صهيونياً ، وعملية « سينما حين » فى تل ابيب التى قام بها فدائي واحد ، وعملية « ثلاجة القدس » التى اسفرت عن مقتل ١٤ صهيونياً وجرح أكثر من سبعين آخرين .. الخ ، وقد كانت عملية فندق سافوى التى تمثلت فى الأنزال البحرى الفلسطينى على شاطىء تل ابيب وأجتياز الفدائيين لحاجز الحراسة البحرية الاسرائيلى فى عرض البحر ، ثم حاجز الحراسة على الشاطىء ثم حواجز « حرس الحدود » و « الحرس الأهلى » و « الشرطة » و « الجيش » ، التطور الطبيعى لعملية « أم القطن».. ويكفى هنا ان نستشهد بأقوال العدو الصهيوني نفسه بعد عملية فندق سافوي ، لنحكم على أهمية الثورة الفلسطينية وقدرتها كطليعة لحرب التحرير القومية الشاملة .. ففى المناخ العام من الاضطراب والقلق الذى اسفرت عنه العملية بين مليون صهيونى من سكان تل ابيب ، عقد رئيس بلديتها مؤتمراً صحفياً قال فيه : « عندما وقعت العملية الفدائية السابقة فى « سينما حين » بقلب تل ابيب : لا يمكن اغلاق تل ابيب بصورة كاملة ومحكمة ، والآن أستطيع بعد عملية فندق سافوى ، أن أكرر ـ وأنا عسكرى ايضاً ـ ما قلته قبل ثمانية أشهر : « لايمكن اغلاق المدينة باحكام » . أما وزير الشرطة الصهيونى « شلومو هليل » ، فقد قال : « يجب ان نعترف بأن هذه العملية متطورة جداً من جانب الفدائيين ، ويمكن القول انها محكمة » ، واضاف : « لا يمكن اغلاق تل ابيب ، كما لم يكن ممكناً إغلاق الحدود الشمالية » .

ماوتسى تونج



شواين لاى



ولايضاح حالة الهلع التى انتابت المستوطنين الصهاينة فى أعقاب عملية « فندق سافوى » لا بأس ان نورد الحادثة التالية :

« بعد أيام من الانزال البحرى الفلسطينى على شاطىء تل ابيب ، قطعت الاذاعة الاسرائيلية برامجها لتعلن الخبر التالى : فى نحو الساعة الحادية عشرة توجهت سيارات الشرطة بسرعة نحو « مدرسة غولومب » الابتدائية فى « كفر شليم » بعد عدة اتصالات ، أبلغت الشرطة خلالها ، أن أشخاصاً مسلحين سيطروا على المدرسة وقد تم إبعاد مئات الطلاب عن المدرسة ، وعن مدارس أخرى ، وسادت الفوضى ، وقفز الطلاب من النوافذ وهربوا إلى منازلهم ، ثم وصل مئات من ذوى الطلاب إلى المكان ، بعد انتشار النبأ ، للمساعدة فى نقل الأولاد ، وبعد أكثر من ساعة ، عادت الاذاعة الاسرائيلية لتعلن : « بعد أن تمت عملية الاخلاء ، تبين أن الخبر عن وجود مسلحين فى المدرسة ، لم يكن صحيحاً .

عملية دلال المغربي

وقد جاءت « عملية الشهيد كمال عدوان » ، التى قادتها الشهيدة البطلة « دلال المغربي » فى ٢١ـ٣ـ١٩٧٨ ،

لتسجل ملحمة اسطورية فى صفحات النضال العربى الفلسطينى .. فقد وضعت تلك العملية العدو الصهيونى فى « حجمه الطبيعى » الذى لا تراه سوى العيون الثاقبة ، كياناً هشاً ، يضم خليطاً متنافراً من البشر المشوهين عقلياً ونفسياً ، يعيشون على ذكرى أساطير بالية ومتحجرة ، ويحلمون « بأرض الميعاد » من النيل إلى الفرات !!

ولعل أهم النتائج التى أسفرت عنها « عملية الشهيد كمال عدوان » على الساحل الفلسطينى بين حيفا وتل ابيب انها أثبتت بجدارة وبجرأة نادرتين ، أن الذراع الفلسطينية التى تناضل من اجل تحرير الأرض ، قادرة على الوصول إلى اية نقطة فى أرض فلسطين المغتصبة متجاوزة بكفاءة معزوفة النظريات الامنية ، والأحزمة العسكرية من الكترونية وبشرية .

إن بضعة رجال ، تقودهم فتـــاة ، تمكنوا من اختراق جميع تلك الأحزمة وقوضوا جميع تلك النظريات الامنية ، عندما تمكنوا من الوصول إلى وطنهم ، وإلى مسرح العملية المحـــدد لهم ، ونفذوا المهمـــة المطلوبة منهم والتى « سافروا » إلى فلسطين من أجل تحقيقها وقد فعلوا ذلك بوحي من ايمانهم بوطنهم غير عابئين بحسابات العدو وزوارقه الحربية وحواجزه البشرية ، وتم لهم فى النهاية السيطرة على المنطقة الواقعة ما بين حيفا وتل ابيب فى عملية نمت عن تطور فى نوعية العمليات الفدائية ، ويومها تصدرت فلسطين واجهة العالم كله ، وعاد إليها لونها النضالي الأصيل عبر وسائط واجهزة الاعلام العالمية ، ويكفي انه كان من نتائجها المباشرة ان رئيس حكومة العدو مناحيم بيغن اضطر إلى تأجيل زيارة لواشنطن بسبب العملية ، كما أن وزير الحـــرب آنذاك « عيزر فايتسمان » قطع زيارة للعاصمة الاميركية ، وعادمسرعاًالى تل ابيب ، بل ان حكومة العدو أعلنت للمرة الأولى فى تاريخ الكيان الصهيونى حظر التجول فى « اسرائيل » .

تاريخنا المعاصر

عندما يكتب تاريخ العرب المعاصر ، فسيقف المؤرخون طويلا امام القضـــية



دلال المغربى



مناحيم بيجن



عزرا وايزمان

الفلسطينية والنضال الفلســـطيني ، وستكون الصفحات الفلسطينية محطـة تقف عندها الاجيال العربية الصـاعدة طويلا ، لتقرأ فيها كيف استطاع الشعب العربى الفلسطينى ، التمرد على حيـاة المنفى والاغتراب القسرى ، والتشريد والضياع ، ثم الانطلاق من أرضية صلبة وعزيمة لا تعرف اللين أو التراجع لتخطى جميع الصعاب المستعصية والعوائق المنيعة ، والانطلاق نحو تحرير فلسطين ـ كل فلسطين ، ورفض هزيمـة عـــام ١٩٤٨م وامتداداتهـــا وتشعباتهـا .

ولسوف تتوقف الأجيال العربيـــة الصاعدة أكثر ما تتوقف عند قراءتها التاريخ اعتباراً من ١ـ١ـ١٩٦٥ ، حين انطلقت الرصاصة الفلسطينية الأولى نحو العدو الصهيونى ، المغتصب للأرض والوطن ، معلنة ميلاد الثورة الفلسطينية بعد سبعة عشر عاماً من النزوح والتشرد والعذاب .

ففى الأول من يناير لسبعة عشر عاماً خلت ، استطاع الشعب العربى الفلسطينى ، أن يخرق جدار الضياع والهزيمة والتمزق ، الذى انتصب فى وجهه ، وأن يلـــد باصالته وروحه النضالية العالية ، ظاهرة فذة فى التاريخ العربي المعاصر .. فلقد كانت الثورة الفلسطينية منذ اللحظة الأولى لميلادها ، تحمل جميع معاني الأصالة العربيـــة مـن تضحيـــة وفـــداء ونكران للذات ، وبعد أن كان العربي الفلسطيني يعيش تحت شعار «الفلسطيني اللاجيء» ، صارت صورته بعد عام ١٩٦٥م تحتل الأحلام الثورية لجميع الشعوب المستعبدة والمقهورة والمستعمرة ، فلقد لقنت الثورة الفلسطينية الأصدقاء قبل الأعداء درساً بالغ الأهمية ، يتلخص فى أن البندقية هي الأسلوب الوحيد لانتزاع الحق السليب ، وأن طريق الكفاح المسلح هو أقصر الطرق لاسترداد الأرض والحرية والكرامة ، وإحقاق الحق وإزهاق الباطل، وأن طريق الشهادة والشهداء ، هو السبيل الوحيد لاختصار الزمن ، وإفهام العدو ، أنه لن ينام ملء جفنيه على وسادة من حرير ، كما كان يعتقد قبل اغتصابه الأرض والوطن ، بل سيظل ساهراً لياليه ، يلملم قتلاه ، ويلعق دماءه حتى القطرة الأخيرة .

أجل .. لقد كانت انطلاقة الثورة الفلسطينية لسبعة عشر عاماً خلت ، بارقة الأمل التى وضعت نهاية لمرحلة الضياع والتباكي على الحق السليب والوطن المغتصب ، والتى بشرت فى المقابل بميلاد مرحلة العمل الجاد من أجل رفض مقولة الأمر الواقع ، والانطلاق فى طريق التحرير .

الحق لا يموت

وما لابد من تأكيده هنا ، أن النضال الفلسطينى خلال السنوات السبع عشرة الماضية ، قد أبرز أهمية الثورة الفلسطينية فى اطلاق مرحلة جديدة من الكفاح فى سبيل تحرير الأرض والوطن ، وتثبيت حق تقرير المصير ، وفى كون الثورة الفلسطينية وقدرتها على إحياء روح النضال ، واشعال نار الكفاح ، مثبتة بذلك أن حق أى شعب لا يمكن أن يموت ، مادامت جذوة النضال مشتعلة وراية الكفاح خفاقة .

ولقد كانت الثورة الفلسطينية ، بانطلاقتها المظفرة ، استمراراً ثورياً أصيلا للنضال الفلسطينى العربى منذ عام ١٩١٨ ومجيء الانتداب البريطانى الى فلسطين .

عملية "أم القطن" التي أشعلت الثورة وأضاءت الطريق



المخيمات فى جنوب لبنان

فمن ثورة عام ١٩٣٦ الى معارك عامى ١٩٤٧ و ١٩٤٨ ، وحتى صدور البلاغ الأول عن العملية الفدائية الأولى فى مطلع عام ١٩٦٥ ، الى معركة الكرامة فى عام ١٩٦٨ ، الى الغزو الصهيونى لقواعد الفدائيين والمخيمات الفلسطينية فى جنوب لبنان فى عام ١٩٧٨ ، الى معارك تموز (يونيو) الماضى (١٩٨١) فى جنوب لبنان وشمال فلسطين المحتلة ، نمت حركة النقض الوطنى الأصيل للاغتصاب الصهيونى للارض العربية فى طول العالم العربى وعرضه ، فى تلاحم وتفاعل مدهشين مع النضال الفلسطينى ، مما جعل مرحلة ما بعد عام ١٩٦٥ ، كفيلة بتأهيل النضال الفلسطينى والعربى ، للدخول فى مرحلة امتداد الوعى القومى بالحق القومى فى فلسطين المغتصبة ، وقد جاء الالتفاف العربى حول الثورة الفلسطينية ، ليسهم فى كسب تأييد قطاعات واسعة فى العالم الخارجى الى جانب الحق العربى ، مما دفع ببعض حلفاء العدو الصهيونى ، الى مراجعة حساباتهم ، وتكوين نظرة أكثر موضوعية عن ذى قبل وأقل انحيازاً ودعماً للمحتلين الصهاينة.

وهكذا يكون مبدأ الكفاح المسلح نفسه – لا غيره – قد ضمن الهوية الحقوقية والشرعية الدولية فى مواجهة الادعاءات الصهيونية ، وأخذ فى الحد من نمو العدو الصهيونى إن لم يكن قد أوقفه فعلا ، كما أسهم فى زعزعة أركان الكيان الصهيونى الذى بناه العدو وهو يعتقد انه سيكون كياناً أزلياً ، لا تضربه الأمواج ، ولا تهب عليه الرياح والأعاصير . لقد كان لظاهرة الكفاح المسلح ، أثر واضح فى اثارة التناقضات داخل الكيان الصهيونى من طائفية وعنصرية أثنية ، وكان من نتائج بروز هذه التناقضات أن بدأ كل يهودى داخل ذلك الكيان يضع علامة سؤال كبيرة حول مستقبله فى فلسطين المغتصبة ، ثم حول مستقبل الصهيونية التى شحنته بالأوهام المستحيلة . وما بين عام ١٩٦٥ وعام ١٩٨١ ، قطعت الثورة الفلسطينية أشواطاً بعيدة فى بناء كيانها الوطنى ، وفى تنظيم وحشد طاقات الشعب الفلسطينى ، فأعادت بناء نفسية هذا الشعب بايمان وطنى وقومى عاليين ، وبعثت فيه روح العمل والكفاح من جديد ، لتصبح قواته المسلحة ، قوة رئيسية فى الصراع الدائر على الأرض العربية مع الحركة الصهيونية ، كما تمكنت الثورة الفلسطينية من تحقيق استقطاب دولى وعالمى واسع حولها ، واستطاعت التواجد فى جميع المحافل والمؤتمرات الدولية التى اعترفت بنضالها العادل ، وبالحقوق الوطنية للشعب الفلسطينى وفى طليعتها حقه فى تقرير المصير فوق أرضه وترابه الوطنى .

أما المفاجأة التى كانت احدى ثمرات الكفاح المسلح ، والتى لم تخطر على بال العدو الصهيونى ، فقد كانت انتفاضات المواطنين العرب داخل الأرض المحتلة فى عام ١٩٦٧ ، بل وداخل الوطن المحتل فى عام ١٩٤٨ ، فلقد جاءت الانتفاضات المتلاحقة ضد العدو ، لتكشف عن مدى قوة الثورة الفلسطينية وطول ذراعها الضاربة ، ففى الوقت الذى ظن فيه الصهاينة أنهم نجحوا فى تفتيت الشعب الفلسطينى وتجزئته وبعثرة قواه فى كل أرض وصقع ، وعزل من فى الداخل عن اخوانهم فى عمق الأرض العربية ، فوجئوا بأن الكفاح الفلسطينى وحدة لا تتجزأ ، وأن هذا الكفاح يكتسب يوماً بعد يوم ، مواقع جديدة ، داخل فلسطين المغتصبة ، لأنه نابع من عمل شعبى متفاعل ، ونضال بطولى متلاحم ، وهو يشكل بداية مرحلة جديدة من مراحل النضال . وإذا كان لابد من كلمة أخيرة فى الذكرى السابعة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية البطلة ، فهى أن الآفاق أمام الأجيال العربية الصاعدة لتحرير فلسطين وتحقيق الأطماح العربية ، قد غدت رحبة وواسعة .

بل ان كل متمعن فى قراءة المعنى العميق للأحداث المتوالية فى مسيرة الصراع العربى – الصهيونى ، يلمس فعلا ، أن الثورة الفلسطينية ببعدها القومى الشامل ، تقف الآن على أبواب مرحلة جديدة مشرقة وأكثر أملا فى تحقيق النصر ، وما الهبوط والانحسار اللذين تشهدهما الثورة فى غمرة مسيرتها الطويلة ، سوى النذير بنهاية مرحلة ، والانتقال الى مرحلة أكثر تقدماً وغنى بالقدرة على الفعل والحسم .. ولن يطول الزمن بعد ، حتى تنفجر بدايات المرحلة الجديدة ، والقفزة النوعية الوثابة .

عصام شريح

قصة أول مدرسة إسلامية في غابات سيراليون

بقلم : عبد العزيز السيد المصري



سيراليون .. جبل الأسود كما سماها البرتغاليون مستعمروها الأوائل حين تناهى إلى أسماعهم هزيم الرعود يدوى فى صدور الوديان ، وتهوم أصداؤها من وراء الجبال .. فترددوا طويلا قبل أن تطأ أقدامهم أرضها.

سيراليون هى طرف حزام المد والجزر على شاطىء افريقيا الغربى حيث كانت تتصادم أمواج الاسلام مع أمواج الوثنية سنين طويلة فى عهد الأمبراطوريات الافريقية العتيدة ، بدءاً من أمبراطورية مالى .

سيراليون .. بلد الماس ، والأناناس ، ونخل الزيت ، والكسادا ، والكاكاو ، والسمسم ، والفول السودانى .

سيراليون موطن القبائل المتعددة المتباينة اللغات والعادات ، التمنى ، والمندى والماندنجو ، والفولا ، والكورانجو الخ ..

سيراليون مقر الكريول العبيد الذين حررهم الصراع السياسى والاقتصادى بين قوى الاستعمار ، وأقام لهم الانجليز مستعمرة سموها « فريتاون » المدينة الحرة .

سيراليون التى آلت الى المستعمر الانجليزى ففتح مصاريع أبوابها واسعة للمبشرين الذين تعاقبوا عليها لأكثر من مائة عام وحرم على مسلمى الشمال أن يدخلوها الا متسللين فرادى أو رعاة بقر أو تحت شعارات صوفية باهتة هشة .

قصة أول مدرسة إسلامية في غابات سيراليون



سيراليون بلد جماعة البورو المقدسة الوثنية والديانات المختلفة المذاهب ومدارس المبشرين ذات الملل واللغات المتباينة ، والمساجد التى يخص كل منها قبيلة ويصطبغ كل منها بمذهب صوفى يتشيع له .

وأخيراً سيراليون البلد الواقع فى حضن غينيا وليبيريا أشبه بحدوة الحظ على جبين الشاطىء الغربى لافريقيا .

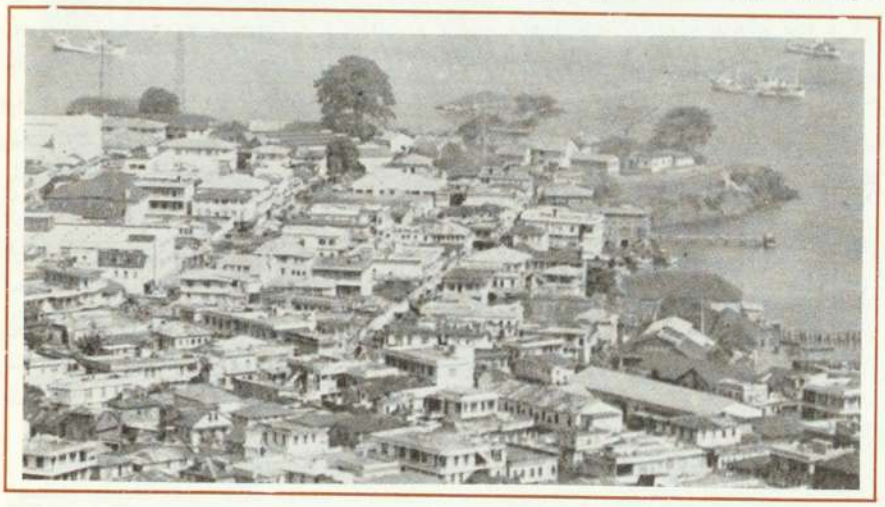
●●

كان أول عهدى بها فى أواخر عام ١٩٥٩ م حين أوفدت مبعوثاً إلى جماعة الأخوة الاسلامية .. كنت لا أملك الا حماسة الداعية الذى يتوق الى أن يفعل شيئاً نافعاً أى شىء ، ولم تكن لدى الخلفية التاريخية أو الاجتماعية اللازمة للتعامل والتكيف مع هذه البيئة الغريبة الجديدة التى وجدت فيها ، فكل ما قرأته عنها هو كتاب « سيراليون أو مقبرة الرجل الأبيض » . كان على أن أستمد معرفتى مباشرة من سكانها وأهليها ، كان على أن أجد الوسيلة لتتحدث تلك الشفاه الصامتة وتنظر اليك بعينين ثاقبتين تستشف أعماقك وتصل إلى أغوارك ، فقد تعودت أن تستريب فى كل غريب .. وكانت جماعة الأخوة الاسلامية مجرد فكرة واسم دعا إليها رجل صلب من قبيلة التمنى اسمه الحاج سورى ابراهيم كانو ، تعلم فى مدارس المبشرين فغيروا اسمه ودينه وهو طفل ، فضاق بهم وخلع كل شىء وعاد لاسمه ودينه . وصاحب دعاة الأحمدية القاديانية ليتعلم عنهم الدين والقرآن ، ولكنه رفض باصرار عقيدتهم فى فتح باب النبوة وبعث نبى مجدد للدين الاسلامى بعد محمد بن عبد الله خاتم النبيين .. وفى طريقه الى الحج طلب العون من سفارة مصر فى أكرا .. وكانت حرب أكتوبر سنة ١٩٥٦ وما أن خمد دخانها وعادت العلاقات السياسية نوعا ما الى طبيعتها حتى كنت فى طريقى الى سيراليون .

كان الرجل فقيراً يعمل « جزاراً » وكانت سنه قد كبرت ، ولكن حماسته لدينه وغيرته عليه جعلته يركب الصعب ـ كما يقولون ـ وأى صعب ؟! ان عليه أن يصمد أمام جماعات التبشير بثقلها الثقافى والدينى والمالى ، ونفوذها فى دوائر الحكم آنذاك ، وعليه أن يقاوم الدعوات الاسلامية القبلية التى ترفض ان تتحد لأنها لا تريد أن تنطوى تحت لواء زعامة من قبيلة أخرى ، وعليه أن يثبت أمام الأحمدية القاديانية التى ينتشر دعاتها ويمتد نفوذها فى أوساط أتصاف المثقفين من المسلمين ، ثم أمام نفوذ الفولانية الذين يرون أنفسهم وحدهم أصحاب هذا الدين وأولياء شئونه والقائمين على أمره ، لأنه قدم على أيديهم الى هذه البلاد . ثم أمام مجمع الأئمة فى « فريتاون » العاصمة وهو المجمع الذى يرى فى الرجل دخيلا جاهلا على مجتمع علماء المسلمين . ثم أمام جماعة البورو السرية الوثنية برصيدها الرهيب من أساطير السحر وقدرات « السوكوبانا » ساحرها الأعظم الخارقة التى تثير الفزع فى نفس كل مواطن مهما كان قدره وبلغت ثقافته .

لقد كان نبأ وصولى أشبه بكارثة أصابت الرجل .. كيف يتدبر الأمر ؟ .. كيف سيعد لى مسكناً ؟ .. كيف يرتب لعملى ونشاطى فى إطار قوانين ونظم الدولة .. كيف وكيف ؟ وماذا يكون الحال لوصرت إلى ما صار إليه غيرى من الدعاة المتطوعين الذين كثيرا ما قدموا من صحارى المغرب والجزائر وموريتانيا

مدينة « فرى تاون » عاصمة سيراليون التى تطل على أجمل ميناء فى غرب افريقيا



من شيوخ الصوفية ، ولم يصمدوا أمام جدل الأحمدية ومحاورات المبشرين الافريقيين المدربين ، فتركوا المنطقة ورحلوا عائدين .. ان كل ما فعله مسلمو العالم ممثلين فى مصر انهم أرسلوا هذا المعلم .. على حين أن دولا لها ثقلها تدعم الجماعات الاسلامية ذات الصيغة القبلية الانفصالية بكل وسائل الدعم وتمدها بكثير من أسباب القوة ..

الاخوة يرحبون

وبقيت فى « فريتاون » أنتظر وأنتظر وطال الانتظار حتى دعيت أخيراً الى مقابلة وفد جاء لزيارتى .. كان وفـــداً لا يزيد على عدد أصابع اليد الواحدة على رأسه رجل فاره الطول ذو ابتسامة خفيفة فيها من الحياء والتواضع ضعف ما فيها من الغبطة والبهجة ، فقد كانت هناك سحابة كثيفة تغيم على هـــذه الابتسامة .. دخلت وسلمت فردوا السلام وأدهشتنى طريقتهم فى التحية .. كان الرجل منهم يخلع حذاءه ويتقدم نحوى منحنياً واضعا يده اليسرى على ذراعه الأيمن مسلما على بيده اليمنى ، ثم يتراجع بظهره الى مكانه لا يحول ناظريه عنى .. ثم أعقبت التحية فترة من الصمت شعرت فيها أن عيونهم تنفذ الى أعماقى تحاول أن تستطلع صورة لمستقبل مبهم يرجونه ، ولحلم طالما صوروه . وطال الصمت فسألت : هل فيكم من يتكلم الانجليزية ؟ فأجاب الرجل الفاره الحيي بلغة انجليزية راقية : نعم .. ولكنهم لا يريدون أن يتكلموا .. انهم يريدون فقط ان ينظروا إليك .. لقد طال شوقنا وشوق آبائنا وجدودنا الى رؤية معلم عربى مسلم .. دعهم يملئوا عيونهم بصورتك ليصفوك الى ذويهم عندما يعودون .

وكانت هذه بعثة أوفدها القوم هناك ليتعرفوا على المعلم القادم ويبدوا رأيهم . ويبدو أن ماروته البعثة حين عادت قد راق القوم ، وشد أزر الحاج سورى كانو فما لبث أن عاد بعد أيام ليأخذنى معه إلى « ماجبوركا » عاصمة الاقليم الشمالى وحاضرة مديرية تونكوليلى ، وأخطر مراكز الالتحام بين العقـــائد والثقافات .. وتبرع شيخ قبيلة التمنى فى المنطقة «الحاج ماساكما» ببيت جديد لاقامتى قرباناً لله وتأييداً لجماعة الأخوة الاسلامية .. ورحب بنا أخواننا المهاجرون اللبنانيون هناك وأبدوا من كرم الترحيب ما يحمده لهم الله والعروبة وتبرع لخدمتى رجل طيب اسمه «مومو» أى محمود وبقيت أياماً وليالى طوالا أشبه بأولئك المعزولين فى الحجر الصحى ، لا أزور ولا أزار ولا أرى بين الحين والحين سوى الحاج سورى وبعض الأخوة اللبنانيين .. وذات مساء ارتقى سلم الشرفة الممتدة أمام البيت قسيس افريقى يطأ الأرض باعتداد وتثاقل تحوطه مجموعة من المثقفين .. كان كلامه خشنا على غير المعتاد من القساوسة ، فيه عنف وتهجم وتجريح ، ورفض أن يشرب تحيتى لأنها على حد تعبيره نوع من الرشوة .. ودار حوار يتسم بالهدوء والصبر والحلم من جانب الضيف العربى القادم من بعيد ، وبالغلظة والتبجح وابذاء الألفاظ من الجانب الآخر .. وكان للحكمة ـ والتى هى أحسن ـ الكلمة العليا .. وانطفأت نيران كثيرة .. وانكسرت سهام جارحة عديدة ، وتواضعت رءوس شمخت بالكبرياء الكاذب .. وشرب الرجـــل تحيتى !!

وأصبح الصباح لأجد وفود الناس من كل مكان فى المنطقة قادمة للترحيب بي والاستماع إلى .. لقد كان الجميع يلتقطون أنفاسهم فى انتظار هذا اللقاء . كانوا يخشون أن يرحل داعيتهم كما رحل آخرون .. ولكنه لم يرحل .

الكتاب .. كان البداية

لقد كان الصمت المتأمل والقـــراءة المستفيضة عن المنطقة وتاريخها وناسها وعاداتها ، والانصات الواعى لكل ما يقال وتحليله ووزنه بأدق الموازين هو المرحلة الأولى فى العمل هناك .. وتبرع السيد يوسف شامل المهاجر اللبنانى بمخزن قديم ليتعلم فيه الأطفال اللغة العربية والدين .. ووضعت فيه دكك بدائية ، وأقبل عدد ضخم من البنات والأولاد على

ضاحية من العاصمة .. على تل وسط جمال الطبيعة الساحر





المخزن .. وبدأ الكتاب .. وتساءلت : ألم يكونوا فى مدارس؟ فقيل : نعم ، لم يكونوا فى مدارس .. لأن تعليم المرحلة الأولى كله فى يد المبشرين والأحمدية القاديانية ، من دخل هنا خلع دينه واسمه وصلته بأسرته ، ومن دخل هناك شوهت عقيدته بفكرة المهدى المنتظر والمسيح الموعود الذى جاء ..وآمن بنبى جديد بعد محمد صلى الله عليه وسلم .. ومن هنا كان لابد أن تبدأ الخطوة الثانية .. لابد من بناء مدرسة .. مدرسة حقيقية يتعلم فيها أبناء المسلمين جميع المواد التى يتعلمها نظراؤهم فى المدارس الأخرى الى جانب اللغة العربية والدين الاسلامى . وطرحت الفكرة، كما تلقى بحجر فى نهر راكد ـ أمام مجموعة الأخوة الاسلامية المحدودة العدد والدخل من عمال وفلاحين وحرفيين .. وكان الجواب .. الصمت .. فهم لا يملكون فى أيديهم شيئاً ، وليس لهم من يساندهم فى الداخل أو الخارج .. يمضغون حسرتهم وألمهم فى صبر عجيب وإصرار على الحفاظ على دين أبنائهم هؤلاء الذين كان يقرأ خطيبهم خطبة الجمعة من الديوان المطبوع وهم يؤمنون وراء كل كلمة حتى على الدعاء للسلطان الناصر قلاوون ، لا يفهم ولا يفهمون شيئاً مما يقول .. هؤلاء الذين كان الرجل منهم إذا مرض يذهب الى أحد الحجاج فيدفع ما يستطيع ليأخذ ورقة مطوية صفراء من كتاب إحياء علوم الدين للغزالى ليضعها على موضع الألم ليشفى .. هؤلاء الناس الذين اختلفت العقيدة الاسلامية فى رءوس بعض ألفواتهم « معلمى الدين » فجعلوا المسيح إلههم والنبى محمداً مبعوثه إلى العرب لأنهم أدنى من أن يفرغ لهم المسيح نفسه .. هؤلاء الناس هم أنفسهم الذين كانوا يرفضون أن يدخلوا أبناءهم وبناتهم هذه المدارس حفاظاً على إسلامهم غير ناظرين الى ما قد يفوتهم من مناصب أو ثروة أو جاه .. لابد من بناء مدرسة لهؤلاء الأطفال .. وما السبيل الى ذلك ؟ لقد هدى الله سبحانه السبيل .. واخترت من بين أطفال الكتاب خمسة عشر طفلا وطفلة تتراوح أعمارهم بين ٦ و ١٢ سنة واستأذنت ذويهم فى أن ينفقوا وقتهم عندى فى البيت .. وأعد لهم برنامج خاص .. كنت أشعر أن النتائج العملية هى وحدها خير ما يقنع الافريقى ويحفزه .. وأعددت ثلاث مسرحيات : الأولى عن « زيد بن حارثة » العبد الذى رفض الحرية وآثر البقاء فى رعاية النبى فرفع النبى صلى الله عليه وسلم قدره وتبناه والثانية عن « بلال » مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم وأول أسود يعتنق الاسلام . والثالثة عن « حليمة » مرضعة الرسول صلى الله عليه وسلم التى أغناها الله ببركة النبى الفقير .

وكان جهد يفوق الطاقة فى التدريب على النطق العربى ثم فى تمثيل الأدوار بعد فهمها فهما تاماً ، وما صحب ذلك من فقرات تشرح بعض تعاليم الاسلام ، وسور قصار من القرآن الكريم ، ومحادثات مبسطة بين الأطفال وأناشيد وترجمة ذلك كله إلى الانجليزية واللغة القبلية المحلية الغالبة وهى التمنى .. وبعد شهرين متواصلين أجرت صاله العرض فى الفندق الوحيد بالمدينة ، فندق « آدمز » .. وأعددت المسرح بنفسى مستفيداً من خبرتى أثناء عملى بالمدارس النموذجية فى مصر .. ودعوت الى الحفل صفوة قليلة من أعيان المدينة وعلى رأسهم المحافظ وشيخ قبيلة التمنى فى المدينة .. وبدأ الحفل بتلاوة طفل لآيات من القرآن الكريم ، ثم أعقبت التلاوة محادثة بين طفلين بالانجليزية أولا عن معنى الآيات التى تليت ، ثم محادثة بالتمنى .. عجباً . ان فى استطاعة طفل عادى أن يفهم القرآن الكريم .. هذا الطفل الافريقى الصغير يفم ما يتلو .. لا يهرف بكلمات لا حس فيها ولا فكر .. ان القلوب تستطيع ـ إذن ـ ان تتصل بنبع القرآن الالهى مباشرة لتستضيء وتتجدد .. ان ذلك يعنى ان المسجد لن يعود آخر مكان تسمع فيه شيئاً يفهم كما يقول أعداء الاسلام .. واندفع بعض الحاضرين فى حماسة شديدة والدموع تسيل على خدودهم يختطفون الممثلين من فوق المسرح ويدسون فى أيديهم بعض المال .. وتكرر المشهد .. فاقترح أحد الحاضرين أن يوضع طبق كبير على جانب المسرح فمن أراد أن يدفع لهؤلاء الأطفال شيئاً يضعه فى الطبق ليكون نواة لبناء مدرسة يتمون تعليمهم فيها . وانتهت الحفلة بمبلغ من التبرعات لا بأس به تجمع فى الطبق ، وإحساس غامر بالغبطة والسعادة والفخر يملأ جوانب كل افريقى شاهد هذا الحفل الصغير .. وتنازل « آدمز » صاحب الفندق عن أجر الصالة تبرعاً منه واظهاراً لاعجابه بهذا العمل الذى سماه معجزا .. لقد كان أحمدياً قادياني ولكنه كان افريقياً مسلماً قبل كل شيء .

وجاء دور المدرسة

ومضت ثلاث ساعات من نهار اليوم التالى .. وجاءنى الحاج سورى متهللا لامع الوجه ومعه رسول مدير التربية والتعليم فى الاقليم يرجو أن يعاد تقديم الحفل على مسرح كلية المعلمين استجابة لألحاح جماهير المسلمين .. وأقيم الحفل مرة أخرى بعد ثلاثة أيام وسط خضم زاخر من المشاهدين .. وتضاعف قدر

التبرعات كثيراً .. وظهرت وجوه جديدة في صفوف جماعة الأخوة الاسلامية ، وتبرع بعض اللبنانيين المهاجرين من سكان مجبوراكا ولونشـــار ـ وماكينى وبو وصفد وغيرها بكرم وسخاء ، وتسابقت البلاد الى دعوتنا وانتقلنا بفرقتنا المسرحية من مدينة الى أخرى ، وفى كل مكان نذهب إليه يؤسس فرع لجماعة الأخوة الاسلامية ويزداد التبرع .. لبناء أول مدرسة اسلامية ابتدائية لتعليم أبناء المسلمين « غير الأحمدية » وفق أحدث المناهج بالاضافة الى تعليم اللغة العربية والدين الاســـلامى .. وعقدت أول جمعية عمومية لجماعة الأخوة الاسلامية واختير الحاج سورى كانو بالاجماع رئيساً دائماً للجماعة يعاونه مجلس استشارى ، وتسابق الأئمة وأعيان المسلمين الى اعلان انضمامهم الى جماعة الأخوة الاسلامية .. وكان علينا ان نختار مكاناً للمدرسة .. ولم تطل الحيرة فقد أخذ الحاج «ماساكما» شيخ التمنية بالمنطقة بيدى ذات يوم وأشار الى تل ضخم يطل على مشارف المدينة وقال : أترى هذا التل ؟ قلت : نعم . قال : لقد تبرعت به لجماعة الأخوة الاسلامية لتقيم عليه مدرستها . وكانت مفاجأة كبرى من رجل كبير .. وذهبنا لنرى المكان على طبيعته .. وكان حرشا يصعب النفاذ اليه تملؤه الأشجار الضخمة التى يعجز عن تطويق جذعها أربعة رجال .. كان علينا أن ننقى الأرض من الأحراش وأن نقطع هذه الأشجار الباسقة ونقتلع جذورها من الأرض الصلبة ، ونظرنا إلى ما فى أيدينا من مال .. وأرجعنا البصر مرات إلى الأحراش القائمة أمامنا ثم تراجعنا وكل منا يطحن فى رأسه ملايين الأفكار .

وفى المساء كان فى المسجد اجتماع بعد صلاة العشاء .. وسمع الناس .. حقاً نحن فقراء .. ولكن لابد أن فى استطاعتنا عمل شىء .. بذل جهد ما .. نستطيع أن نوفر الكثير من النفقات .. لو أن كل مسلم تبرع لله بأسبوع عمل من أجل بناء هذه المدرسة لاستطعنا اقتلاع



الغزالى .. يعالجون المرضى بأوراق من كتابه

الأحراش والأشجار وتنظيف المكان ، لو أن كل مسلم لديه آلة زراعية أقرضها الله يومين ليسر ذلك كثيراً من مصاعب العمل .. ألقيت الفكرة .. فاحتضنتها الأرض الطيبة .. وتتابعت الاجتماعات من مساء الى مساء .. وذات صباح مشرق جميل .. صعدت صفوف هؤلاء الناس الطيبين يحملون آلاتهم وأدواتهم كأنهم جنود الله فى أول معارك الايمان ضد الضعف والعجز .. ومرت الأيام ، وأخذ وجه الأرض الأحمر ينكشف من وراء غطاء الخضرة الكثيف .. وبدت قمة التل الأرجوانية كأنها تاج يتوهج تحت أشعة شمس الغروب .. واستلقت الأشجار الضخمة هنا وهناك على جوانب الأرض الحمراء .. ووضع تصميم لبناء المدرسة وخطط للأساس .. واستقرت نظرة على أكوام الجذوع الضخمة .. وتساءل صوت خافت متأمل ألا يمكن الاستفادة من هذه الجذوع ؟ وأجاب صوت خبير من بين أعضاء الجماعة : نعم .. انها صنف جيد من الخشب .. كيف ؟ .. فى استطاعة الذين اقتلعوها أن يحولوها الى ألواح خشب إذا وفرنا لهم المناشير .. وتحولت الكتل بعد أسابيع الى صفوف متراصة جميلة من ألواح الخشب .. وما أن ارتفعت جدران المدرسة حتى بدأ النجارون من أعضاء الجماعة الذين تبرعوا بجزء من أجرهم للمدرسة .. صناعة الأبواب والمقاعد والأدراج وجميع لوازم المدرسة الخشبية .. ثم بيعت الأخشاب الباقية وجذور الأشجار ليسهم ثمنها فى شراء النوافذ الحديدية والزجاج وجمالونات الحديد والزنك لتغطية سقف المدرسة .. كان المشتركون جميعاً يتأملون البناء قبل هبوطهم من التل مع غروب الشمس ليملأوا عيونهم المتعبة بمنظر حبات العرق التى تتحول إلى جدران صلبة من الأسمنت .. أعرف أناساً منهم كانوا لا يجدون ما يأكلون وكانوا يتعففون عن ذكر ذلك ، ولكن الاعياء كان يفضحهم بعد يوم طويل من العمل .. وكم تفطر قلبى ألما حين سقط أحد الألفوات « معلمى القرآن » فاقد الوعى ، ثم علمت بعد جهد جهيد أنه لم يتناول طعاماً منذ يومين .. !!

وتم بناء المدرسة .. لم ينفق عليها أغلى من الجهد المخلص الصادق .. وكل ما أنفق عليها من أموال كان لشراء ما لم يكن صنعه فى طوق العاملين فنياً وتكنولوجياً . وقام أطفال المدرسة الكبار بطلاء جدرانها بالجير فى تعاون ونظام أشبه بما فعله آباؤهم . وحدثت نفسى قائلا : ألا يعيد هذا الحدث الى الذهن ما حدث عند بناء أول مسجد فى الاسلام ؟ ان معجزة الايمان هى فى هذه القوة الغلابة المبدعة التى تبنى وتخلق فتضع كيانها فيما تفعل فتصير هى نفسها ذلك الصرح الشامخ الذى شيدت تراه فترى كل الوجوه المستبشرة والأذرع المتضافرة والقلوب النابضة بحماسة الايمان والغيرة عليه .. اننى أذكر مئات الأسماء التى أسهمت بأذرعتها المعروقة الناحلة فى هذا العمل . ولا أنسى فرحتهم وهم يستقبلون أبناءهم بالأغانى وهم قادمون الى مدرستهم يحملون ما يصلح من أثاث كتاب « مخازن يوسف شامل ، جزاه الله أحسن الجزاء » صاعدين التل الى أول مدرسة حديثة بنيت فى سيراليون للمسلمين ، مدرسة الأخوة الاسلامية بمجبوركا .

عبد العزيز السيد المصرى

ناس في طريقي !

عبد الله الشيتي
الكويت

● وما أكثرهم هؤلاء الناس الذين هم في طريقي ، أو أنني في طريقهم ! واحد من هؤلاء كنت أزوره في متجره . كان منتفخاً كالطاووس أو كديك الحبش ـ اللهم زد وبارك ـ بفعل كرش الوجاهة وقروش الغنى الفاحش ! وطوال ساعة كاملة ، راح حضرته يحدثني عن الانسانية المعذبة ، وواجب كل واحد منا في تخفيف آلام الآخرين من حولنا وأمامنا باعتبار أنه ما من أحد مخلد في هذه الدنيا الخالدة ، وأكبرت فيه « نخوته » ووعيه الانساني الفريد ، في زمن ماتت الرحمة في قلوب الناس ، وسحقت المادة كل القيم أو تكاد ، وفيما كنت مستغرقاً في سماع دُرره واستحسان مشاعره ، وقف في بابه سائل يرجوه عوناً من مال الله ، فما كان من صاحبنا المنتفخ الاوداج والمحفظة ، إلا أن قال له بلطف وحنان : (روح يابني ، الله يبعتلـــك ...) !

● ● ●

ـ لي قريبة عجيبة ، راحت تشكو لي كثرة الكذب على ألسنة أبنائها وبناتها . وسألتني حائرة : كيف السبيل الى انقاذهم من هذه العادة السيئة ياأستاذ . وتساءل (الأستاذ ..) الذى هو محسوبكم : لابد أن في الأمر سراً أو سبباً ؟ قالت : ماذا تعني يابني ؟ . قلت :

ـ أعني من شابه أمه ما ظلم .. !

أتدرون لماذا ... ؟

لأنها اعتادت أن تطلب من ابنتها الصبية مثلا ، أن تقول لجارتها إذا طرقت عليها الباب : أمي « مش » موجودة في البيت ! أو ترد على التليفون قائلة ـ بحسب تعليمات الأم المربية الذكية ـ أمي راحت على الخياطة . وكذلك الولد وولد الولد . حتى تمرسوا في فن الكذب حتى على أمهم ...

ففي يوم ـ تقول قريبتنا ـ عادت ابنتها متأخرة جداً عن ميعاد عودتها من المدرسة ولما سألتها تعنفها ـ أين كنت يابنت ؟ أجابتها بهدوء وثقة : رحت مع صديقتي لعند الخياطة ، يامـامـا ! .

● ● ●

ـ هي زميلة صحافية ، تعمل في مجلة نسائية ، وبالذات في حل المشكلات العاطفية والاجتماعية للقراء . وهل تعجبون إذا قلت لكم ، إنني ما ذهبت مرة لزيارتها في منزلها ، إلا ووجدتها باكية شاكية مما تعاني من مشاكل لها أول وليس لها آخر ، مع زوجها ومع أولادها وحتى مع جيرانها وأقاربها ... وسألتني مؤخراً : ماذا تقول في مشاكلي ..؟ أجبتها ضاحكاً (طبيب يداوي الناس وهو عليل ...) !

● ● ●

ـ تزوجا عن حب ، على أساس أن يكون التفاهم عشهما والتعاون ثروتهما والحب زادهما في الحياة كي يتغلبا على مصاعبها وغلائها ومسؤولياتها . وبعدما رزقا بباكورة (السعادة) وتكاثرت المشاكل اليومية من حولهما ، دب الخصام محل الوئام ، وصار كل منهما يلعن اليوم الذى قاده الى (القفص الحديدي) وكان اسمه (القفص الذهبي) . وراح كيوبيد يقهقه شامتاً وهو يصوب سهامه الى ناحية أخرى!

● ● ●

ـ من متناقضات الأسماء ، أن انساناً ما يكون اسمه (كريم) وهو من بخلاء الجاحظ . أو أمين واساءة الائتمان فلسفته . أو حليم والغضب بين عينيه . أو ناجح وهو راسب مزمن في تعليمه . أو أيمن وهو أعسر يكتب باليسرى . أو يكون اسمها جميلة ، وهي تقول للقبح : قم لأجلس مطرحك وأخيراً .. لي صديق اسمه : (رصين) ، وهـو ضارب طبلة في فرقة موسيقيـة ...

ـ وبعد ، هل تصدق .. لقد رأيت أعمى يقود مبصراً . كان المبصر ، أعمى بصيرة .. سلامة بصائركم قبل أبصاركم .. !!

حسني شحادة

● استشهد المناضل الفلسطيني ماجد أبو شرار في الغربة بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩٨١ ●

ليس بالسياسة وحدها.. يحيا المناضل

الفن .. له دور ورسالة



المناضل الشهيد ماجد ابو شرار

تشامخت أرض الأسراء والمعراج بقدسيتها في عينيه ، مع كل خطوة خطاها بعيداً عن جبال الخليل ، وأشجار الجليل ، وبيادر بئر السبع ، وشاطىء غزة الذهبي ، كان يرقب نجمة الاصباح ، التي آمن إيماناً صادقاً ، أنها ستطلع عليه يوماً ، وهو بين أحضان « دورا » مسقط رأسه .

آه أيها الفارس الشجاع ، ركبت في لحظة شعاع الصبح المسافر الى روما ، لتكتب باخر قطرة من دمك لفلسطين ، لتصبح يا صديق الصبا ، ورفيق العمر . اسماً وذكرى ، لتصبح باستشهادك فجراً يقهر الصهيونية ، ويرد الغزاة ، لتحرير الأرض ، ويغدو « ماجد ابو شرار » بطلاً من ابطال التحرير .

إن استشهادك ، اكتمال النضج ، وتتويج الحياة ، لأن أصداءه النفاذة ستخترق أسماع الأجيال ، امتداداً في صميم الذات ، لتحقيق الهدف ، لانك وهبتها عيوناً قادرة على رؤية النصر الآتي ، فقد انتظم النهر الهادر الذي انت ومن سبقوك من الشهداء ، دفقات من منبعه الطاهر .

العمر لمحة في مدى الزمان ، قد تطول وقد تقصر ،

طريق تسلكها الأجيال وتتوالى عليها الآجال ،

همنا أن نوفق بين مداه وعرض أحلامنا ،

كقصيدة حسن معناها ، وجمل ايقاعها ،

مطلعه طفالة ، وبيت قصيده شباب وعزم ،

ومقطعه الأخير حكمة الأيام ،

ولكن الأعمار ليست سواسية كلها ،

بعضها يمضي ولا أثر له ،

وبعضها قوى يوجه الأحداث ،

فلا عجب أن تجيء الأعمار متفاوتة الأثر والقيمة ، متباينة الخصوبة والتمر ،

فالأعمار التي تتابع أيامها على وتيرة واحدة ، كأنها يوم واحد مكرر ،

تمضي وكأنها لم تك شيئاً مذكوراً ،

أما الأعمار التي تجيء أيامها تقالا بأحمالها ،

تمضي تاركة وراءها أثراً كبيراً على وجه الزمان ،

وإرثاً عريضاً تفخر به الأجيال ،

فتسم العصر بفعاليتها ،

وأصحابها يصنعون الحضارات ،

ويكتبون بدمائهم التاريخ ،
فيعيشون مع الدهور أعلاماً .
ماجد ابو شرار .. علم مضيء .. بدمه لنشوده العزم على التحرير .. ومن ورائه الأبطال يكملون الدرب الذى عليه سار ،

البطاقة الشخصـــية

● فمن هو ماجد أبو شرار ؟
بطاقة الشخصية تقول :
الاسم : ماجد محمد عبد القادر ابو شرار ،
الجنسية : فلسطيني
المولد : « دورا » من أعمال خليل الرحمن .
الحالة الاجتماعية : متزوج .. وأبناؤه : « إسلام ، واسماء ، وعزه ، ودالية » .
الديانة : الاسلام .
المهنة : فى حركة دؤوب : ـ مدرس فى مدرسة رفح . ـ أديب يكتب القصة فى مجلة « الأفق الجديد » المقدسية ـ صحفي فى صحيفة « الأيام » السعودية ـ رائد من رواد حركة فتح ـ مسئول الأعلام الفلسطينى الموحد .
ـ عضو الأمانة العامة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ـ عضو المجلس المركزى لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ عضو المجلس الوطني الفلسطيني ـ عضو القيادة العليا للعمل فى الوطن المحتل ـ عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطينى « فتح » .

فى البدء كانت اللغة العربيـــة

بدأ كما يبدأ الناشئة فى فلسطين ، رافق آباه فى عمله منتقلا فى مدنها وقراها ، حتى التقينا فى غزة هاشم جيران منزل وزملاء دراسة ، فى مدرسة الأمام الشافعي الثانوية .
فى المدرسة كان متميزاً بشخصية قوية دمثه جعلته موضع المحبة والاحترام من المعلمين والطلاب .
هوى الحركة الكشفية ، حتى وصل رتبة قائد ، وله فى هذا المجال أنشطة وحكايات ، فكان يقظاً باستمرار قائداً يلتف حوله جميع الكشافين ، متعاوناً ، متحملا لكل مسؤولية ، ويقوم بأى عمل .
فى الدراسة ، كان متفوقاً فى اللغة العربية وخاصة فى الانشاء ، حيث تتجلى رؤاه وخياله



الشهيد ماجد ابو شرار

الواسع وأفكاره المستقبلية ، التى تنم عن أرضية ثقافية واسعة ، جعلت مدرس اللغة العربية يعجب بكتاباته ، ويكلفه بقراءتها ، بالقاء معبر ونبرات مؤثرة .
بعد انهائه مرحلة الدراسة الثانوية ، توجه الى جامعة الاسكندرية لدراسة الحقوق .. وعاد ليعمل مدرساً فى مدرسة رفح للاجئين الفلسطينيين ، حيث ترك بصماته على زملائه وتلاميذه .

حكاية الرحيل

وكأدب الشباب ، الذين تفرق كل فى طريق ، اختار مهنة الكتابة ، فى وقت كانت الصحف والمجلات الأدبية قليلة جداً ، تهوى الأسماء اللامعة المعروفة ، ولكنه تمكن بقلمه من التعبير عن ذاته ، فنشر عدداً من القصص القصيرة ، فى مجلة «الأديب» البيروتية، وفى مجلة «الأفق الجديد» المقدسية ، وبين سطورها ، يوجد المحتوى الكامن فى نفسه ، عشق فلسطين ، وتمجيد أبطالها ، والعمل لتحريرها ..
قصة «حكاية الرحيل» ، قصة فيها وجد والم ، فيها استنهاض للهمم ، دون بكاء على أطلال درست ، بل رسم لمعالم باقية ، وتعبيد لدرب العودة ، بأسلوب أدبى رفيع ، يقول فى مقدمتها :
«كانت لى مدينة لها بحر تنام فيه الشمس كل مساء ، كانت لها أبنية متواضعة تأخذ مكانها تحت السماء الزرقاء ، فلا تتطاول لتنطح الفضاء حول مدينتى مزارع ، ومنذ كانت تلال رمل لها لون أشقر ، حول مدينتى كانت تتناثر بيارات برتقال ، لثمارها مذاق منعش ، ولأزهارها رائحة عطرة ، كان لى فى مدينتى بيت يقوم عند آخر انحدار للتل الرملى الأشقر ، الذى كان يحرس المدخل الشرقى لمدينتى .
عمرى تسعة وثلاثون عاماً ، وأنا الآن فى مدينة لها بحر ، منه الشمس تولد كل صباح ، تلك لها بحر فيه الشمس تنام ، وهذه لها بحر منه الشمس تولد ، كان هناك لي بيت وأرض ، وهنا لى بيت بلا أرض ، هناك ، كان لى ماض ، وأنا هنا بلا ماض ، يومى بطاقة سوداء ، تسلمنى بعناد ونزق

ليس بالسياسة وحدها يحيا المناضل

الى غد أشد سواداً ، هنا ، كانا بلا جذور ، بلا دعائم ، بلا أهل ، ولكنى يوماً ساعود ، لأن شمس مدينتى مازالت نائمة فى البحر» .

التين والسلاح !

«مكان البطل» قصة مهداة الى روح البطل «ابراهيم أبو دية» القائد الفلسطينى فى ثورة ١٩٣٦ ، وقد نشرت عام ١٩٦٢ ، فيها يتحسس طريق الجهاد ويتلمس درب النضال يقول :
«قلة أولئك الذين يعلمون أن العاصفة وشيكة وستاتى مزمجرة عنيدة طاحنة ، أما الكثرة فقد استسلموا لراحة لا لذة فيها .. منهم من يعلمون أن الراحة سيعقبها تعب .. أى تعب ..» .
«سلة التين» قصة النساء المجاهدات ، اللاتى كن يرفدن المجاهدين فى الجبال والوديان والكهوف بالمأكل والمشرب والسلاح .
تدور أحداث هذه القصة عن فتاة تحمل سلة من التين تعرضت أثناء سيرها لأنواع من عنت وصلف الجنود المحتلين ، ولكنها تمكنت من إكمال سيرها ، معرجة الى مغارة الرجال المجاهدين ، وكانت المفاجأة ، قسمان : أحدهما استدراج لجنود الاحتلال ، والأخرى ، أنها لا تحمل تيناً ولكنها تحمل ذخيرة وسلاحاً ، تمكن به المجاهدون من اصطياد جنود الاحتلال ...

عيون الرجال تقول : لا

«الزنجية» قصة مليئة بالرمز ، ذات مرام وأبعاد عميقة فى النفس ، يحس قارئها أنه يجول فى صحراء ، يبحث فيها عن ظلال وثمار ... ولكن لا أدرى لماذا وقعت يدى عليها ، الأنه أورد هذا المقطع ، متحدثاً الى تمثال الزنجية التى أزعجته مرافقتها له فى غرفته ، فأينما اتجه بصره يرى التمثال يرنو اليه بعينين واسعتى الحدقتين .. فيقول :
«أخشى أن أستيقظ ذات صباح فاجد نفسى ميتاً ... وحتى اذا مت ، هل ستموت الحياة ؟ عيون الرجال تقول لا ... وأنا أقول الحياة لا تموت» .
وفى قصة «الشمس تذوب» يحكى ماجد أبو شرار ، جانباً من أحداث حياته الخاصة ، من حيث الزمان والمكان ، ولعلها قصة حب شريفة عاشها الشهيد ، مع بطلة قصة «عريب» .. وكيف قضى العدو الصهيونى على جمال هذا الحب ..
● يقول ماجد :
«وتعود أعمدة الدخان تنتصب فوق بيوت غزة من جديد ، وأشد «عريب» إلي بقوة ،

والقنابل تتناثر ، والحياة تخبو فى الشوارع ، أعمدة الدخان تقترب .. تقترب ... الدخان يزكمنى ... والحياة فى جانبى تحتضر ، سائل حار لزج يسيل فى ساقى اليسرى ... والدخان الملون يلفنى ... عيناى تبحثان بلهفة وجنون عن نور .. ، أى نور ... يدى تصدم جسد عريب ... إنه هادىء مترنح .. أيد غريبة تسحب الجسد من جانبى ... وبرفق ترفعنى ... ومحرك يهدر فى رأسى .. إنها تذوب .. تذوب .. إنها النهاية » !

قلق وراء الهاتف

قصة اخرى تصور المأساة الفلسطينية .. عائلة من يافا هجرت بلدها .. واستشهد رب العائلة .. ليترك زوجة وخمس بنات .. وتشقى الأم الرؤوم فى تربية بناتها .. وتكبر «نجلاء» وتتخرج من الثانوية .. لتعمل فى ادارة الهاتف .. وتنتعش الاسرة براتب «نجلاء» ... ولكن الانتعاش لم يدم .. فقد تم بناء عمارة المقسم الآلى ... واستغنت الادارة عن كل العاملات وعاد الشقاء ..

إن تصوير ماجد فى قصته ومعظم قصصه .. تصوير يكشف عن عظم المأساة .. مأساة الهجرة واللجوء .. هذه المأساة التى حفرت فى نفسه الأبية جرحاً عميقاً .. فغدت فلسطين أغنية .. ومدنها وقراها شدوة .. وسهلها وجبلها وبحرها وبياراتها وبساتينها احلى واغلى جمال عنده ... لذلك اصبح تحريرها محور حياته .. اصبح هدفه ومقصده ..

يقول ماجد :

«إنها من يافا» .. واسمها «نجلاء» ، زهرة ندية رائعة ، نبتت فى مناخ رائع وفى بلد جميل .. سماؤه غطاء ازرق ، وارضه بساط اخضر .. والكل فيه سعيد .. سعادة شاطئه الهادىء تدغدغه كل حين موجة حانية لبحر خير .... وتمتد يد آثمة غاشمة لتقطف الزهرة ... وتلقى بها بقسوة .. واستهتار الى صحراء .. بلا ماء ولا ظلال ... ومنذ ذلك اليوم .. والزهرة تعيش باوراق زائفة .. بدون رائحة ولا شذى .. حبيسة أرض جافة ومناخ قاس» !

وانهار الجدار :

هذه القصة على نحو جديد ... كنا نلمس فى القصص .. ذكريات جميلة .. وأوصافاً بديعة .. ولمسة حب .. ولحظة سعادة ... يسرقها خلسة من بين السطور .. ولكن فى هذه القصة عبر فيها عن نهاية الصبر .. وغاية الضيق ... يريد أن يصنع شيئاً ... يريد أن يشارك بايجابية ... يريد مخرجاً ..

يقول :

«أعيش أنا التجربة ... التجربة التى نعرفها .. نعرفها كلنا .. ولكننا لم نلتق بها أبداً .. أنا سالتقى بها .. لحظات مهما طالت ... فلن أعجز .. ويكون اللقاء» ..

ثم يورد هذا المقطع وكانه يحادث أحداً :

يا ماجد

– .....

الم تقل منذ البداية إنك لن تستسلم ؟

– .....

ساتحرر انا من الزنزانة ... وساصل الى القرار!

● ●

لقد شعرت بعد قراءتى ما نشره «ماجد» من قصص .. أن خيطاً واحداً ينتظم هذه القصص ... شىء فاجع حدث فى حياته ، هو النكبة .. وارتبط بها ارتباطاً صميمياً .. يرتبط بايمان عميق بأن الحياة لن تموت بموتك أيها الشهيد .

إن قصص ماجد ، قصص تنم عن فكر مستقبلى ، ينفذ الى طبيعة الخطر الذى يتحرك لينفذ الى جوهر المأساة ، وتجسيدها كقضية ضمير ، ووجود ، ومصير ، وليست ابداعاً لفظياً ، أو هتافاً خطابياً آنياً ، بل هى تعبئة غير مباشرة للوعى القومى ، حتى أن المتتبع لما كتبه ماجد فى تلك الفترة ، يلحظ انه يعبر عن التحديات التى تنطلق بها أعماق اللاجئين الفلسطينيين ، الذين كانوا يعانون آلام التمزق والانصهار ، فى رمزية غير مبهمة أو غامضة ، تتسم ببراعة التكتيك ، وعمق الرؤية ، وتحديد الهدف .

لقد كان «ماجد» من هذا النمط من المثقفين ، الذين تحرقهم معاناة الثقافة وضميرها الحى ، فتدخل أجسام حامليها وتسرى فى كل شريان وفى كل نبض حياة فى اجسامهم المتعبة المثقلة بهموم البشر ، وسعادتهم وقضاياهم .

ماجد الصحفى

لعل ثقافته العريضة ، وطموحاته الكبيرة ، لم يستطع ابرازها من خلال كتاباته الأدبية ، فولج الى عالم الصحافة الرحيب حيث بدأ ينشر فكره بقلم بارع وأسلوب مبدع ، بعرض واضح ، وحماس ظاهر ، دونما تحد أو انفعال ، ثم يترك للقارىء القرار .

ولكنه لم يستمر كثيراً ، لأن نداء الواجب كان اقوى ، وكانت حركة التحرر الوطنى الفلسطينى فتح تتفتح اكمامها .

الجهاد هو الطريق

وكما يتنفس فجر ، كذلك تحركت أضلاع شعب كامل ، الشعب الفلسطينى ، لتتفتح فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ ثورة .

وكان ماجد من الطليعة ، مثقفاً فلسطينياً التزم بالثورة منذ انطلاقتها ، فعاش من أجلها ، حياته وأيامه وعمره ، عندما تعانقت الكلمة بالبندقية ، تعلن هذه حقوق شعب فلسطين ، وهذه أرض فلسطين ، وطريق الجهاد فى سبيل الله هو الطريق .

ماجد الأديب الثائر . وصحبه من أرباب الكلمة المقاتلة ، ساروا على الطريق ، بوجوه سمراء ، لفحتهاهاجرة الهجرة ،فملأت الاهاب بالتجربة والوعى ، تدفعها العزيمة ، ويحدوها التصميم .

اضطلع ماجد بالاعلام الثورى ، وكان الاعلام عنده ، علاقة مع البشر ومع العقول ومع الأفكار ، وكان دائماً يحرص على أن يقدم الثورة الفلسطينية فى اطار الكلمة والموقف وحرية التعبير .

وكم عانى ماجد دون أن ييأس ، ودون أن يهرب بل ظل واقفاً ، صلباً ، وكم كان يقلق ، ولكنه قلق المثقف الملتزم الذى يريد تصحيح الأخطاء وتجاوز العقبات .

على الرغم من قسوة الواقع وظروفه القاهرة ، لم يعتر ماجد يأس ولم يصبه مرض المثقفين ، لأن الثقافة عنده ليست هروباً ولا راحة ولا جلسة كتاب ، إنما هى كتاب وقلم وفكر فى قلب الواقع الحى .

لذلك كان ماجد أبو شرار خطيراً ، وكانت اسرائيل تعرف مدى خطورته ، كوجه ثقافى ملتزم فى صفوف الثورة الفلسطينية من جهة ، وكوجه ثقافى عربى معروف فى الأوساط الثقافية العالمية من خلال اللقاءات والندوات والمؤتمرات ، فصبت جام حقدها الارهابى الأسود عليه ، فدبرت له قنبلة رومـا ، التى فجرت هذا الجسم المثقل بقضايا النضال ، وبعمق الايمان ، ولئن كان استشهاده رحمه الله غياباً لجسم ماجد أبو شرار ، فان ابتسامته وفكره وثقافته وثوريته . سوف تبقى شعاعاً ساطعاً فى دروب الجهاد حتى النصر .

حسنى شحادة

حكاية الرحيل

قصة بقلم : الشهيد ماجد أبو شرار

كانت لي مدينة لها بحر تنام فيه الشمس كل مساء .. كانت لها أبنية متواضعة تأخذ مكانها تحت السماء الزرقاء فلا تتطاول لتنطح السماء بحجارتها واعمدتها .. حول مدينتي كانت مزارع ، ومنذ الأزل ، كانت تلال رمل لها لون اشقر .. حول مدينتي كانت تتناثر بيارات برتقال لثمارها مذاق منعش ولأزهارها رائحة عطرة كان لنا في مدينتي بيت يقوم عند آخر انحدار للتل الرملي الأشقر الذي كان يحرس المدخل الشرقي لمدينتي ..

عمري تسعة وثلاثون عاماً ، وأنا الآن في مدينة لها بحر منه الشمس تولد كل صباح .. تلك كان لها بحر فيه الشمس تنام ، وهذه لها بحر منه الشمس تولد .. كان هناك لي بيت وارض ، وهنا لي بيت بلا أرض .. هناك كان لي ماض ، وكنت املك ناصية يومي .. وكنت ازرع احلاماً تشرق بهية في غدي ، وانا هنا بلا ماض .. يومي بطاقة سوداء تسلمني بعناد ونزق الى غد أشد سواداً .. هنا أنا بلا جذور .. بلا دعائم .. بلا أصل ..

ـ اتأكل شيئاً .. الجوع يكاد يفريني .

في كل صباح كانت اشعة الشمس تذيب حبات الندى المرشومة على ألواح زجاج غرفتي بعد ان تمسح آخر آثار الليل عن ذرات التل الرملي الأشقر فأفتح عيني وادعكهما بدعة وانهض نشيطاً لاستقبل يوماً جديداً من عمر كنت أحبه .. كان أبرز ما في يومي آنذاك ابتسامة رضى تطل من شفتي أمي .. كانت بسمتها برعم زهرة برتقال فيه عطاء وله شذى طيب . كنت اتملى وجه أمي المجعد الشمعي اللامع فأرى فيه كل معاني الخير والحب والاخلاص .. كانت تحبنا وكنا نحبها كانت في البدء تود ان تقبلني كل صباح كما تفعل مع شقيقاتي وشقيقي .. لكنني رفضت فقطبت جبينها ثم فردته وتنهدت ، فهمست بحنو :

ـ أماه .. بسمتك برعم زهرة برتقال فيه عطاء وله شذى طيب وأنا لا أريد لهذا البرعم الا أن يظل بكراً نضراً ندياً .. لا أريد لآثار النوم التي تطبع وجهي كل صباح أن تذبل البرعم وتفقده نضارته .. أريده بكراً وبكراً دوماً ..

ويزداد البرعم تفتحاً ونضارة وتربت بكفها الطرى على كتفي وتهمس بصدق وحرارة .

وفقك الله يا محمد ومنحك كل ما عنده من خير وهناء ..

كانت تجمعنا مأدبة الافطار التي كانت تكون في أيام الصيف تحت اغصان شجرة الجوافة الضخمة والتي كانت والدتي دوماً تتحسس اغصانها بتمهل وتأمل وتهمس :

ـ لقد زرعها المرحوم يوم نزلنا هذا المنزل .. كان كل ما يتمناه ان يملك بيتا .. جد واجتهد وبنى البيت وزرع الحديقة .. لكنه ويا حسرتي لم يأكل من ثمارها .

وتهمس (عطاف) اكبر شقيقاتي والتي كانت لها كل ملامح امي :

ـ زرعوا فأكلنا ، ونزرع فيأكلون .

وتعود والدتي لتهمس وحبات دمع تكاد تتسلل مجفلة مع شواطىء عينيها :

ـ فيكم الخير يا ابنتي واطال الله في اعماركم ..

وتنهض أختي (آمال) وتقطف حبات الجوافة المبللة بالندى وتضعها في طبق فتسارع إلى تناولها بنهم وتلذذ وعيونها تتحاشى ان تلتقي مع عيون الوالدة التي امتنعت عن تناول حبات الجوافة منذ أن حرم منها الذي غرسها وجعل منها أغصان عطاء وخير .. وينصرف كل فرد من عائلتي الى عمله . (عطاف) تبقى في البيت و (أحمد) يركب دراجته متوجهاً الى مدرسته و (آمال) من خلفه تصيح وترجوه ان يركبها خلفه فيقف قليلا ليوهمها بأنه ينتظرها حتى اذا ما كادت تدركه يتركها مبتعداً فتضرب الأرض بقدمها الصغيرة وتتوجه هي الأخرى الى المدرسة .

كنت في تلك الأيام أعمل مدرساً في المدرسة الثانوية الوحيدة في المدينة وكان لي طلاب كنت أرى الأمل في الغد المرجو يتفتح في صفاء عيونهم بساتين نفء وحياة .

كنت أرى فيهم كلهم أخي احمد ، فيزداد حبي لهم وتتضاعف جهودي من أجلهم .. كان كل ما حولك يدعوك لأن تعمل وتعمل دون إبطاء أو تواكل ، وكذلك كنت اطمع في غد مشرق وكنت أعلم ان هذا الغد لن يكون الا اذا شاركني كل من حولي في بنائه . كنت سعيداً . سعادة عارمة قوية لا حدود لها .. شيء واحد كان يحاول أن يخدش صفاء سعادتي .. أمل عزيز كان يعز على امي الا تحققه قبل ان تغادرنا لتلحق بالذي زرع شجرة الجوافة .. قبل ان أنام وفي بعض الامسيات كانت تجلس على طرف

سريرى وتطرق فأرى الأمل مشوباً بتهيب وخوف يسبح في صفاء عينيها فاستنتج سلفاً ما الذى يدور فى نفسها ويعذبها وانتظر حتى تهمس .

ـ محمد ..

ـ ما الذى تريده الراعية .. ؟

ـ محمد .. هل .. هل انت سعيد ؟

ـ ما دمت كذلك ..

ـ شكراً يا ابنى .. لكن .. لكن أريد لسعادتى ان تكتمل .. اريد ان ارى لك زوجة ..

ـ اشكرك ياراعية .. لكن مهلا .

ـ مهلا .. مهلا متى ننتهى من هـــذه آل (مهـلا) ؟

ـ حتى تتزوج (عطـــاف) وكـذلك (آمال) وحتى يكمل (أحمد) دراسته الجامعية ..

كانت فى البدء تستمر فى مجادلتى لكنها فى الفترة الأخيرة أقلعت عن ذلك وصارت تتركنى متعكرة مصدومة وأظل مع رؤى حلوة عذبة أرى فيها « عطاف » و « آمال » وقد ضمهما بيت زوجية سعيد .. وأرى « أحمد » محامياً كبيراً .. أرى (سلام) يحبو ويبتســـم أنـا أبوه و (فاديه) أمه .. كنت احب فاديه حتى العظام . وكذلك كانت هى . لكن واقعي كان يؤجل دوماً لقاءنا المعطاء ، ويؤخر بالتالى أطلالة حلوة لابننا (سلام) كنت أعيش على أمل أن تكون .. فهل كان هذا اللقاء ؟ كان ان ازداد الواقع تعقيداً .. واقع يغبشه دم ، يخنقه دخان قنابل تهدم بيوت مدينتى ، تمزق أجساد أبناء مدينتى تنشر الدمار والموت فى كل أجزاء مدينتى .. وكنت يائساً لكن بعناد .. واظبت على الذهاب الى المدرسة لاجد فى النهاية ان ليس ثمة من طلاب بل مقاعد يعشش الغبار فى شقوقها ويكسبها لون تراب القبور . فعدت لاقبع فى البيت ونظرات والدتى وشقيقاتى تلهبنى فى كل لحظة كنت أعيش .. كانوا يريدون ان يقولوا الكلمة .. لكنهم يعرفون ردي فماجرأوا على التفوه بها .. واخيراً وبعد ان نامت الشمس فى بحر مدينتى قلتها .. قلتها وانا اكاد اتمزق (لنغادر المدينة) .. وصعدت مع التل الرملى الأشقر وجلست على نعومته وتفرست الغرب .. كانت ثمة أعمدة دخان ازرق تنتصب متلوية فى فضاء مدينتى ، وكانت الطلقات تعوى فى أجواء مدينتى .. وكانت شمس مدينتى قد نامت فى البحر مخلفة سواداً أخذ يفرش الكون من حولى .. صحوت على صوت امى المشروخ ..

ـ نحن جاهزون يا ابنى ..

كانت هناك ، تحت شجرة الجوافه متشبثة ببعض اغصانها .. انحدرت مع التل مخدراً ممزقاً .. مررت بشجرة الجوافة .. كانت الراعية لا زالت هناك .. شعرت بوحشة قاسية .. وددت ان اقول شيئاً .. اى شيء . لكن لساني كان ملوياً بقوة فى فراغ فمي ، وغصة مدمرة تكاد تخنقني .. تحركت وسحبت الراعية من يدها وحاولت أن أضمها الى صدرى لكنها سبقتنى الى ذلك وطوقتني بذراعيها وصدرها يعلو ويهبط بنشيج حاولت أن تخفيه فما استطاعت ، وتدلت يداها فأمسكت بيسراها بينما كانت يمناها مضمومة باصرار على حزمة أوراق خضراء خشنة .. كانت من أوراق أغصان شجرة الجوافة .. كان هذا آخر عهدنا بالجوافة .. فمنذ ان غادرنا الغرب متجهين الى شرق متجهم يابس ، حرمنا منها .. كان هناك شبه اتفاق بيننا على الا نذوقها .. رائحتها الآن تغيظني وتفتت أعصابي ..

ـ لنأكل شيئاً .. الجـــوع يـــكاد يفريني ..

ـ لا رغبة لدي فى تناول الطعام .

ـ لكنك لم تأكل شيئاً منذ الصباح .

ـ اى صباح ؟!!

ـ صباح هذا اليوم .

ـ هيه .. وهل لهذا اليوم صباح . أنا لا أراه .. ولا أحس به .. لا أكاد أميزه عن أى شيء آخر .. الصبح يا أخى يغسل السواد . يغسل كل شيء . هذا الذى تسميه صباحاً لا يفعل ذلك . بالله لا تنظر الي هكذا يا أخى .. نظراتك فيها شيء .. نظراتك تود ان تقول من انا .. انا أعرف من أنا . أنا مجرد قرمة خشب ملقاة على قارعة طريق ، تركلها كل حين قدم نزقة ، تتحسسها يد معروقة هزيلة ثم تأكلها فى النهاية نار ملعونة .. انا لا احب نظراتك .. لا أحبها .لا.أحبها يمكنك ان تتركني لتتناول طعامك . لكن مهلا . مهلا .. علك تتوق الى سماع بقية الحكاية . لا بأس .. لا بأس . فالدنيا كلها حكاية .. حكاية تبسم مرة وتعبس اخرى .. فى الشرق اقمنا .. وفى الشرق اقمنا بيتاً لنا .. كان كالبيت الذى كان لنا فى المدينة التى كانت لنا .. جعلنا له حديقة .. زرعناها ورداً ورياحين وتركنا بقعة داكنة لا تزال تنتظر عرقاً داكناً يغرس فيها ليصبح مع الأيام شجرة جوافة .. هذا العرق لم يغرس حتى اليوم .. الراعية لازالت ترعانا ، و « عطاف » الرائعة الحلوة ماتت فجأة بعد أن غادرنا الغرب بعامين ، آمال لها ابن اسمه (سلام) .. أحمد كما كنت أريد أن يكون .. محام ارجو له كل توفيق ونجاح وسعادة .. وأنا هنا .. لازلت اروى كل يوم حكاية الغرب .. وأغصان شجرة الجوافة لا زالت حطباً يتقصف كل لحظة فى قلبى .. تلة الرمل الشقراء لا زالت تنهال على جسدى المحطم كل لحظة فتخنقني .. « عطاف » الميتة لم تزرع ما يؤكل .. وشمس مدينتي ما زالت نائمة فى البحر .



وعن الماء.. نقول

بقلم : درويش مصطفى الفار

تماماً ، كما لا يدرك الشوق إلا من يكابده ، فانه لا يدرك قيمة قطرة من الماء ، ويعرف قدرها ، إلا من عركته الصحراء ، برمضائها ولفحه حر قيظها ، فى مهمه قفر بلقع ، يتراءى فيه السراب بكل قيعة ، وقد نفد مافى سقائه من ماء، مع يقينه ببعد الشقة عن كل ثميلة ، أو ثمد ، أو قليب جفر ... هنالك فقط ، يدرك المرء ، حقيقة أهمية الماء ... ذلك السائل العجيب ، الفريد بين كل ما خلق الله سبحانه فى هذا الكون الفسيح ... فمن بين الآلاف المؤلفة من المركبات الكيمائية ، طبيعية أو صناعية ، معدنية أو حيوية ، ينفرد ذلك السائل الذى لا لون له ، ولا طعم ، ولا رائحة ، بخصائص تدعو كل ذى عقل ، أن يتامل فيها ، ويتساءل عنها ... هل تلك الخصائص ، فى الماء ، مجرد (صدفة) عمياء ، انقشعت عنها قوانين الاحتمال؟ أم أن (صانع الماء) قد أوجده بصفاته تلك ، ليقضى أمراً كان مفعولا ؟

من تلك الصفات والخصائص ـ على سبيل المثال فقط ـ أن الماء :

١ ـ وهو أحد مركبات الهيدروجين ، مع أحد أفراد مجموعة العناصر السادسة ، فى جدول مندليف المشهور ، يتميز عن (كل) مركبات الهيدروجين ، مع غير الأوكسجين ، من عناصر تلك المجموعة كالكبريت ، والسيلينيوم ، والكروم ، والتنجستن بأنه المركب الأوحد الذى يكون سائلا فى درجات الحرارة العادية ، فى حين أن المركبات الأخرى تكون إما غازية أو صلبة القوام

ب ـ أن الماء ، وحده ، هو الملائم للأحياء ، دون مركبات الهيدروجين الأخرى ، وكلها دون استثناء ، عدا الماء، سامة قاتلة للأحياء من النبات والحيوان ، على السواء ...

ج ـ أن الماء ، له خاصية مميزة فريدة عجيبة ، تسترعى الانتباه ، وهي أنه إذا برد فان كثافته تزداد ، أي يثقل وزنه ويقل حجمه ، حتى إذا ما وصل إلى درجة (٤) مئوية فان أمره ينعكس ، فثقل كثافته ، بازدياد يطرأ على حجمه ، حتى إذا ما أصبح ثلجاً عند درجة الصفر المئوي ، طفا فوق بقية الماء ، وحماه من التجمد ... وهنا تشرق أمام ذوى البصائر حكمة بالغة ... إذ كيف تكون حال الكائنات الحية كلها ، مما يعيش فى الأنهار والبحيرات والمستنقعات ، بل والبحار القطبية ، لو أن صاحبنا ذاك (الماء) لا تتغير صفاته الفيزيائية ذلك التغير العجيب عند درجة (أربعة) تلك ، فوق الصفر المئوي ؟ ذلك سؤال نترك الاجابة عنه لكل من يكرم عقله وينزهه عن الأخذ بنظرية الصدفة ، فى وجود هذا الكون ... ثم نطالب كل من يكرم عقله وينزهه ، بالتفكر معنا ، فى أمر ، قد لا يبدو لأول وهلة ، ذا أهمية أو بال ... فقد نكون ، نحن معشر العرب ، من أقل الناس علماً ، بحاجتنا الى الماء ، ولا أقول نحن أقل الناس اهتماماً إذ منا من يفكر فى نقل الماء على هيئة كتل من الثلج نجدها عبر المحيطات والبحار ، من القطب الجنوبي إلى البحر الأحمر ، ومن واجبنا أيضاً التفكر فى نقل ثلوج القطب (الشمالي) ، إلى أهلينا فى غرب أفريقيا ، حيث الحاجة إلى الماء بالغة ... هذا الأمر الذى نحن بصدده اليوم ، فى عجالتنا هذه ... هو التوصل إلى انشاء « مؤسسة عربية (شعبية) للدراسات المائية » بعيدة تماماً عن الصراعات السياسية ، والاختلافات العربية العديدة الكثيرة الفروع والتشعبات ... تكون مهمتها الأساسية والفرعية ، المعلنة والخفية ، بتضافر العقول العربية (المقيمة والمغتربة) دراسة كل الآفاق والسبل العلمية والتكنولوجية لزيادة الثروة المائية فى أرجاء الوطن العربى بلا استثناء ، بعيدة كل البعد عن (فقه بيزنطة) تعمل على :

أولا : استنقاذ كل قطرة ماء تضيع هباء ، فى البطائح والمستنقعات ومصبات الأنهار ومجاري الوديان بعد المطر ...

ثانياً : استنباط مصادر جديدة للماء ، فى مضمار المطر الصناعي ، أو تحلية مياه البحار بالطاقة الذرية أو بطاقة الغازات الطبيعية .

ثالثاً : وترويض ما يمكن من المحصولات الزراعية لمواءمة بعض أنواع المياه المالحة فى وطننا كله ، وخاصة حواف السبخ البحرية .

رابعاً : التفكير فى ابتداع طرق جديدة لتوفير الماء ، فى الاستعمالات اليومية ، فأعلم أن (غيرنا) قد ابتاع جهازاً جديداً لتوفير الماء العذب الذى يضيع فى دورات المياه والحمامات بحيث أصبح الاستهلاك فى هذا الباب أقل من السدس !! فهل يستطيع أحدنا أن يبتدع لنا أسلوباً لتوفير الماء الضائع أثناء الوضوء ـ مثلا ـ فيما بين غسل مختلف الأعضاء ؟؟ .

خامساً : رصد مكافأة أو جائزة لذلك العالم أو التكنولوجي العربى ، أو مجموعة من العلماء والتكنولوجيين العرب ، ممن يستطيع أن يحقق عربياً وعالمياً ، جهازاً يعمل بالطاقة (الحرارية) الشمسية ، أو بالطاقة (الحرارية)

المستمدة من الغاز الباطني ، سواء الغاز المصاحب للزيت الذى نحرقه قرب مستودعات الحقول ، أو الغاز الطبيعي المستقل عن الزيت ، ويكون عمل ذلك الجهاز استنقاذ الماء من (الرطوبة الجوية) القريبة من سطح الأرض ، والتى تكون الضباب والندى فى بعض الأحوال . والرطوبة الجوية على مستوى السواحل العربية لدى الخليج ، وبحر العرب ، والبحر الأحمر بشاطئيه على وجه الخصوص ، يمكن أن تكون مصدراً مفيداً للماء ، لو أعطيناها من العناية العلمية ماتستحق.. ويستحق جائزة عالمية المستوى ذلك الذى يبتدع جهازاً اقتصادياً لاستنقاذ تلك الماء ، يستوحيه من مشاهدة ، قد لا تغيب عن بال الانسان الجيد الملاحظة ، إذا راقب أجهزة التكييف المنبثة فى مدينة كعاصمتنا هذه الدوحة ، حيث أمكن التوصل الى حساب مبدئي يقول بأن (خمسة آلاف) جهاز تكييف ، تكثف من الرطوبة الجوية (يومياً) ما يقارب (مليوني) لتر من الماء ... قد لا يكون هذا الرقم سارى المفعول على كل أيام السنة ، ولكنه بالتأكيد مؤشر هام إلى خطورة ضياع ماء الرطوبة الجوية ...

فهل يتحقق حلم انتاج جهاز تكنولوجي حديث بابداع عقليات عربية للاستفادة من الرطوبة الجوية على طول سواحلنا ، لنصنع بها الماء للشرب ، والزراعة ولو على نطاق ضيق جداً ؟ .

إن انجازاً كهذا يستحق من التمجيد والاحترام ما لا طاقة لى بوصفه ، إذ يعيد إلى الأذهان عالمياً حقيقة عنصر هذه الأمة وقدراتها فى العلم والتكنولوجيا دون ريب .

درويش مصطفى الفار



الجامعية

أصدر مكتب الخريجات بجامعة قطر العدد الجديد من مجلة « الجامعية » ، وفى هذا العدد قدمت الفتاة القطرية المثقفة صورة حية لنشاطها الفكرى والفنى ، وكشفت صفحات العدد الجديد من « الجامعية » عن مواهب أصيلة قدمتها جامعة قطر ، من بين المتخرجات فى هذه الجامعة الشابة ، فقد كان الغلاف الأول لوحة فنية بديعة للرسامة القطرية بدرية جاسم الدرويش ، كما كان الغلاف الأخير لوحة للفنانة القطرية الموهوبة أمينة كاظم ، وجاء فى افتتاحية العدد الجديد من « الجامعية » أن « الخريجة القطرية لها حقوق لابد أن تتوفر لها ، وعليها واجبات لابد أن تؤديها ، والخريجة لا تطالب بالمراكز والمناصب العالية كما يشاع عنها ، بقدر ما تسعى للحصول على الخبرة الجيدة والعطاء المثمر فى أى مجال تتولاه .. إننا نؤمن بأن عمل المرأة ليس صادراً عن كونه ضرورة لتطور المجتمع وموازنته الانتاجية فحسب ، بل معناه أوسع وأشمل من هذه المفاهيم ، فهو عمل يحث الانسان على إثبات ذاته واكتشاف قدراته » ، وفى ختام افتتاحية « الجامعية » نجد « صرخة » تطالب « الخريجة بالمشاركة فى سائر الأنشطة الاجتماعية والثقافية » حتى « نثبت دائماً أننا نملك عقولا وشخصية متكاملة الجوانب » وعلى صفحات « الجامعية » نلتقى باقلام الخريجات القطريات فى المقالات والأبحاث والدراسات والقصص والقصائد والتحقيقات الصحفية ، وفى كل هذه المجالات أثبتت الخريجة القطرية جدارتها وموهبتها وعمق نظرتها إلى الأمور وجديتها فى البحث والتفكير والتعبير .. تحية للجامعية ، فى عددها الممتاز ، شكلا وموضوعاً .. وتحية لمريم الخليفى ولطيفة المناعى المشرفتين على تحرير « الجامعية » .. وفى انتظار أعداد أخرى وخطوات « للجامعية » أكثر ثقة وثباتاً على طريق المستقبل .

« الدوحة »



حتى لايضيع التراث الشعبي في الخليج

بشرى ناصر

جاء فى مفتتح مشروع وثائق التأسيس لمركز التراث الشعبى لدول الخليج ما يأتى :

تعتبر منطقة الخليج والجزيرة العربية من أجزاء الوطن العربى التى تأخرت كثيراً فى رعاية وحماية التراث الشعبى والعمل على الاستفادة منه .. وتوظيفة توظيفاً علمياً لاغنـاء تقدم بعض المجالات الأخرى .. على الرغم من اكتساح المتغيرات لكل نواحى الحياة ونفاذها الى أعماق الانسان بسرعة مذهلة فى هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم .. بحيث طغى الجديد الوافد على أصالة القديم وطمر منابعه وأخذ يعمل منه تغيراً وتحويراً... .. ويبعد به عن الأصول حسبما تقتضيه روح العصر الحديث وأدواته ..

وقبل حوالى مائة عام من الان أدركت الشعوب المتقدمة بأنه اذا كانت هذه سنة الحياة وقانون التطور .. فلا بد من رعاية وحماية جذورها وأصولها من الضياع والتلف .. فأنشأت المراكز والهيئات والجمعيات الوطنية لرعاية وحماية التراث الشعبى وبذلت من أجل نلك المال والخبرات والتضحيات .. واستطاعت أن تصل ماضيها بحاضرها وتحقق قدراً كبيراً من التوازن والتواصل بين مختلف الأجيال .

من أجل ذلك وبعد تخطيطات جادة وجهود واعية يتم افتتاح مركز خاص بالتراث الشعبى وكل ما له صلة بذلك ... وقد اختيرت دولة قطر مكاناً لمقر هذا المركز .

وبعد المؤتمر الذى أقيم في الشهر الماضى وما دار من نقاشوحوار .. وجدت نفسى أبحث عن أجوبة لأسئلة تزيل كـل غموض يعلق فى وقته .. حملت أوراقى واتجهت الى على عبد الله خليفة والذى وجدته ساهراً حتى ساعة متأخرة من الليل مع افراد يشاركونه هذا الحب للموروث الشعبى وقال على عبد الله خليفة فى البداية عن مركز التراث

الشعبى :

إن أهداف المركز تتلخص فيما يأتى :

● جمع وتدوين وتحقيق كل ما له علاقة بالثقافة الشعبية التى كانت سائدة فى الماضى بدول الخليج العربية والتى تمثل روح الشعب وحكمته وابداعاته المختلفة مثل اللغة المحكية وصوتياتها وعلوم صناعتها والأشعار والاهازيج والأزجال والرقص والحكايا والأساطير .

● تقديم الدراسات ونشرها حول التراث الشعبى الخليجى من منطلق الدراسة الشاملة لتراثنا .

● رعاية هذا التراث كثروة وطنية وقومية وحمايته من استغلال الغير .

● تأكيد المحتوى الوطنى لطبيعة العمل الميدانى لتجميع التراث الشعبى وحفظه عن طريق خلق مشاركة شعبية واسعه تساهم فى جمع المواد وتسند العمل الرسمى فى رعاية التراث وحمايته

● انشاء مكتبة متخصصة للتراث الشعبى (سمعية وبصرية) بأحدث الاساليب العلمية لتكون مرجعاً للدراسين .

● العمل على ادخال المناسب من أجل الثقافة الشعبية وما طرحته من قيم سامية الى مناهج التربية الحديثة بالدول الاعضاء .

● تطوير امكانيات الدول الاعضاء في مجال الاهتمام والرعاية الخاصة بالتراث .

– أما وسائل تحقيق تلك الأهداف فتكون بالنقاط التالية :

● تشجيع وتبنى جهود الافراد والمؤسسات الأهلية التى تمس مجال عمله .

● تقديم منح دراسية واقامة دورات تدريبية متخصصة لتأهيل الكوادر المحلية والاعتماد عليها .

● اصدار مجلة علمية متخصصة وإقامة مواسم ثقافية وابتداع الأفكار والوسائل الحديثة فى نشر التراث وربط الأجيال الجديدة بأصالته .

● التعاون مع المركز الأقليمى للتوثيق الاعلامى لدول الخليج فيما يختص بالتراث .

● تشكيل اللجان الدائمة والمؤقته اللازمة لدراسة بعض المسائل الخاصة .

● أية أمور أخرى يقررها مجلس الادارة فى حدود اغراض المركز .

التراث الواحد

قلت لعلى عبد الله خليفة : بصفتك المشرف على مشروع مركز التراث ، نريد منك توضيح ذلك التشابه الكبير فى مأثوراتنا الشعبية سواء كانت حكاية أو أمثلة أو مقولات ؟

– منطقة الخليج والجزيرة العربية منذ فجر التاريخ كانت مهداً لحضارات ، وكان لها دور كبير فى التراث الانساني .. وأثناء ازدهار تلك الحضارات وتفاعلها مع الحضارات الأخرى ، كانت أغلب دول المنطقة يطلق عليها اسم تاريخي واحد يشمل كل أجزائها .. وبتطور الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية ظلت لهذه المنطقة ظروفها المشتركة الواحدة .. فنتاج الناس على هذه الأرض على مر العصور تعبير عن همومهم المعيشية .. ولقد توصلت الدراسات الفلكلورية والأسطورية المقارنة إلى أن هناك أساساً أسطورياً وفلكلورياً لأغلب الشعوب العربية منذ أكثر من ألفي سنة قبل الميلاد سواء كان فيما بين النهرين أو فى الجزيرة والشام ولبنان وفلسطين . وهذا يعنى أن منابع الميثلوجيا العربية تقترب بجذورها على مدى ستة آلاف عام فى الجزيرة العربية وما جاورها . ولقد تواتر هذا النتاج الحضاري الذى أسهم فيه الشعب الخليجي بنصيب وافر وتواصلت حلقاته تأثراً وتأثيراً حتى ورثناه اليوم .

فالتراث الشعبي الذى بين أيدينا الآن نتاج منطقة واحدة وهو كل لا يتجزأ ويعتبر أحد جوانب الفولكلور العربي . فالأشعار ، والأزجال ، والأمثال الشعبية ، والحكايات ، وكل جوانب التراث الشفاهي فى كل المنطقة واحد لظروف متشابهة ومعاناة واحدة اضافة إلى أن العادات والتقاليد التى أفرزتها الممارسات اليومية للأجيال الماضية فى كل منطقة الخليج واحدة .

وهي تعكس جوانب المعاناة الاجتماعية للأجيال المتعاقبة .. وإذا أخذنا الجوانب الأخرى كالرقص والغناء والحلي والأزياء والطب والصناعات ، فلا تختلف فيه أية دولة خليجية عن أخرى إلا بقدر اختلاف القرية الواحدة عن الأخرى فى البلد الواحد . فتراثنا الشعبي هو تراث عرب الجزيرة العربية وما جاورها وما تفاعل به مع الحضارات الأخرى حتى وصل إلينا .

المهارات والاستعداد

وعدت لأسأله : إذن ماهي الطريقة التى تتم بها الدراسة والبحث فى المركز ؟ قال لي : لكل جانب من جوانب التراث الشعبي طريقته الخاصة فى التناول والبحث .. ففى مجال الأدب الشعبي لابد أن يبدأ الباحث عمله بجمع المادة الشفاهية أو (المحكية) وهذه البداية هى التى توفر المادة الخام موضوع البحث ، ثم تمر هذه المادة بعد جمعها بمراحل عديدة متعارف عليها لدى الباحثين فى هذا المجال حيث تأخذ طريقها أولا إلى تدوين النصوص على الورق وتحقيقها وضبط مفرداتها ثم توثيقها وتقديمها كمادة موثقة توثيقاً علمياً ليستفيد منها الباحثون فى علوم الانسان والميادين العلمية الأخرى ذات العلاقة .

وفى مجال آخر كمجال فنون الغناء والرقص .. لابد من تسجيل المادة تسجيلا سمعياً وبصرياً وإعداد مادة فلمية وثائقية تسجل الموسيقى والأغنيات وتعرض للحركات الايمائية . والايقاعية التى يقوم بها الراقصون ، ثم تعرض هذه المادة على الباحثين فى المجالات المتعددة .. فالباحث الأدبي يتناول النص .. والموسيقى يتناول مجاله .. وهكذا .

وفى مجال الصناعات الشعبية لابد أولا من حصر تلك الصناعات التى كانت سائدة فى تلك الأزمان .. وتحديد ما انقرض منها .. وما هو مستمر .. مع توصيف كل صناعة على حدة .. طريقة الصانع فى إبداع بضاعته وتسويقها وطريقته فى ابتكار الأشكال واكتشاف المواد الخام .

وفي اعتقادى أن الباحث فى مجال التراث الشعبي لابد وأن يتمتع بمهارات متعددة واستعداد ثقافي للتعاون والاستفادة من جميع مجالات العلوم والفنون المساعدة الى جانب مجال تخصصه .



حتى لايضيع التراث الشعبي في الخليج

●● أستاذ على .. أى المناطق برأيك في (منطقة الخليج) تمتلك قوة حبك وخلق الحكايات والأمثلة الشعبية ؟

ـ تتميز بعض مناطق الخليج نتيجة للموقع الحضاري والتاريخي ونتيجة لكثافة السكان وتنوع سبل العيش بكثافة انتاج الموروث الشعبي .. فمنطقة مثل سلطنة عمان تعتبر غنية بالتراث الشعبي .. فتأثيرها التاريخي بعيد الأثر .. إلى جانب كونها البوابة التى عبرت منها الفنون الخليجية الوافدة .. وهي الفنون التى قدمت من الساحل الأفريقى عن طريق عمان إلى بقية أجزاء الخليج .. وبصفة عامة تعتبر المناطق القريبة من الساحل هي المناطق المتعددة الفنون نتيجة لكونها نقطة الاتصال والتواصل مع الشعوب والحضارات المجاورة ، فكلما اتجهنا إلى الساحل تعددت الفنون وتنوعت .. وكلما اتجهنا الى الداخل بعيداً عن الساحل انحصرت هذه الفنون وقلت كثافتها . ففنون البادية مثلا .. فنون محدودة ومعروفة .. لأن البدوي بطبعه كان غير ميال لقبول الجديد على عكس أبناء الساحل نتيجة احتكاكهم بأقوام ولغات وعادات مختلفة ميالون إلى استقبال الجديد الوافد ، والتأقلم معه وتبنيه فى بعض الأحيان . وكما هو معروف فى منطقة الخليج تتوزع الثقافة الشعبية التى كانت سائدة فى الماضى ثلاث بيئات اجتماعية. البيئة الصحراوية أو البدوية .. والبيئة الساحلية أو البيئة الزراعية والتى تمثلها القرى الصغيرة المتناثرة فى الخليج .. ولكل بيئة من هذه البيئات فنونها وعاداتها المميزة.

منابع الأصالة

وهنا سألت على عبد الله خليفة عن اعتقاد البعض بأن العودة للماضي قمة الصدق والنظافة .. وكيف نتمكن بعد التسليم بأن التراث جزء من الماضى أن نجرى تقنية علمية لغربلة ما يصلح للأخذ به وإبعاد ما لا يصلح ؟ .

وقال : هناك اسلوبان للعودة إلى الماضى .. أسلوب يرفض الحداثة ويرفض المعطيات والمكتسبات الجديدة ويعتقد أن فى الماضى عودة إلى الجذور الصحيحة التى لا يوجد غيرها .. والأسلوب الآخر يرى بأن المنجزات التى حققها الانسان فى عصرنا الحديث هي نتاج مسيرة طويلة من المعاناة التى بذلتها الأجيال من أجل حياة أفضل .. ويرى فى منجزات الماضى مكتسبات أخرى لولاها لما تحققت انجازات اليوم .. وأن القديم والحديث على الرغم من بعد الشقة بينهما خط حياتي متصل .. فبدون الاستفادة من تجارب الأولين ، لايمكن ابتداع اشياء افضل ، وان العودة الى الماضي ليست بهدف بعثه وإحيائه من جديدة .. فالماضي فى لغة الحياة هو ابن الأمس . والعودة إليه هي للحفظ والتسجيل والدراسة والتأمل وتغذية مجالات العلوم بمكتشفات كثيرة مازالت هذه العلوم بحاجة إليها للتعرف على مسيرة الانسان وعطائه وطرائق عيشه .

وعندما تهتم دول الخليج بحفظ ورعاية وحماية تراثها الشعبي ، فانها انطلاقاً من الدراسة الشاملة للتراث الشعبي العربى تتوجه لمعرفة الأصول والمكونات والخصائص لهذا التراث بحثاًعن منابع اصالتها وما يكمن فى موروثها الشعبي من ثراء وتعبير صادق عن معاناة أبنائها وابداعاتهم المختلفة .. وفي ذات الوقت تتوجه إلى توفير مادة علمية للدراسات الاجتماعية فى علوم وتاريخ الانسان ، بالاضافة إلى محافظتها على مأثوراتها من الضياع والعبث والخلط والتشويه .. خصوصاً وأن مجتمعاتنا تعيش المتغيرات البليغة الأثر التى تحاول أن تقتلعنا من الجذور .

مهمة الباحث

وتوقفت عندئذ عند سؤال مطروح يؤكد أصحابه أن أجترار الماضى استهلاك للحضارة ، وأن الأولى بنا البحث عن صيغ حضارية جديدة تتفق والواقع المعاش . ؟

وقال : إن معالجة زماننا بطرائق حديثة لا ينفى أن نرعى ونحافظ على ما ورثناه .. إن الخطوات حثيثة للمضى بالحياة قدماً وبشكل مذهل .. ولا أعتقد أن تفرغ مجموعة من الباحثين لدراسة جانب من جوانب التراث أو التاريخ أو أى مجال من المجالات المتصلة بالماضي سيعيق تلك الاعداد الهائلة المشغولة بالبحث والابتكار لتقدم البشرية . وأرى أن الابحاث فى أى مجال من المجالات مكملة لبعضها البعض . فكل مجال ينير الطريق للمجال الآخر ويدعم تطلعاتها ويسند براهينه .. ويعزز القيم السامية التى جعلت من البحث العلمي خدمة وطنية ومكسباً حضارياً لكل جيل .

وقلت له : إذن كيف نستطيع التفريق بين ما هو تراثى .. وما هو تاريخي ؟ .

قال : فى اعتقادى أن التراث مادة من مواد التاريخ .. فاذا كان التاريخ بصفة عامة يهتم بالمتغيرات الحياتية الكبرى للشعوب والأمم .. فان البحث فى مجال التراث يهتم بقاع هذه الأحداث وجزئيات مؤثراتها وطبيعة وحياة وظروف الناس الذين أوجدوا هذه المتغيرات الكبرى . فالتاريخ يوجز الحديث .. والباحث فى مجال التراث يفصل دقائقه ويشرح جوانبه .. وكل منهما يقدم خدمة جلى للآخر .. فعلى سبيل المثال ، الباحث فى مجال الآثار يهتم بمادة الأثر إن كانت حجراً أو معدناً أو ماشابه .. والباحث فى مجال التراث الشعبي يهتم بالذى شكل المادة والظروف التى أحاطت به ، وهل تشكيل هذه المادة امتداد لفن متوارث أم مكتسب أم طارىء جديد ، وما إلى ذلك من جوانب .. وكما سبق أن ذكرت أن العلوم فى بعض مجالاتها تتداخل وتكمل بعضها بعضاً .

بشرى ناصر

صبابات

شعر : حسن طلب



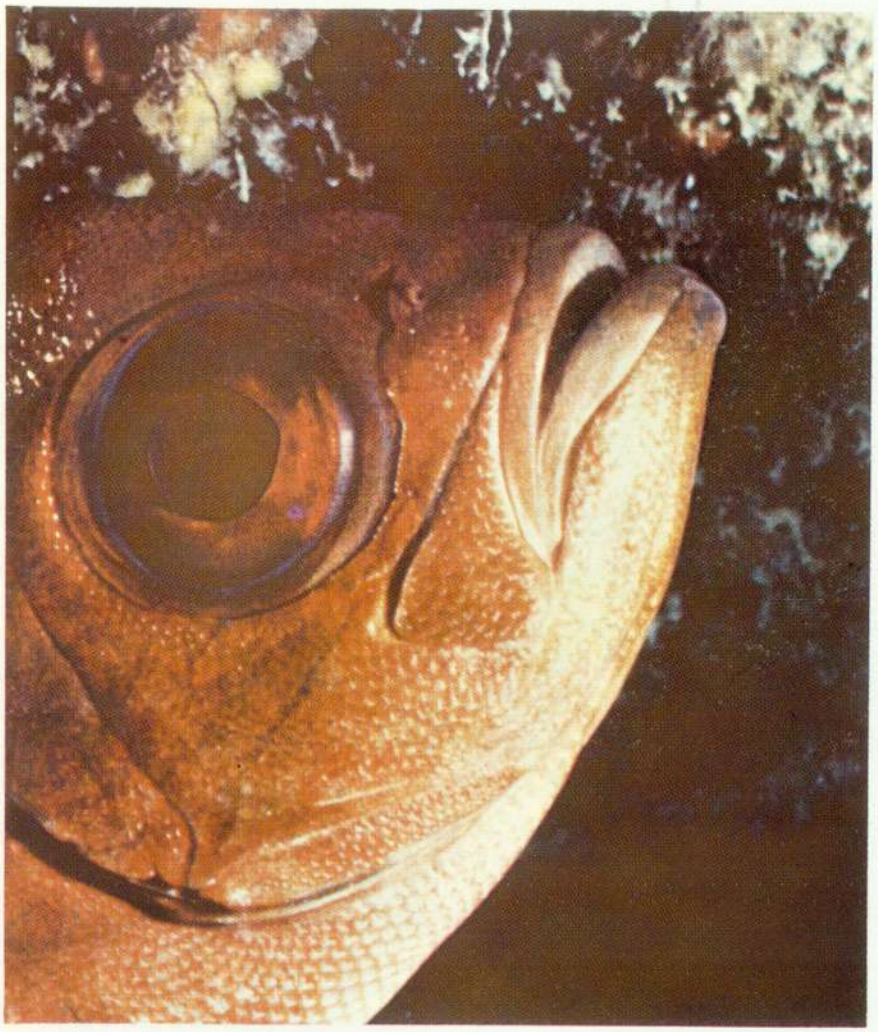
١- ديمومة

زمنٌ يتخلقُ فى عينيكِ ،
وتاريخٌ يتراءَىٰ
زمنٌ كالحُلمِ أضاءَ
وتجسَّدَ فى حِنطَةِ عينيكِ :
عقيقاً ..
وأقانيمَ ..
وماءَ
زمنٌ فى عينيكِ تراءَىٰ
وارتدَّ إلى عينيَّ :
رموزاً زرقاءَ ،
وأشْياءَ
فكأنْ قد فى أبدٍ كانَ ..
كأنْ قد من أزلٍ جاءَ
وكأنْ شربتْ عيناكِ من النيلِ :
طقوساً
وأساطيرَ
وأسماءَ

٢- تجريد

قواريرُ الندىٰ شفتاكِ
.. عيناكِ الأهَازيجُ
رأيتُكِ تدخلينَ
.. وكنتِ واضحةَ الجَّبينِ
وتخرُجينَ ..
وصرتِ سانحةَ العيونِ
وجالَ فى عينيكِ دمعٌ
.. فهو منشوجُ
اسمِّيكِ : الوليدةَ
حين يحملُ صوتُكِ العادىَّ
عِطرَ الموْجةِ الأُولىٰ
وأرقبُ جِلدَكِ العلنىَّ
ينضجُ تحت حبَّاتِ الندىٰ
.. ويذوبُ فيها .. فهو ممزوجُ
لماذا لا أسمِّيكِ القَصيدةَ ؟
ثم أرسِمُ :
آهِ يا دُعجَ العيونِ .. وفى حواجِبِهنَّ تزجيجُ !

صنع الله إبراهيم



الحياة والموت في بحر ملوّن

سمكة الفراشة

ورحلة البحث عن الأمان في عالم الخطر!

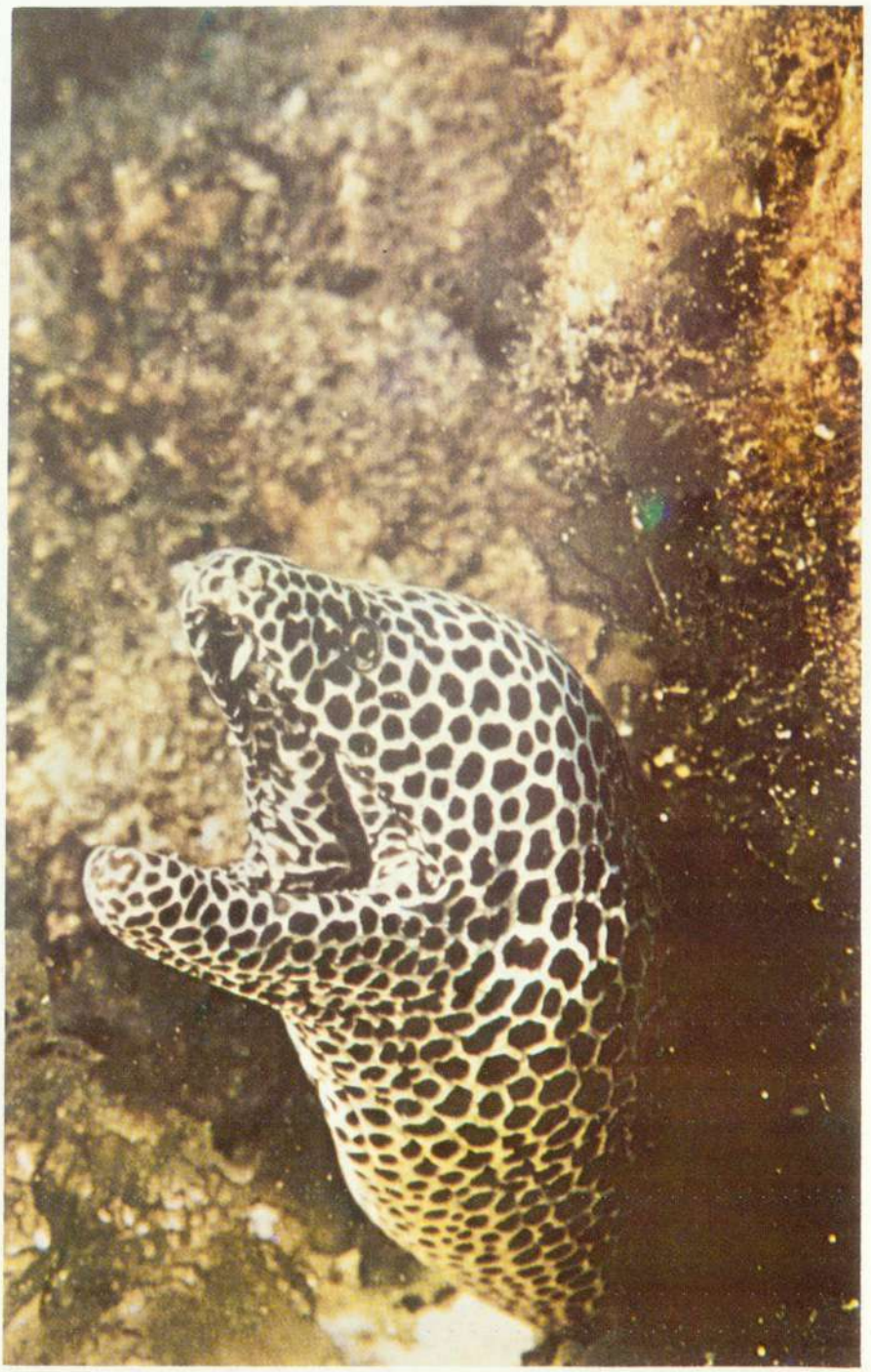
أخذ ضوء النهار يتراجع تدريجياً من أعماق البحر .

ذهبت أولا الأشعة البنفسجية المبعثرة التى لا تكاد تبلغ الكائنات الساكنة تحت ألف قدم . فعلى ذلك العمق ، تكون أكثر الساعات اشراقاً هى درجة خفيفة بين الغروب وسواد الليل الفاحم ، وتعتمد الحيوانات على خلايا خاصة فى أجسادها تزودها بما تحتاج إليه من ضوء ، أو تتخلى تماماً عن حاسة الرؤية ، ملتجئة إلى حواس أرهف وأقوى .

وسرعان ما تلاشى الضوء الأزرق فى المنطقة التالية ، وتبعه اللون الأخضر الذى ينتشر حتى عمق ٥٠٠ قدم ، ويعتبر أسهل الألوان رؤية لدى الأسماك .

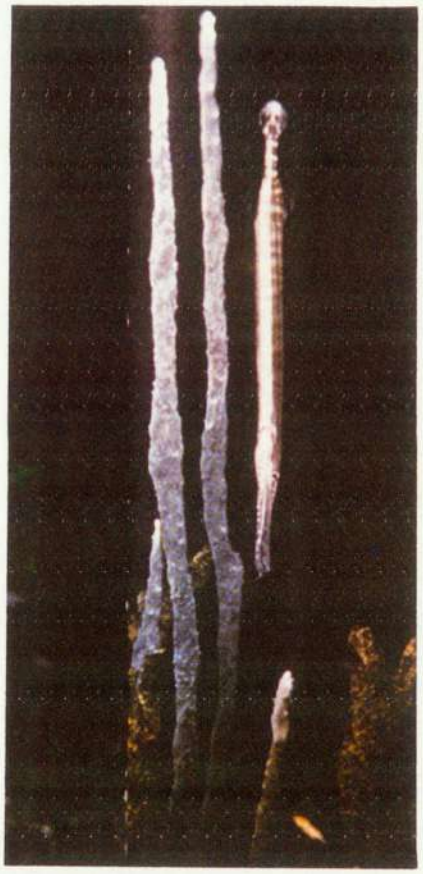
وجاء الدور بعد ذلك على الأشعة الحمراء التى تدفىء وتضىء أعلى طبقات البحر . عندئذ قررت جماعات من سمك سليمان القوى ، و «البينيت» ذات القشور الزرقاء الداكنة ، و «السردينيلا» الفضية ، أن تهجر الشعاب ، بعد ساعات من اللعب تخللتها اعتداءات وحشية من جانب أسماك سوداء مثل السخام . وانطلقت إلى عرض البحر ، مستأنفة حياتها الجوالة بين البحار والمحيطات .

بينما بدأت أسماك البحر الأحمر ذاته



هذا الوحش المفترس هو من اكثر حيوانات البحر الأحمر انطواء .. وهو من انواع الثعابين البحرية .. وكان الرومان يستانسونه فى قديم الزمان ويقيدونه بالسلاسل

الكثير من حيوانات البحر تلجأ إلى التخفى لتضليل أعدائها .. ويستغل « الحزمان » شكله ليتمدد بين الفروع المرجانية أو الصخرية كانه واحد منها



رحلة عكسية من الطبقات العليا للمياه إلى الشعاب المرجانية . وانتشرت بألوانها الصارخة ، ونقوشها الفاتنة ، متجهة فرادى وجماعات إلى ملاجئها ، حيث يرقد بعضها فى خمول ، ويغفو البعض الآخر ، اغفاءة خفيفة بعيون مفتوحة ، ويظل البعض الثالث يقظاً ، ويحتمى الجميع من مفترسى الظلام .

شقت « المشيط » طريقها ببطء وسط الماء ، وهى تتهادى كالعروس ، وتتأمل جانبى العالم الأخضر المحيط بها ، بتلك النظرة الوادعة التى اشتهرت بها فى عالم الأسماك .

لكن وداعة نظراتها كانت تخفى ، فى الحقيقة ، حذراً بالغاً ، وانتباها فائقاً ، لأى بادرة توحى بالخطر . وهو أمر طبيعى طالما أنها لا تملك من وسائل الدفاع المتنوعة لدى الأسماك شيئاً ذا بال .

فعدا خفتها وقدرتها على الزوغان والاختفاء فى أدق الشقوق ، بفضل جسدها المسطح الرفيع على شكل القرص ، وزعانفها القصيرة ، يتمثل سلاحها الدفاعى الوحيد فى ألوانها .

ذلك أن ألوانها الصارخة ، التى تمتد من الأصفر إلى البنفسجى ، والتى جلبت لأنواعها العديدة المنتشرة فى البحار

سمكة الفراشة

المدارية والاستوائية حول العالم اسم « سمكة الفراشة » ، تكاد تجعلها غير مرئية عندما تعوم بين الألوان الزاهية للمراجين والأسفنجيات ، وما يسعى خلالها من قشريات ورخويات .

بل إن الخلايا الحاملة للألوان على سطح جسدها ، تتميز بحساسية بالغة لدرجات الضوء الواقع عليها ، وبالتالى للألوان التى تعكسه . وفى نفس الوقت يستجيب الجهاز العصبى للسمكة ، عن طريق العينين ، بدرجة معينة لكل لون من هذه الألوان .

والنتيجة أن خلايا الألوان تتلقى اشارات بالانقباض أو التمدد ، فيختفى أحد الألوان أو ينتشر بحيث يطغى على البقية ، مما يؤدى إلى تغيير الألوان التى تغطى السمكة . فاذا انتقلت من أمام شعاب عليها اللون الأحمر ، إلى أخرى يسود فيها اللون الأصفر أو الأزرق ، تغيرت على الفور ألوانها لتضاهى اللون الجديد .

وعندما يتلاشى النهار ، تنقبض خلايا الألوان الساطعة ، وتكتسى السمكة بدرجات قاتمة منها ، تجعلها تلتحم بالظلمة السابغة .

لكن هذه الخاصية الرائعة لم تكن مصدر أمان كاف .

فالقدرة على تغيير الألوان ليست سراً مجهولا بين سكان الشعاب . وهى خاصية تستعين بها الأسماك المفترسة أيضاً ، مثل « البصيلى سمارة » المعروفة باسم سمكة الكردينال بسبب عباءتها القرمزية . فعندما يحل الليل يتحول لونها إلى رمادى فضى تتخلله أشرطة سوداء .

وبالاضافة إلى ذلك فان السمك يعتمد فى نشاطه على حواس عديدة أخرى غير حاسة الرؤية .

لهذا لا تجد « المشيط » الأمان الكامل الا داخل الشق الرفيع الذى تلجأ إليه فى نهاية النهار .

ولولا المهمة التى وضعتها نصب عينيها اليوم ، لكانت اندفعت نحوه بكل ما تملك من قدرة على الاسراع .

المسكن المناسب

وعادة لا تغير الأسماك مواقعها طالما تملك مسكنا ملائماً . لكن « المشيط » لم



سمكة « المشيط » تقدم خدماتها لسمكة من أسماك « أبو ذقن » المعروفة باسم سمكة العنزة

تكن راضية عن الشق الذى تقطنه .

وبداية فانها لم تختره لنفسها . وليس معنى هذا أن ثمة هيئة لتوزيع المساكن فى عالم الأسماك . لكن الذى حدث هو انها عندما نما عودها ، وتغطى جسدها بالحراشيف ، أرادت أن تستقل بنفسها عن حياة الجماعة ، فلم تجد أمامها غيره .

ففى عالم لا يحكمه غير قانون التنازع على البقاء ، تأخذ كل سمكة ما تستطيع . ومن الطبيعى أنها تأخذ أفضل مكان . أما الضعيف أو الأصغر ، فلا ينال سوى فتات الأماكن .

وكان لمسكنها عيبان رئيسيان . فهو عرضة لتيارات قوية من الماء ، كما أنه لم يكن ضيقاً بما فيه الكفاية .

وصبرت المشيط على هذين العيبين ، الى أن وجدت نفسها مقبلة على وضع البيض ، فأدركت بغريزتها أن تيارات المياه القوية يمكن أن تجرفه معها ، وأن سعة الشق تعرضه للالتهام على يد الأسماك معقوفة الفكين ، ذات الخطوم البارزة كمناقير الطيور .

وأصبح من المحتم العثور على مسكن جديد .

لكن ذلك لم يكن بالأمر السهل . فبالاضافة إلى الشروط العديدة التى يجب أن تتوافر به ، لابد وأن يكون غير مأهول ، والا نشبت معركة دموية مع أصحابه .

لهذا السبب لم يكن بوسعها أن تجرى البحث بالنهار ، عندما تكون أغلب الأسماك خارج مساكنها ، ويستحيل تحديد المهجور منها . والا كان ذلك ممكنا بالليل ، عندما تخرج الأسماك المفترسة للصيد .

الوقت الوحيد المناسب لذلك هو تلك الفترة الوجيزة عند الغروب ، التى تعود الأسماك خلالها إلى مساكنها ، فيمكن الاحتماء فى جماعاتها ، كما يسهل تبين المساكن الخالية من المأهولة .

أمام الوحش الصغير

عامت المشيط على حافة فوج هائل من سمكة «الكشكوشة » ، غطى مساحة واسعة تربو على المائة متر ، وتمتد إلى عمق ثلاثة أمتار .

فهذه السمكة الصغيرة التى لا يزيد طول الفرد منها على ثلاثة سنتيمترات ، تتحرك دائماً فى أعداد ضخمة لتحمى نفسها من أعدائها الكثيرين ، الذين يحجمون عن مهاجمة التجمعات الكبيرة لما يصابون به حينذاك من ارتباك ناجم عن صعوبة التركيز على واحدة من الفرائس العديدة المتشابهة .

وواقع الأمر أن اثنين من هؤلاء الأعداء ، كانا يعومان على مقربة ، يتحينان الفرصة لالتقاط بعض السمكات الشاردة دون التورط فى مهاجمة الفوج نفسه .

أحدهما هو جماعة من سمك الخرمان الرفيع ، الذى يشبه العصا أو الترومبيت الموسيقى حتى أنه سمى باسمه . والثانى هو سمك العقام أو البراكودا الذى انتشرت أفراد قليلة منه وسط جماعة الخرمان ، وقد فغرت أفواهها





تعتبر ظاهرة تغيير الألوان من أعجب ظواهر حياة الكائنات البحرية وأكثرها إرباكا للعلماء .. هاتان الصورتان مثلا لسمكتين مختلفتين فى حين أنهما تمثلان سمكة واحدة !

كاشفة عن أنيابها المرعبة .

وربما كان مشهد هذه الأنياب هو الذى دفع المشيط الى أن تبتعد عن فوج « الكشكوشة » وتنضم الى سمكة « ملاص » وحيدة بعد أن تجنبت فوجاً من سمك « سحل » ذى اللون الأزرق والخطوط الطولية الصفراء ، الذى يعرف بسمك الجراح أو الدكتور بسبب شوكتين حادتين على الذنب ، تشبهان مشرط الجراح ، وتصيبان من يتعرض لهما بجراح بالغة .

مضت « المشيط » بعض الوقت خلف سمكة «الملاص » ، وقد اجتذبتها ألوانها الزاهية التى يغلب عليها اللون القرمزى يتخلله اللون الأزرق على هيئة صفوف من نقاط بطول الجسد ، وخيوط كالأشعة تحيط بالعينين ، بينما ينفرد اللون الأصفر الخالص بالذيل .

وعندما كفت « الملاص » عن الهبوط ، واتجهت إلى أقرب مستوى من الشعاب ، لتدفن جزءاً من جسمها فى الرمال الطرية التى تغصء ، ترددت « المشيط » لحظة وقد خطر لها أن تتبعها لتلتمس مطلبها عند هذا المستوى ، ثم عدلت عن ذلك حالما لمحت بركن عينها أحد أفراد « أبو عدس » يقترب بسرعة ، وخياشيمه تنبض فى قوة ، بينما تحدق عيناه الصغيرتان فى حذر .

و « أبو عدس » واحد من أسماك الكشر ذات الرؤوس المخيفة ، يستمد اسمه من لون ظهره الداكن الذى تنتشر فوقه نقاط بنية فاتحة تشبه حبات العدس .

استدارت «المشيط » مبتعدة بهزة صغيرة من ذيلها ، بينما فتح « أبو عدس » فمه قليلا دون أن تصدر عنه حركة ما . وفى اللحظة التالية اختفت « الملاص » .

فقد استنشق الوحش الصغير قليلا من المياه ، امتص معها السمكة . وعندما استقرت فى فمه ابتلعها على الفور .

الضيوف الثقلاء

حومت الأسماك المختلفة ، فرادى وأفواج ، حول مداخل الشعاب ، وتحت تكويناتها المختلفة ، المتعددة الأشكال ، التى تكونت من أجيال لا حصر لها من البوليبات المرجانية .

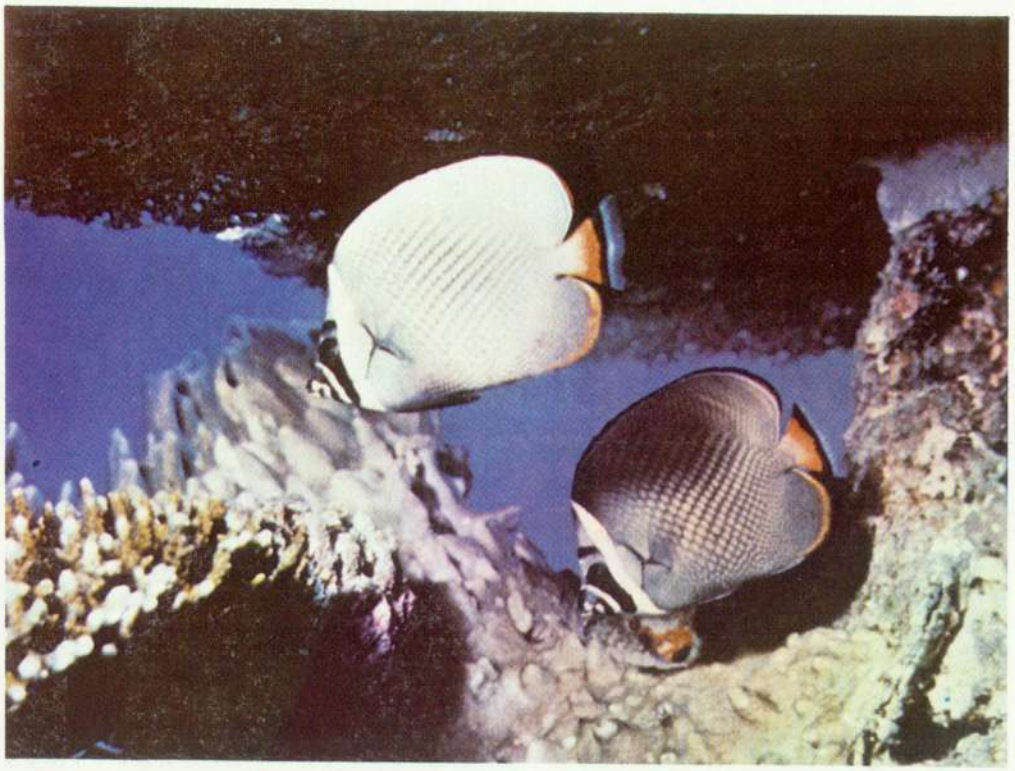
فعبر آلاف الأعوام ، عاشت الأجيال المتعاقبة من هذه البوليبات داخل كؤوسها الحجرية ، تتمدد أجسادها وتنكمش ، وتنقبض لوامسها المتفرعة وتنبسط ، ثم تتبرعم وتتفرع مثل النباتات والأشجار ، وتموت لتنمو البوليبات الجديدة فوق أنقاضها ، مكونة فى النهاية ذلك الحائط الملون العظيم الذى يمتد على شاطىء البحر الأحمر بعرض يتراوح بين عشرات الأمتار ومئاتها .

وطوال النهار كان الحائط العظيم جامداً يكاد يخلو من أى علامة على الحياة ، اذ انكمشت البوليبات الحية داخل كؤوسها ، أو اختفت داخل فروع مستعمراتها متجنبة كل ضوء . أما الآن فقد أطلت بأجسادها وانتشرت لوامسها من حولها تبحث عن الطعام .

شقت « المشيط » طريقها بين المستعمرات المرجانية فى حرص ، وهى تتطلع فى الشقوق والحفر بعين ، بينما العين الاخرى تتابع باهتمام ما يجرى حولها من تحركات ، لتلتقط أى بادرة من بوادر الخطر .

وبهذه العين راقب موكبا من سمك الجوبى الصغير ، الذى لا يزيد طول الفرد منه عن أصغر أصبع انسانى ، وهو يقترب من الممرات الحلزونية لكتلة ضخمة مستديرة من المرجان المعروف باسم مرجان المخ ، حيث يقضى الليل تحت بولیباته الرقيقة ، فى حماية شبكة من الخلايا اللاسعة تظله مثل ترسانة من القذائف الصاروخية .

لم تكن لتجرؤ على التماس بغيتها فى هذا الملجأ الامن ، الذى ينفرد به سمك الجوبى ، بحكم علاقة فريدة بينه ، وبين



نكر وأنثى من سمكة « المشيط » المعروفة باسم سمكة الفراشة بين المرجان

سمكة الفراشة

سمكة أخرى من أغرب أسماك البحر الأحمر التى تسمى « الخرمان » ويطلق عليها احيانا اسم « الصفارة » بسبب شكلها !

البوليبات المخية ، تشبه تلك التى ترسمها معاهدات الصداقة وعدم الأعداء بين البشر . فاذا اقترب منها أحد غيره ، أطلقت عليه خيوطاً حلزونيـــة تكبله ، وسهاماً مسممة تخدره وتقتله .

واذ انزلقت « المشيط » فى الماء متجاوزة المرجان المتكور وسكانه المحظوظين ، أوشكت أن تصطدم بسمكة « ابو عربية » ، التى يتغطى جسدها بأشواك دقيقة تكسبه ملمساً خشناً كالمبرد ، رغم أنه يبدو ناعماً كالمخمل ، وتحدث فى الجسد الذى تحتك به اصابات دموية .

تمكنت من أن تثنى جســـــدها فى اللحظة المناسبة ، لكن الحركة التى قامت بها قربتها من كتلة مرجانية متحجرة ، استقرت فوقها عدة أفراد من الحيوان البحرى ذى الصدفتين ، المعروف باسم بلح البحر .

ويشاء سوء حظ « المشيط » ، ان بيض احدى الصدفات اختار هذه اللحظة بالذات ليطلق يرقاته . فمن عادة هذه اليرقات أن تتعلق بالأجسام الحية المتحركة ، لتتغذى على دمائها وافرازاتها الرغوية .

تمكنت بعض اليرقات من القفز إلى جسد « المشيط » ، لكن السمكة لم تشعر بالأمر الا عندما غرزت اليرقات الدقيقة الأسماك الأشد دقة فى لحمها ، معتمدة على خيوط رفيعة تتدلى من هذه الأسنان وتغوص بسهولة فى الأجسام اللينة .

تلوت « المشيط » عدة مرات فى محاولة فاشلة للتخلص من ضيوفها الثقلاء . ثم شعرت بعد قليل بجلدها يأكلها فى مواقع متفرقة . وحاولت تجاهل الأمر ، منصرفة إلى البحث عن المسكن الموعود ، لكن الأكلان جعل يتزايد حتى أصبح لا يحتمل .

إقتربت من صخرة بارزة ، وحكت أحد جانبيها بسطحها الخشن . ثم استدارت وحكت الجانب الآخر . وعندما استأنفت طريقها فوجئت بجلدها يأكلها بشدة فى أماكن جديدة . فقد شقت اليرقات العمياء طريقها بعناية إلى الزعانف ، وانكمشت بين ثناياها بعد ان غرزت أسنانها ، وشرعت تمتص دماء السمكة .

الأسماك المنظفة !

احتلت أسماك الشعاب أماكنهـــا الثابتة بجوار منتجاتها الليلية . وأوحت تجمعاتها الهادئة بأنها فى أمان نسبى ، بينما كانت مهددة ــ فى الواقع ــ بخطر عظيم .

ففى تلك اللحظـــات الوجيزة التى تفصل بين النهار والليل ، تـــكون أغلب الأسماك قد تخلت عن وســـائل دفاعها النهارية ، ولم تتكيف بعـــد مع حلول الظلام .

ذلك أن عملية تغيير اللون التى سبق نكرها ، تتم بصورة تدريجية مع غيـــاب الضوء . فسمكة « أبو طنقور » ، مثلا التى ينتشر اللون البرتقالى نهـــاراً فـــوق خطمها البارز كالمنقار ، ويلون قزحتى عينيها اللتين تشع منهما خطوط زرقاء ، ويصبغ جسدها كله المزركش بنقاط زرقاء تظهر عليها عند الغروب بقع قاتمة تزداد مساحتها كلما خفت الضوء ، الى أن تغطى جسدها كله تقريباً .

وبهذا تظل الســـــمكة عاجـــزة عن مواجهة المفترسين الماهرين ، من قروش وفرنكات إلى كشر وجنخ ، الذين يسعون بين المراجين والطحالب والأسفنجيات ، ويعتمدون فى ملء بطونهم على هذه الفترة الحرجة التى لا تتجاوز ربع الساعة بمواقيت البشر ، والتى يبدأ بعدها صيد مختلف هو صيد الليل الوحشى .



لكن صيد الغروب ليس قاصراً على المفترسين الكبار وحدهم . فعلى مشارف المنتجع الليلى ، وعلى «نواصى» تتوافر فيها درجة من الأمان ، سواء من حيث ضيق أماكنها أو بعدها عن طريق المفترسين الكبار المألوف ، تجرى عملية صيد من نوع مختلف ، تقوم بها عـــدة أسماك من آكلات الكائنات الدقيقـــة ، أغلبها من عائلات « التربان » ، التى تضم أسماك « أبو ذقن » أو العنزة ، ومن عائلات « المشيط » ذاتها .

هذه الأسماك شاءت أن تتجنب مخاطر الحصول على اللقمة فى المياه الخارجية ، فراضت نفسها على الاكتفاء بما يعلق بأجساد الأسماك الأخرى ـ فى نهاية نهار حافل بالأحداث ـ من طحالب وبراغيث وديدان وغير ذلك من الكائنات الدقيقة .

وتسبب العوالق المختلفة ضـــيقاً شديداً للاسماك ، اذ يتعذر عليهـــا ، فى غالب الأحيان ، أن تتخلص منها بنفسها ولا تستطيع النوم أو الراحة قبل أن تفعل ، لذلك تلتمس العـــون لـــدى « المنظفات » .

وفى ظاهرة من أعجب الظواهر فى عالم البحار ، تتجمع الأسماك المنظفة بأماكن محددة ، حيث تقف معتمدة على نيولها فى صفوف متباعدة ـ كما يفعل الحلاقون فى أسواق القرى البشرية ـ فتتقدم منها الزبائن معلنة ـ مطلبها بايماءات وأوضاع معينة . عندئذ تهرع إليها المنظفات لتلتقط من فوق أجسادها ، أو من أفواهها وخياشيمها ، الكائنات الدقيقة التى تضايقها ، وتبتلعها فى استمتاع .

والى أحد هـــذه المواقع ، اتجهت « المشيط » ، بعد أن حكت جسـدها بكل ما قابلها من صخور وطحالب واسفنج ، دون أن تنجح فى التخلص من اليرقات التى دفنت نفسها فى أماكن لا يمكن أن تبلغها سوى الأفواه المدربة للمنظفات .

فى انتظار الزبائن

كان الموقع الذى قصدته « المشيط » ، عبارة عن ممر ضيق بين صـــخرتين ضخمتين ، برزت احداهما فى الماء برأس متكورة ، غطتها المراجين الميتة ، بينما اختفت الثانية تحت غابة صغيرة من مراوح البحر الـــوردية ، التى التصقت بها نجوم ريشية فى لون النحاس وطحالب متحجرة ، واســـفنجيات بنفسجية وخضراء وصـــفراء ، ودودة ريشية ، ومراجين زرقاء .

وداخل الممر ، بالقرب من أحد طرفيه ، وقفت ثلاث من السمكات المنظفة فوق نيولها ، تنتظر زبائنها فى صبر . وانتشرت أفراد من سمك« الناخر » ، بين المراجين والطحالب ، تبحث عن الرخويات والقشريات المدفونة فى الرمال وقد أوشكت شرائطها الصفراء اللامعة أن تختفى أسفل بقع داكنة .

ولم تكن « الناخر » فى حاجة ماســـة الى هذا الغطاء التنكرى ، بحكم الامان النسبى المتوفر فى أماكن التنظيف ، رغم أنها كانت فى متناول الفك المفترس لأحد وحوش البحار ، هو الثعبان الكبير ، الذى اتخذ لنفسه جحراً بين المراجين المتحجرة .

وحقيقة الأمر أن الوحش البحرى ، الذى يتجاوز طوله مترين ، هو من أكثر سكان الشعاب المرجانية خجلا وانطواء بالاضافة إلى ضعف ابصاره ، الأمر الذى أتاح للرومان الأقدمين أن يستأنسونه كما تستأنس الـــكلاب .

وهو يقضى أغلب الوقت داخل جحره وعندما يهبط الظلام ، ويشتد به الجوع ، يغالب تردده ويبرز رأسه من العرين .

سمكة الفراشة

فاذا ما لاحت له احدى الفرائس ، سرت فى جسده موجة من التموجات السريعة تمكنه من مهاجمتها دون ان يضطر الى اخراج جسده كله من العرين ، وخاصة نيله الذى يستعين به كرافعة فى جذب الفرائس الكبيرة بعد أن يطعنها باسنانه الحادة .

وربما كان المصدر الوحيد للخطر فى هذا الجو الآمن ، يتمثل فى واحـــدة من أعجب أسماك البحار ، هى سمكة الرعاد دفنت جسدها المسطح فى القاعدة الرملية للصخرة المقابلة ، التى تظللها المراوح البحرية .

وتنفرد الرعاد ، التى يبلغ طولها متراً بوسيلة دفاع فذة وفعالة للغاية ، عبارة عن جهاز كهربى تبلغ شحنته عشرين فولت . أما توليد الشحنة الكهربية فتقوم به ، عند أى تماس ، زائدتان على شكل كليتين فوق سطح رأسها . ورغم ان الطاقة المولدة لا تؤدى الى قتل الانسان ، فانها تكفى لقتل الأسماك الصغيرة والقواقع والصدفيات التى تتغذى عليها السمكة الكهربائية .

لكن الرعاد كانت راقدة فى خمـــول ، تنتظر فى صبر أن تزداد حلكة الظلام قبل ان تنطلق للصيد ، الأمر الذى شجع سرطاناً صغيراً على الخروج من أعماق جحر قريب ، يقطنه مع أنثاه ، وسرعان ما انهمك فى تمهيد الطريق أمام جحره ، مزيحا الرمال بكلابتيه ، مطمئناً إلى الحماية التى تقدمها له سمكة صغيرة من جوبى « القوبيون » تشاركه الحياة فى البحر .

وليس معنى ذلك أن السمكة الصغيرة ، ذات الزعانف الشائكة ، تستطيع الدفاع عنه . كل ما هنالك أنها تحتل مكاناً ثابتاً فى الماء قرب الحجر ، فاذا ما شعرت بأقل خطر اندفعت داخله وتكون فى ذلك اشارة كافية للسرطان ، ضعيف الأبصار ، المنهمك فى العمل ، كى يختفى عن الانظار .

وواتت سرطاناً مجاوراً فكرة جريئة ، فجمع بكلابتيه حفنة من الطحالب نثرها فوق ظهره بحيث أخفته ، وتسلل فى حذر إلى المياه الخارجية بحثاً عما يؤكل .

أما سمكة « البلينى » المفترســـة ، ضئيلة الحجم ، فكانت أكثر دهاء ومكراً .

فقد تظاهرت بأنها من أسماك التنظيف مستغلة مشابهتها فى الحجم واللون لاحداها ، فاتخذت وضعاً رأسياً بالقرب منها ، مستندة الى ذيلها مثل الأخريات ، مقلدة بقية حركاتها ، حتى تنتهز اللحظات التى تستسلم فيها الزبائن لعملية التنظيف فى اشباع شهيتها للافتراس .

وليس من الصعب تصور مجموعـــة العوامل التى أوصلت « البلينى » الى هذا السلوك الشائن ، سواء ما يتصل منها بالتجارب الأولى فى الحيـــاة ، وما يرتبط بتكوينها الجسدى . ولاشك أن الاساس فى هذا الشأن يعـــود الى ما تتميز به من أسنان ماضية ، وطبيعة مفترسة ، وجسم نحيف رخص ، يخلو من الزعانف الشائكة والعضلات القـــوية ، اللازمة للدفاع والهجوم ، مما حرمها من القدرة على القتال ، وأتاح لها فى الوقت نفسه مرونة بالغة ، مكنتها من تقليد الأسماك الأخرى .

على ان الألوان التى تحملها ، كانت هى العامل الحاسم فى الأمر . فهى من ناحية ألوان ثابتة لا تقبل التغير بحيث لا يمكن الاعتماد عليها فى التنكر من أجل اشباع الطبيعة المفترسة للسمكة . وهى من ناحية أخرى ، تماثل ـ بالصدفة البحتة ـ الألوان الزرقاء ذات الأشرطة الداكنة لاحدى المنظفات المعروفات ، وهى سمكة من نوع الراص .

الفخ المميت

كان أول من تقدم من السمكة المتنكرة سعياً وراء خدماتها ، كثر أحمر ضخم ، تخلى عن ميوله العدوانية ، وقرب جانبه الذى امتلأ بالطفيليات والعوالق ، الى فمها .

لكن « البلينى » الداهية تجاهلتـــه وابتدت عنه فى حذر . فلم تكن من السذاجة بحيث تضيع وقتها فى تنظيف جسد ضخم ، يصعب أيضاً افتراسه بسبب ما يتمتع به من قوة .

واذ أدرك الكثر انها لاتنوى تنظيفه ، هز ذيله ، واستأنف طريقه متقدما من المنظفات الأخريات ، وان كان خلاصه الحقيقى لن يتحقق الا على يد نوع من الروبيان (شبيه الجمبرى) يمتهن التنظيف . فهو الوحيد الذى يتمكن من ارتقاء جسده والتجول فوقه بحرية ، بحيث تصل كلاباته الى أكثر الأماكن



هذا السرطان وضع على ظهره بعض الطحالب فبدأ جزءاً من المستعمرة المرجانية التى استقر فوقها .



لاتخشى حيوانات التنظيف شيئاً من زبائنها .. وفى هذه الصورة الفريدة تسلل « الجمبرى » المنظف الى حلق ثعبان بحرى وعكف على التقاط الفضلات الغائرة بين أسنانه !

انزواء بين قشور الكثر الغزيرة وزعانفه الكبيرة .

أحدث مرور الكثر ذبذبات خفيفة فى الماء ، التقطتها حواس الثعبان ، فثارت شهيته ، وساعده هذا على أن يتغلب على خجله وتردده ، فيبرز رأسه من جحره فى حذر ، ليتبين ما يجرى فى الخارج .

ولمحته « البلينى » على الفور فقررت ألا تغفل عن مراقبته .

ولم تلبث « المشيط » أن أقبلت تتهادى فى رقة وخيلاء كعادتها ، دون أن يخطر ببالها أنها تخطو إلى فخ مميت .

ابتلعت « البلينى » الماء فى انفعال وهى تتأمل « المشيط » بعين غادرة . فالسمكة الرقيقة ، ذات الألوان الساطعة من الفرائس الجذابة ، اذ يخلو جسدها من الأشواك ، ولا تملك من وسائل الدفاع غير خفة الحركة ، وسرعة الزوغان .

فاذا استلمت لعملية التنظيف عجزت عن الالتجاء الى هذه الوسائل فى الوقت المناسب .

وكانت حركة « المشيط » توحى بانها تعانى من الحشرات وتبغى المساعدة .

وليس على « البلينى » سوى ان تتقدم منها قليلا ، وتتظاهر بأنها ستتولى تنظيف خياشيمها ، ثم تقضم لنفسها قطعة كبيرة من لحمها ، وينتهى كل شىء فى لمح البصر .

تملك الأسماك ، رغم محدودية ادراكها مقدرة خاصة فى أمخاخها الضئيلة ، أشبه بالساعة الزمنية ، تقوم بتسجيل معالم الأماكن والأوقات والظواهر المرتبطة بها .

وتعمل هذه « الساعة » بصورة آلية اذا ما طرأ تغيير ما على الأماكن المعهودة أو على سلوك سكانها ، كأن يظهر أحدهم فجأة فى مكان وموعد غير مألوف .

وبفضلها أدركت « المشيط » لأول وهلة أن شيئاً غير طبيعى قد طرأ على موقع التنظيف ، ثم تبينت السر فى الأمر عندما وقعت عينها على « البلينى » . فلم يكن هذا الموقع من الأماكن المطروقة من جانب المنظفة التى تنكرت « البلينى » على صورتها . وكان فى هيئتها وحركاتها — بالاضافة إلى ذلك — ما يوحى بغربتها عن المكان ، وربما أيضاً عن المهنة .

وليس ثمة قانون فى البحر يمنع أى سمكة من الوقوف فى أى مكان تحب ، طالما لم يعترض قاطنوه الأصليون ، كما ان مهنة التنظيف مفتوحة لمن يشاء ان يمارسها من الأسماك المختلفة . لهذا واصلت « المشيط » الاقتراب من السمكة الرفيعة دون تردد . لكن مخها بدأ يرسل اشارات التنبيه لبقية فروع الجهاز العصبى .

أصبحت أخيراً بجوار السمكة الأخرى ، وهنا التقت عيناهما.

كان ثمة نظرة قاسية باردة تطل من العين الصغيرة للسمكة الغريبة ، التى كانت تبلع المياه بجرعات كبيرة ، فى تنفس متلاحق يشي بانفعالها الشديد .

وتقدمت « البلينى » من اعنق « المشيط » وهى تفتح فمها على سعته .

وسجل مخ « المشيط » الانفعال غير المألوف الذى تبديه المنظفة المدعية ، والذى لا يتنافى مع البرود التقليدى لأبناء المهنة .

وأدركت فجأة أنها فى خطر .

وقبل أن ينطبق فم « البلينى » على رقبتها ، كانت قد استدارت حول نفسها فى سرعة البرق ، بمساعدة زعانفها القصيرة ، وأصبحت بعيدة عن متناول الفم المفترس .

وفى هذه اللحظة الحاسمة ، وقعت أمور كثيرة .

عامت « الرعاد » صاعدة بعد أن تغلبت على خمولها وخلصت جسدها من الرمال .

وولت أسماك « الناخر » الفرار .

وتوجست جوبى القوبيون شراً ، فأسرعت تلج جحر السرطان . وشعر بها الأخير بينما كان يتقدم من الممر الذى مهده ، حاملا صدفة صغيرة فى كلابته كى يزين بها مدخله . فتخلى عن حمله واندفع خلف القوبيون .

واجتذبت هذه التحركات المفاجئة اهتمام الثعبان ، فكبح جماح خوفه ، وأطل من عرينه برأسه ، وجزء من عنقه .

●●●

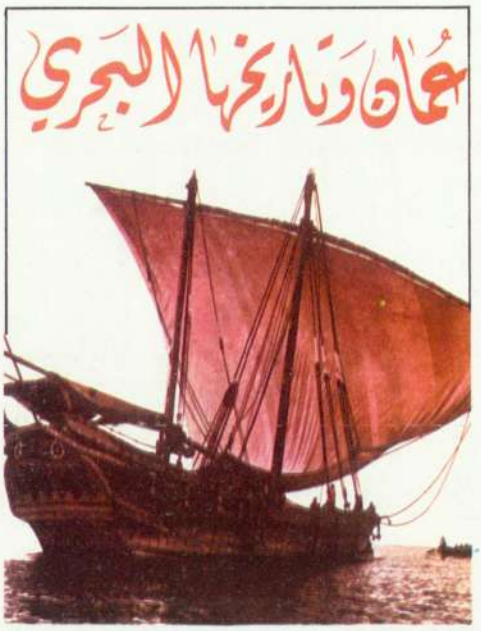
وفى الجزء من الثانية الذى التوت فيه « المشيط » مبتعدة عن فم « البلينى » وجدت الأخيرة نفسها فوق رأس «الرعاد» مباشرة .

ولم يلبث ذيلها أن اصطدم بالقضيبين الكهربيين اللذين يعلوانه .

وفى اللحظة التالية ، كانت «البلينى» تطير فى الماء بتأثير الصدمة الكهربية ، ليتلقفها فم الثعبان الملهوف .

أما « المشيط » فقد أسرعت بالابتعاد ، وخياشيمها تخفق فى انفعال ، وقد كفت مؤقتاً عن التفكير فى الضيق الناشىء عن كل من اليرقات العالقة بزعانفها ، والمساوىء المتعددة لمسكنها .

صنع الله ابراهيم



كتاب الشهر

عرض وتلخيص :
كمال سعد

العُمانيّون والبحر.. في ملحمة اقتحام المجهول

الكتاب يتحدث عن دور عمان البحرى منذ بزوغ فجر الحضارة الانسانية فى العالم القديم ، عندما كان العمانيون يرتادون البحار والمحيطات كتجار ومغامرين ورحالة بصورة فيها الكثير من الاقدام والجرأة والشجاعة ..

ويروى الكتاب قصة الروح الوثابة لبحارة الماضى البعيد والمهارات التى أظهروها فى بناء السفن ، وجعلتهم يمدون أيديهم لشعوب العالم بكل ما اكتسبوه من علم وحضارة وتقدم ..

ويؤكد الكتاب الحقيقة القائلة بأن الخليج كان مهداً للملاحة البحرية ، حيث رأى أولى محاولات الانسان لارتياد البحر ، وكيف كانت عمان ملتقى طرق بحرية هامة تربط الخليج بالهند والبحر الأحمر وافريقيا الشرقية ..



مركب عمانى تم بناؤه منذ حوالى خمسين عاماً .. حمولته مائة طن وطاقمه من ١٩ بحاراً .. وهذه اللقطه النادرة أثناء رسوه ، فى ميناء « ممباسا » بشرق افريقيا



هذه اللوحة الهامة تعطينا فكرة عن طبيعة مراكب الخليج والمحيط الهندى قبل وصول البرتغاليين للمنطقة .. اللوحة من مخطوطة مقامات الحريرى ليحيى بن محمود الواسطى الذى كتبها وضمنها الصور فى القرن الثالث عشر الميلادى .

العُمانيّون والبحر..

البحارة العمانيون

إن جذور التجارة البحرية فى الخليج متأصلة منذ قديم الزمن .. فقد دلت اللوحات السومرية والأكادية فى بلاد ما بين النهرين .. منذ أربع آلاف سنة .. على وجود تجارة نشطة مع مناطق تسمى دلمون ومجان وملخة .. ودلمون هي البحرين اليوم ، وكانت مراكبها تنقل الأخشاب لملك « لاجاش » فى سومر عام ٢٥٢٠ قبل الميلاد .. ومجان كانت فى شمال عمان ، وتميزت بحضارة عظيمة ولطالما عبرت سفنها من منفذ بحرى فى مناطق أم النار فى دولة الامارات العربية المتحدة .. وملخة هى بلاد الحضارة فى وادى السند ..

وفى ذلك الزمن القديم كان البحارة العمانيون يقومون بدور حيوى لاستكشاف الطريق البحرى القديم وابقائه مفتوحاً أمام الملاحة .. وهناك نص من مدينة « لاجاش » السومرية عمره أكثر من أربع آلاف سنة يؤكد أن أهل مجان ـ أى عمان ـ كانوا يبنون السفن التجارية !

وفى مقدمة السلع التى كانت تنقلها المراكب فى ذلك الوقت ، النحاس ، الذى كانت تنتجه مجان بالطريقة القديمة لصهر النحاس فى بوتقة فخارية .. وهذا غير المعادن الأخرى التى كانت تحملها المراكب ، إضافة إلى الديوريت والعقيق والبصل والتوابل والأخشاب التى من أهمها خشب السلج الذى كان يستورد من الهند ويستخدم فى بناء السفن ..

وكان التعامل مع هذه السلع يتم بالمقايضة بسلع ومحاصيل من مناطق الأنهار الخصبة كالمنسوجات القطنية والحبوب والأصباغ والجلود والمواشى والزيوت والمواد الدهنية .

وكان تجار الخليج يستخدمون الأختام لتحديد ملكية السلعة وكان أول من ابتدع طريقة لتدوين المعاملات التجارية بالكتابة هم سكان العراق القدماء !

إلا أن هذا المجد البحرى الذى رأته عمان ، سرعان ما تدهور فى الفترة الألفية الثانية قبل الميلاد ، بسبب ما حدث من اضطرابات فى سائر انحاء آسيا الغربية فقد انعزلت عمان فى تلك الفترة انعزالا تاماً ، وأصيبت منطقة وادى السند بكوارث ، وجاء عصر مظلم عندما اجتاحها الآريون ونشروا دمارهم حتى وصل إلى الهند ، وظلت هذه العزلة قائمة ولم ينقشع هذا الظلام إلا عقب انفتاح الصلات البحرية الدولية فى الفترة الألفية الأولى قبل الميلاد ، وما تبع ذلك من نشاط اقتصادى بين سكان جنوب الجزيرة واليونان والرومان ..

الشهرة البحرية

وفى الفترة التى سبقت فتوحات الاسكندر الأكبر كان النشاط البحرى فى عمان قد دخل إلى دائرة الظل ، وأصبحنا لا نعرف عنه غير النزر اليسير من المعلومات .. إلا أن هذه الفتوحات رغم قصرها (٣٣٤ ـ ٣٢٣ قبل الميلاد) أحدثت تغيرات عميقة فى المنطقة ، وأصبحنا نرى الدول الكبرى ساعية لاستجلاب بحارة وبناة سفن فينيقيين لرحلات البحر الأحمر والخليج ..

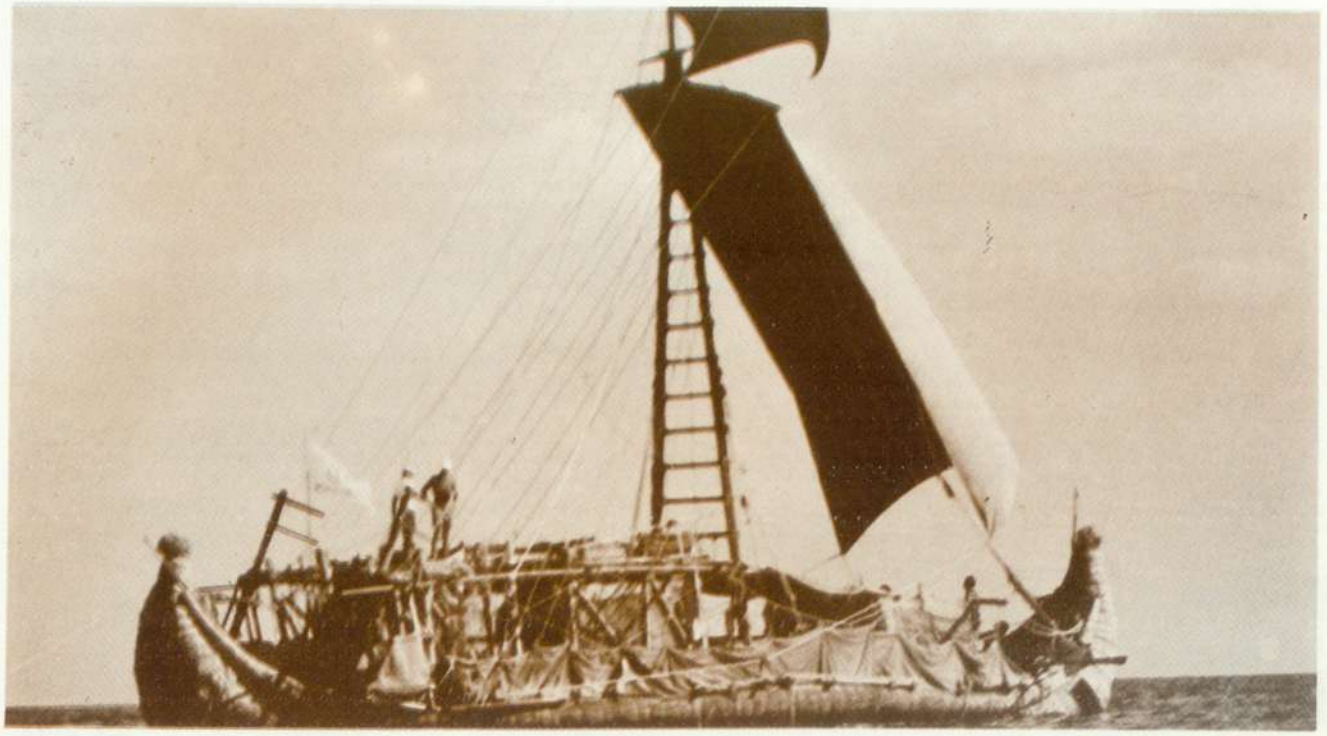
غير أن الاعتماد على البحارة الفينيقيين لم يؤثر على دور البحارة العمانيين الذين ظلت مكانتهم تتعاظم فى التجارة البحرية فى المحيط الهندى ، ناشرين الرخاء فى منطقة جنوب جزيرة العرب وخاصة سبأ ومعين ..

وعندما جاء خلفاء الاسكندر وجدوا خبرة ملاحى جزيرة العرب فى علوم البحار متقدمة ومتطورة .. فقد اتضح لهم مثلا أن الطرق البحرية حول جزيرة العرب كانت معروفة ومستخدمة قبل فتوحات الاسكندر ..

وقد اتضح من نقوش الحفريات التى اكتشفت فى « خور روري » فى جنوب عمان أن هذه المنطقة كانت تتمتع بنفوذ فى الجنوب العربي ، وكانت مركزاً لصناعة اللبان أو المسك كما كان يسميه اليونانيون ، وأن مؤسس هذه المدينة أحد ملوك مملكة حضرموت فى جنوب شبه الجزيرة العربية الذى أراد أن يمد نفوذه إلى منطقة اللبان فى عمان الجنوبية ، فتم له ذلك ، وأقيم فيها ميناء لتصديره اسمه « سمهر » أصبح بمرور الوقت من أهم الموانى التجارية ، تجتازه السفن المسافرة إلى الهند ، لتعود شهرة عمان البحرية من جديد بعد عام مائة قبل الميلاد ، ولتدخل عمان فى عصر جديد من النشاط البحرى والتجارى ، ظل قائماً حتى عام ٢٠٠ ميلادية عندما بدأ التدهور التجارى فى البحر الأبيض المتوسط بسبب التضخم وانخفاض ميزان المدفوعات وتناقص عدد السكان ،



حصاد اللبان فى الجزيرة العربية كما سجله الرسامون الأوربيون فى القرن السادس عشر الميلادى ..وكانت مراكب عمان تنقل هذا الحصاد إلى بلاد عديدة .



قارب عالم الأجناس الشهير النرويجى « ثور هايردال » بالقرب من ساحل عمان أثناء رحلته من العراق إلى البحر الأحمر .. القارب من البوص .. وأبحر به ليؤكد قدرة مراكب البوص على قطع مسافات طويلة أثناء رحلاتها فى سنوات ما قبل الميلاد

وأدى ذلك إلى انكماش التجارة وانحسارها فى المحيط الهندى بعد أن أغلقت أسواق الرومان فى وجهها الأبواب ! .

وعندما جاءت دولة الساسانيين فى فارس عام ٢٢٥ ميلادية ، بدأت تشجع النقل البحرى فى الخليج ، وألقت الأضواء مرة أخرى على شمال عمان ، خاصة بعد المحاولات التى كانت تبذل لتحويل تجارة المحيط الهندى من البحر الأحمر إلى الخليج واتخاذ مدينة صحار مركزاً للنشاط البحرى العمانى ، وقد استعان أردشير الأول مؤسس الدولة الساسانية ببعض العمانيين للعمل كبحارة ..

وتدخل المنطقة عقب ذلك فى صراع بين الساسانيين من جهة ودولة أكسوم القوية فى الحبشة والمسيطرة على جانبى البحر الأحمر من جهة أخرى ، كان من أثره غزو أكسوم لليمن وتدخل الساسانيين فى جزيرة العرب ..

إلا أن هذا الصراع سرعان ما انحسر مع ظهور الدعوة الاسلامية عام ٦٦٢ ميلادية وما تلاها من فتوحات عربية أدت إلى إدراك دولة الخلافة لأهمية الخليج كمركز تجارى وملاحى ..

رحلات الصين

وفى ظل الدولة الاسلامية لم يعد التنافس على المصالح التجارية قائماً بين الخليج والبحر الأحمر ، وتم التنسيق بينهما من خلال التعاون القائم بين مختلف أجزاء الدولة الاسلامية ، وطوال حكم الخلفاء العباسيين فى بغداد أصبح للخليج علاقة مباشرة بقلب الدولة الاسلامية ، وعادت عمان – وخاصة صحار – مرة أخرى إلى الأضواء

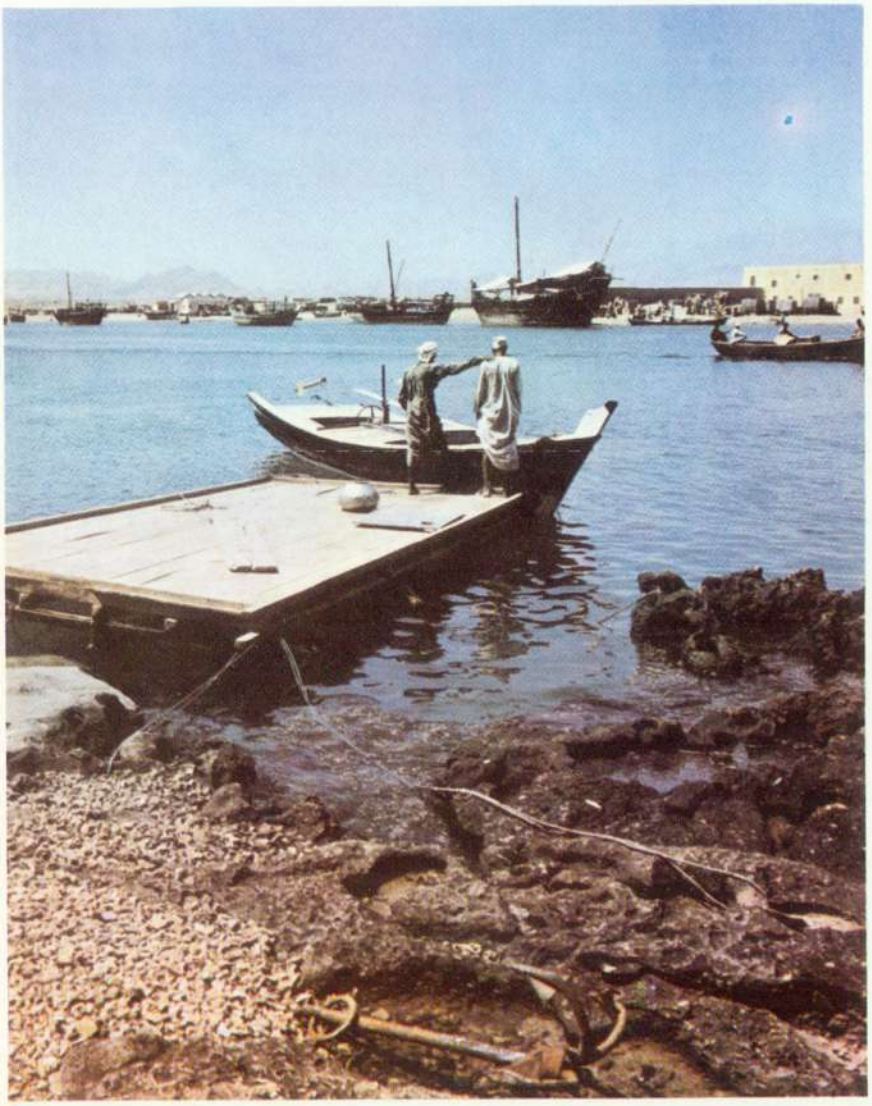
ومن الوقائع التى ترويها كتب التاريخ العمانية نكتشف خبرة العمانيين بالبحر وعلمهم الواسع فى كافة مجالاته .. من أهم هذه الكتب « كشف الغمة » الذى يروى كيف أن هارون الرشيد فى أواخر أيامه أمر بحملة إلى عمان ، ولكنها هزمت هزيمة نكراء ، وعندما أراد قائدها أن ينجو بسفنه طاردته السفن العمانية وأسرته وأودعته فى سجن صحار .. وفى نفس الكتاب يتضح أنه بعد تلك الحملة بسنوات جاءت مجموعات من القراصنة من ساحل الهند الغربى على متن سفن كبيرة كانت تسمى «بوارج » وبدأوا يعيثون فساداً فى السواحل العمانية وينهبون تجارتها ، فأعد لهم الامام غسان ابن عبد الله مراكب للرد على غاراتهم وابعاد خطرهم عن المنطقة !

وهناك وثائق صينية نادرة تؤكد أن العرب حلوا محل الفرس فى مزاولة التجارة البحرية مع الصين وذلك فى أوائل القرن الثانى للهجرة ، وكان أول عربى يقوم برحلة إليها هو التاجر العمانى أبو عبيدة عبد الله بن القاسم الذى ملأ مركبه فى عام ٧٥٠ ميلادية بالصبار والأخشاب من سواحل الصين !

وكان العرب يشترون – أيضاً – من الصين الحرير والكافور والمسك والتوابل ومصنوعات الخزف الصينى قبل عودتهم مع بداية الرياح الموسمية الشمالية الشرقية التى تهب على البلاد ما بين أكتوبر وديسمبر من كل عام ..

ولكن هذه العلاقة التجارية الوطيدة بين الخليج والصين تعرضت فى القرن التاسع الميلادى لنهاية مؤسفة ، حينما هجم المتمردون الصينيون على مدينة «كانتون» باعتبارها عصب التجارة الصينية ، ونهبوا كل شىء ، واعتدوا على الجاليات الأجنبية ، وعندئذ توقفت الرحلات المباشرة ، وإن كانت التجارة بين الصين والخليج استمرت ولكن من خلال مناطق أخرى !

وكانت الهند – بالطبع – أقرب الى التجار العرب من الصين ، فنشطت



لقطة من مدينة صور العمانية التى تبذل الجهود الآن لتشجيع السفن التجارية على ارتيادها

أحمد بن نعمان الكعبى .. رسمه أشهر فنان فى نيويورك إدوارد موني (١٨٤٠) وعلى الحائط خلفه صورة سفينته الشهيرة : سلطانة !



العُمَانيّون والبحر ..

الرحلات اليها ، حيث كانت تزود عمان بالانتاج الضرورى كالمواد الغذائية ، ومنها أخذ العمانيون زراعة الليمون الذى أصبح من أهم محاصيل البلاد ، كما أخذوا صناعة الأدوات الخشبية والمعدنية الدقيقة الصنع بكل ما فيها من مؤثرات حرفية وفنية !

وقد ذكر «المسعودى» كيف أن أصحاب المراكب التى كانت تبحر الى افريقيا الشرقية فى القرن العاشر الميلادى كانوا من العرب العمانيين ، وكان أقصى ميناء يصلون اليه هو ميناء «سفالة» فى موزمبيق الذى كان مقراً لتجارة الذهب !

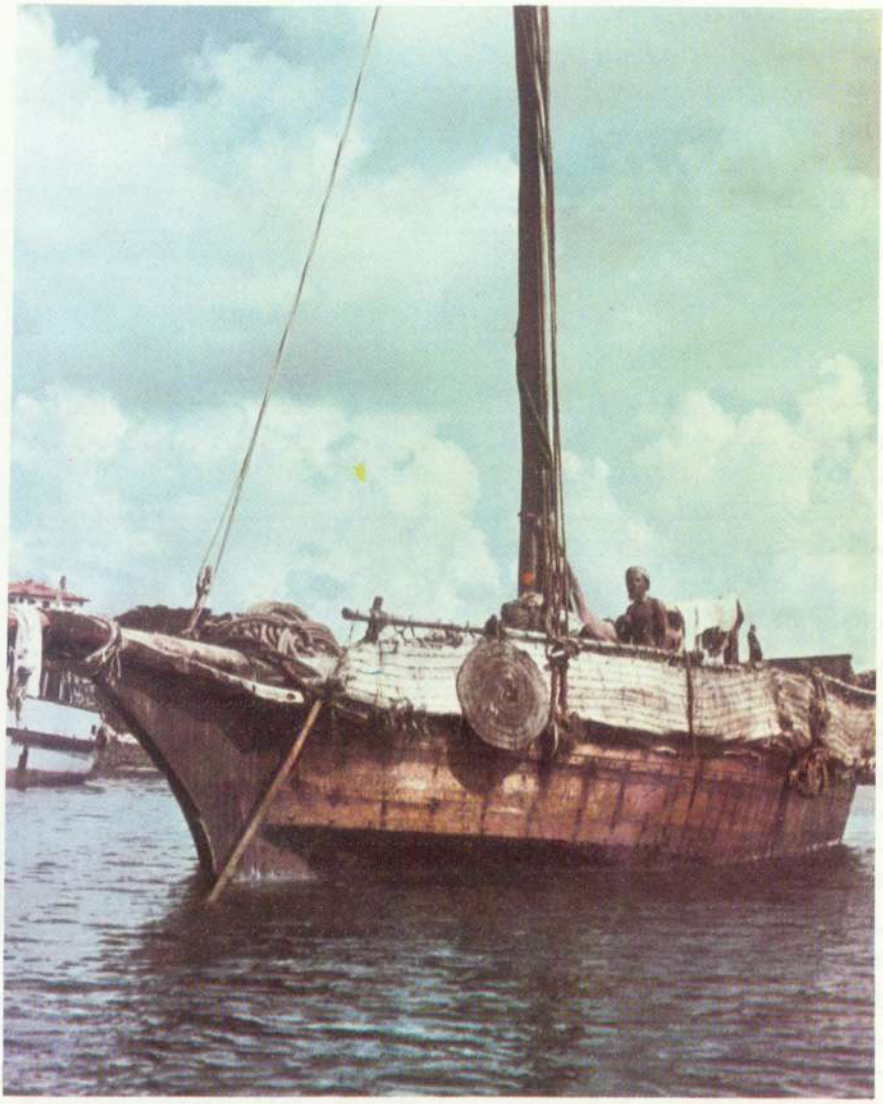
وكانت أغلب مدن الخليج فى تلك الفترة تعيش على التجارة البحرية .. وكانت صحار من أهم الموانيء العمانية التجارية التى بلغت أوج شهرتها عندما نالت عمان استقلالها عن السلطة العباسية ..

وفى القرن العاشر الميلادى كانت المفاجأة عندما هاجمت عمان بأساطيلها ميناء البصرة .. ولعل ذلك هو الذى دفع العراق فى عام ٩٦٥ ميلادية الى توجيه حملة تأديبية الى صحار دمرت ٧٩ مركباً ، لتصبح عمان عقب ذلك خاضعة – مرة أخرى – للولاة الذين تعينهم السلطة المركزية !

إلا أن هذا لم يمنع صحار من إعادة بناء سفنها لتمخر عباب البحر ، ولتعيد الصفحات التى ذكرها عنها الرحالة الأصطخرى من قبل عندما قال : «وهى على البحر .. وبها متاجر البحر وقصد المراكب ، وهى أعمر مدينة بعمان وأكثر مالا ، ولا تكاد تعرف بجميع بلاد الاسلام مدينة أكثر عماراً ومالا من صحار» !

الزلزال والسندباد

ويأتى بعد «صحار» فى الأهمية البحرية منطقة «ظفار» التى ساعد موقعها على الاستفادة من الطريق التجارى للبحر الأحمر ، فكانت ترسو بها السفن العائدة من المحيط الهندى أثناء طريقها الى باب المندب فى البحر الأحمر .. وقد وصفها الرحالة الشهير ماركو بولو عندما قال ، ان ميناءها جيد جداً ، وأن بينها وبين الهند حركة نقل بالمراكب عظيمة ، وبها أعداد كبيرة من الخيول العربية التى تحقق فى الهند



أكثر المراكب العمانية شهرة هو ما يطلق عليه « البدن » وهو من المراكب التى سبقت النماذج البرتغالية .. ومازال يستخدم حتى يومنا هذا على المستوى المحلي

الملاح البرتغالى الشهير «فاسكودى جاما» الذى قاده الملاح العمانى الشهير أحمد بن ماجد إلى أول رحلة عبر المحيط بين أوربا والهند



أرباحاً طائلة ، وتنتج أرضها اللبان الأبيض بكثرة ، وأحياناً يسيل اللبان من الأشجار بسبب شدة حرارة الشمس !

أما «هرمز» القديمة فقد قامت على الساحل عند مدخل الخليج ، وكانت تسيطر عليها قوة عربية من عمان ، وكانت لها تجارة رائجة مع الهند ، واهتم حكامها بساحل عمان وخاصة «قلهات» التى كان ملك هرمز يلجأ اليها كلما وجد نفسه فى حرب مع ملك أقوى منه ، نظراً لمناعتها وموقعها الاستراتيجى النادر !

وبعد غارات التتار اضطر أهل هرمز القديمة للهجرة الى جزيرة «قشم» وجزيرة «جيرون» ثم زحفوا على قلهات وظفار .. وبدأت هرمز الجديدة ـ عقب ذلك ـ تحتل مكانتها التجارية ، وزار ابن بطوطة ميناءها الأول «قلهات» فى القرن الرابع عشر الميلادى وقال عنه : مدينة على الساحل ، حسنة الأسواق ، لها مسجد من أحسن المساجد ، حيطانه بالقاشانى وهو مرتبع يطل على البحر ، وهم أهل تجارة ومعيشتهم مما يأتى اليهم به البحر الهندى ، وإذا وصل اليهم مركب فرحوا به أشد الفرح» !

غير أن «قلهات» تدهورت فى القرن السادس عشر ، وتقول الروايات ان زلزالا وقع بها فدمر منازلها !

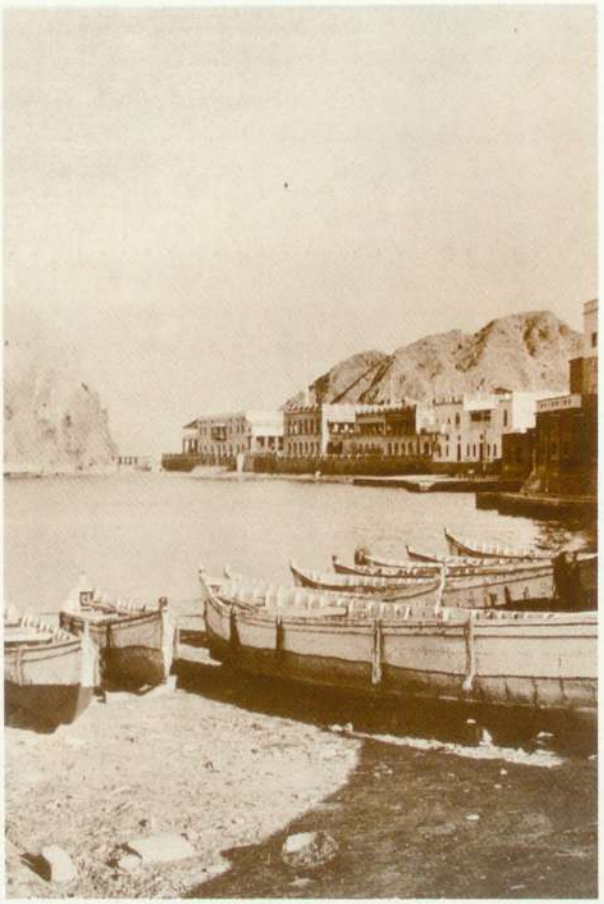
وقد وصف كثير من الرحالة دور ربابنة السفن فى هذه المنطقة وغيرها ، حيث كانوا يرتادون البحار ويقطعون أطول الطرق البحرية فى القرون الوسطى ، ويؤلفون القصص والحكايات التى انحدرت منها قصص السندباد التى ذاع صيتها !

اختفاء السفن الشراعية !

ومع وصول البرتغاليين الى الخليج فقد العمانيون مع غيرهم السيطرة على تجارة الشرق ، وأدى اكتشاف طريق جديد الى الشرق عبر رأس الرجاء الصالح إلى أن فقدت التجارة فى البحر الأحمر والخليج أهميتها ..

وقد بدأت الكوارث فى عمان عندما وصل «الفونسو البوكيرك» بسفنه البرتغالية الى المنطقة ، وأحرق فى عام ١٥٠٧ ميلادية أسطولا من مراكب صيد السمك .. وزحف عقب ذلك الى قلهات ونهب المدن وأحرقها ، وعندما فشل فى

العُمانيّون والبحر..



هذه اللقطة فى مدينة « مسقط » تبدو فيها الواجهة البحرية التى كانت متواجدة قبل تنفيذ برامج التنمية فى السنوات الأخيرة .. هذه اللقطة عمرها ٢٢ عاماً .. تبدو فيها نماذج لبعض القوارب

اجراء مفاوضات مع «مسقط» أطلق على مبانيها ومراكبها النيران ، وأبحر الى صحار ثم خورفكان التى نهبتها قواته !

وعندما وصل البرتغاليون الى هرمز وجدوا فى انتظارهم العديد من المقاتلين ودخلوا معهم فى معركة اعتمدوا فيها على مراكبهم الستة التى حققت لهم الانتصار والسيطرة على تجارة الخليج بعد سقوط هذا المعقل البحرى الهام !

إلا أن الأحداث توالت عقب ذلك مع ظهور منافسة حامية بين الاتراك العثمانيين والبرتغاليين من أجل السيطرة على الخليج ... واستطاع العمانيون فى نهاية الأمر انهاء السيطرة البرتغالية بأنفسهم ، وكان قائدهم هو الامام ناصر بن مرشد بن سلطان اليعربى الذى طرد البرتغاليين نهائياً من البلاد فى عام ١٥٦٠ ميلادية، ومع رحيلهم لم يبق من آثارهم غير بعض المبانى والمخلفات والأساليب الجديدة التى دخلت على صناعة السفن فى المنطقة ومن بينها استخدام المسامير الحديدية وتصميم مؤخرة المركب بشكل عريض !

وخلال حكم «اليعاربة» نجح العمانيون فى استخدام الأساليب الجديدة فى صناعة السفن وأتقنوها وأدخلوا تغييرات جوهرية جديدة عليها أدت الى اكتشاف أساليب جديدة فى الملاحة ..

واستطاع العمانيون عقب ذلك أن يبنوا أسطولا فرضوا به هيبتهم على الساحل كله وأن ينهوا نفوذ البرتغال فى سواحل افريقيا الشرقية بما فيها مدينة «ممباسا» على ساحل كينيا !

ووصلت السيطرة العمانية على بعض الموانى الى حد اقامة حاميات دفاعية بها ، وكان وصول السيد سعيد ـ ألمع الحكام العرب فى القرن التاسع عشر ـ الى زنجبار على سفينة مزودة بـ ٦٤ مدفعاً تحرسه ثلاث فرقاطات وسفينتين ومائة مركب نقل وستة آلاف مقاتل ، هى بداية مرحلة جديدة فى تاريخ عمان ، فقد أصبحت زنجبار بوصوله عاصمة للأقاليم العمانية !

وظل النفوذ البحرى لعمان يتعاظم حتى عام ١٨٥٠ ميلادية عندما أصبحت أقل قدرة على الدخول فى منافسة مع تجارة النقل البعيدة المدى ، وأخذ هذا التدهور يزداد مع ظهور الأساطيل البحرية الحديثة واختفاء دور السفن الشراعية من عالم التجارة البحرية !

المراكب العمانية

ويتطرق كتاب «عمان وتاريخها البحرى» عقب كل ذلك الفيض من المعلومات ، الى الحديث عن طرق الرياح الموسمية فى المحيط الهندى ، وعن الملاحة العمانية ونظرياتها واكتشافاتها البحرية بما فيها استخدام الملاحين العرب للابرة المغناطيسية ورسم الخرائط التى كانت مثار اعجاب المكتشفين البرتغاليين الأوائل .. ويتحدث ـ أيضاً ـ عن الملاح الشهير أحمد بن ماجد الذى اقترن اسمه بتاريخ الملاحة وعلوم البحار وكيف قاد الملاح البرتغالى «فاسكو دى غاما» الى أول رحلة تتم عبر المحيط بين أوربا والهند..

ثم يصف الكتاب فى دراسة مطولة المراكب العمانية قبل البرتغاليين وبعدهم ويقدم لنا كافة أنواعها بما فيها القنجة والبغلة والبوم والسنبوق والشوعى والجالبوت وأبو بوز والبدن والعويسية والبتيل والبقارة والشاحوف والهورى والشاشة والرمث وغيرها ..

ويتناول الكتاب عملية بناء السفن وتجارة المراكب العمانية المعاصرة ورحلات أشهر السفن العمانية كالسفينة سلطانة التى زارت بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٨٤٠ ميلادية ..

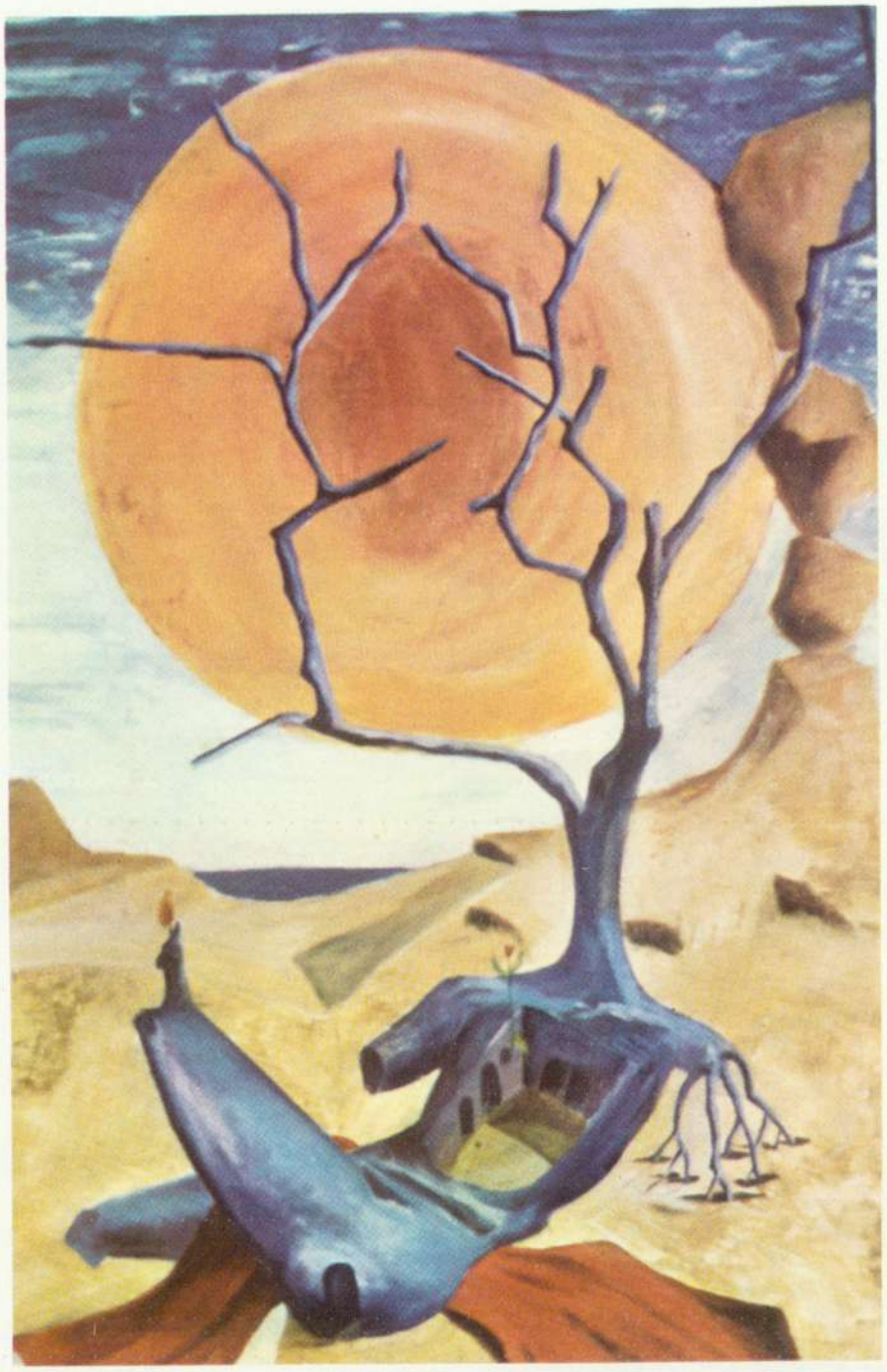
وهو يقدم كل مادته من خلال سرد تاريخى وعلمى ، يجعلنا ندرك مدى الجهد الذى بذل من أجله .. فقد اشترك فى اعداده ـ الى جوار وزارة الاعلام والثقافة العمانية ـ عدد من كبار رجال الثقافة والتاريخ فى المؤسسات البريطانية والأمريكية والأردنية والكينية .. وكان الهدف الواضح من الكتاب هو إلقاء الضوء على حضارة عمان وتاريخها البحرى الذى أثر فى العالم كله ! .

كمال سعد

لوحات فنان تبحث عن الحياة والحرية

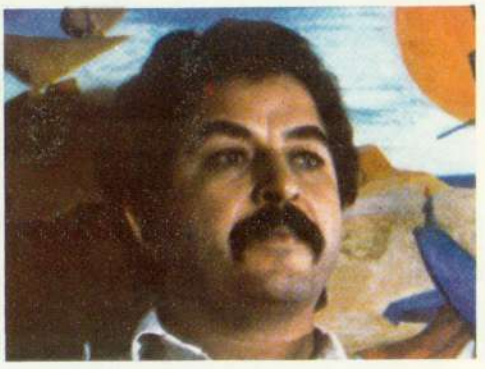
المأساة

هي ضمير كل فنان فلسطيني



من لوحة الشهيد .. عندما يتحول الانسان إلى رمز للصمود

الفنان ياسر أبو سيدو



الفنان الفلسطيني ياسر ابو سيدو الذى اقام معرضه الثالث فى فندق رامادا بمدينة الدوحة يطالب بتسجيل التراث الشعبى الفلسطينى من العبث الصهيونى الذى يستهدف تطويعه لصالحه واغتصاب كل الجذور الأصيلة لهذا الفن الذى ارتبط بتاريخ الشعب الفلسطينى منذ آلاف السنين .

وهو كرسام تشكيلى يرى أن الفنان الفلسطينى مطالب فى هذه المرحلة بالذات بأن يكون ملتزماً بواقع المأساة ، حتى يوصل رسالته الى العالم أجمع خاصة وأن الفن – كما هو معروف – لغة عالمية حضارية !

● وأسأله : ولكن لماذا تتجه فى أعمالك الى السيريالية ؟

– ويقول لي : لانها احدى لغات الفن المعاصر والفنان مهما كان شكل اتجاهه الفنى فان التزامه الحقيقى يبرز من خلال أى اتجاه فنى .. وانا أرى أن الحياة من حولنا تدور فى سريالية .. وأصبحت ادرك أن السريالية الحقيقية أصبحت موجودة فى ضمير العالم



زهرة البرتقال .. رمز الأمل والحلم

طفل وطعام ورصاص .. من وحى حياة المخيمات



من حولنا .. الا ترى معى ان احلام الخيال اصبحت تبدو فى نظرنا اكثر منطقية من الواقع ؟!

● لماذا ؟

ـ لأن قوى الضغط العالمى اصبحت تحول الاكاذيب الى حقائق ، والحقائق الى اكاذيب .. ومن هنا اصبح المظلوم ظالماً ، واصبح المجاهد فى سبيل أرضه وشعبه وبيته ومرتع طفولته ـ فى نظرهم ـ مجرد ارهابى يستحق اقسى القصاص !

● هل هذا الراى هو الذى تقدمه فى لوحاتك من خلال رموز كالزهرة والشمس والبيضة والصخرة ؟

ـ نعم .. فالشمس هى الحقيقة ، والزهرة هى الأمل .. والصخرة هى القدس .. والبيضة هى الأجيال القادمة التى ستحقق حلم العودة ان شاء الله .

● وماذا عن الطبيعة الخاصة بالالوان التى ألمحها فى لوحاتك ؟

ـ اننى كفنان ملتزم بقضيتى اعتبر جميع اعمالى الفنية مقالا سياسياً ، ورغم التحوير فى الأشكال المألوفة فلابد ان يكون العمل مقالا سياسياً يحكى قصص البطولة ،



محاكمة بريء

ويعيش مع التطلعات المستقبلية للشعب الفلسطيني وثورته المسلحة ، وقد حاولت قدر جهدي ان اجعل الألوان مشاركة في ابراز هذا المعنى .

● اذن .. ما هي اللوحة الفنية في نظرك ؟

– هي عبارة عن طلقة صامتة تحمل شحنة انفعالية ، ولابد من استثمار هذه الطلقة لصالح قضيتنا الفلسطينية العادلة .

● وما الذي تعنيه أسماء بعض لوحاتك ؟

– (مفتاح القدس) .. هذا العمل تصميم للمفتاح التذكاري للمدينة المقدسة ، وهو يحمل أول اسم لمدينة القدس وهو (يبوس) عندما اسسها أجدادنا الكنعانيون العرب ، كذلك يحمل اسم (بيت المقدس) وهو اسمها عند الفتح الاسلامي ، ويحمل اسم (القدس) وهو اسم عاصمة فلسطين حالياً .

اضافة الى قبة الصخرة وكنيسة المهد والشمس .. وكما ترى فان مقدمة المفتاح هي مقدمة البندقية التي يرفعها شعبنا المناضل لاستعادة هذه المدينة العظيمة .

– لوحة (الفلسطيني) تصور الانسان الفلسطيني وهو يحمل مسئولية تحرير وطنه على كاهله في صورة كفاح مسلح .. وهي – كما ارى – الصورة الوحيدة والصيغة الفريدة لاستعادة فلسطين .

– اما لوحة (الشهيد) فهي ترمز الى بطولة هذا الانسان الفذ الذي تحول الى شمعة محترقة من اجل ان يضيء طريق النصر للآخرين .

– اما لوحة (الموناليزا تقاتل) فهي ذات طبيعة خاصة وهي تعني في لغة الفنانين اعادة الصياغة لبعض الأعمال الفنية الخالدة من خلال رؤية جديدة ، فلو عادت الموناليزا من جديد لحملت السلاح وانتظمت في صفوفنا تقاتل الظلم والظالمين !

– (انهم يعتقلون الشمس) .. الشمس رمز للحقيقة الساطعة التي يحاولون طمسها ... وكفى !

ولا يفوتنا ان نقول بان الفنان التشكيلي ياسر ابو سيدو من مواليد مدينة يافا عام ١٩٤٧ م ، وقد درس الفنون الجميلة بالقاهرة وحصل على البكالوريوس من كلية التربية الفنية عام ١٩٧٣ م ، وفي نفس العام اقام معرضه الأول في قاعة اخناتون بالقاهرة ، وبعد عام واحد اقام معرضه الخاص الثاني في مدينة بنغازي بليبيا .

والمتامل لجميع لوحات هذا الفنان الشاب يلمس فيها مزيجاً من الواقع والخيال السريالي ، كما يلاحظ تعدد المعالجات الفنية في كافة اعماله ، فاللوحات بين الحفر والتصوير بالألوان الزيتية ، واللاكيهات والاحبار .

وفي قراءة صغيرة لكتيب المعرض الذي اعده ابو سيدو عن لوحاته الخمسين ليوزعه على عشاق الفن التشكيلي في مدينة الدوحة نجد انه قد كتب في بدايته كلمات رقيقة تعبر عن مشاعره المتدفقة واحلامه في النصر والعودة يقول فيها : «فلسطين يا حبيبتي .. الى كل ذرة من ترابك ، الى كل شهيد قضى في سبيلك ، الى كل انسان يعمل من اجل تحريرك .. اقدم خطوطي والواني وهمومي ومشاعري اقدمها هكذا بعيداً عن الحواجز والأسلاك الشائكة التي يناضل من اجل ازالتها كل الباحثين عن الحرية والحياة» .

إنها نبضات فنان يعبر عن مشاعره ، غارساً اقدامه في تراب الأرض ، داعياً الى الجهاد في سبيل الله .

نبيل خالد الأغا

باريس تحتضن الفن الذي رفضته منذ ١٥٠ عامًا!

بقلم
نهى سمارة

منذ مائة سنة ونيف ، رفضت أعمال ثلاثين فناناً انطباعياً من قبل هيئات التحكيم الرسمية ، واعتبروا حركة ساخطة على الفن الأكاديمي الرسمي .

اليوم يتصدر هؤلاء متحفاً كاملا باسمهم فى ساحة كونكورد فى باريس ، وفى بعض قاعات اللوفر ، ومتاحف كثيرة اخرى .. هؤلاء هم أصحاب المدرسة الانطباعية التى ثارت على كل مفاهيم الفن الكلاسيكي القديم بكل ما فيه من أشكال قديمة فقدت مضمونها مع الزمن .

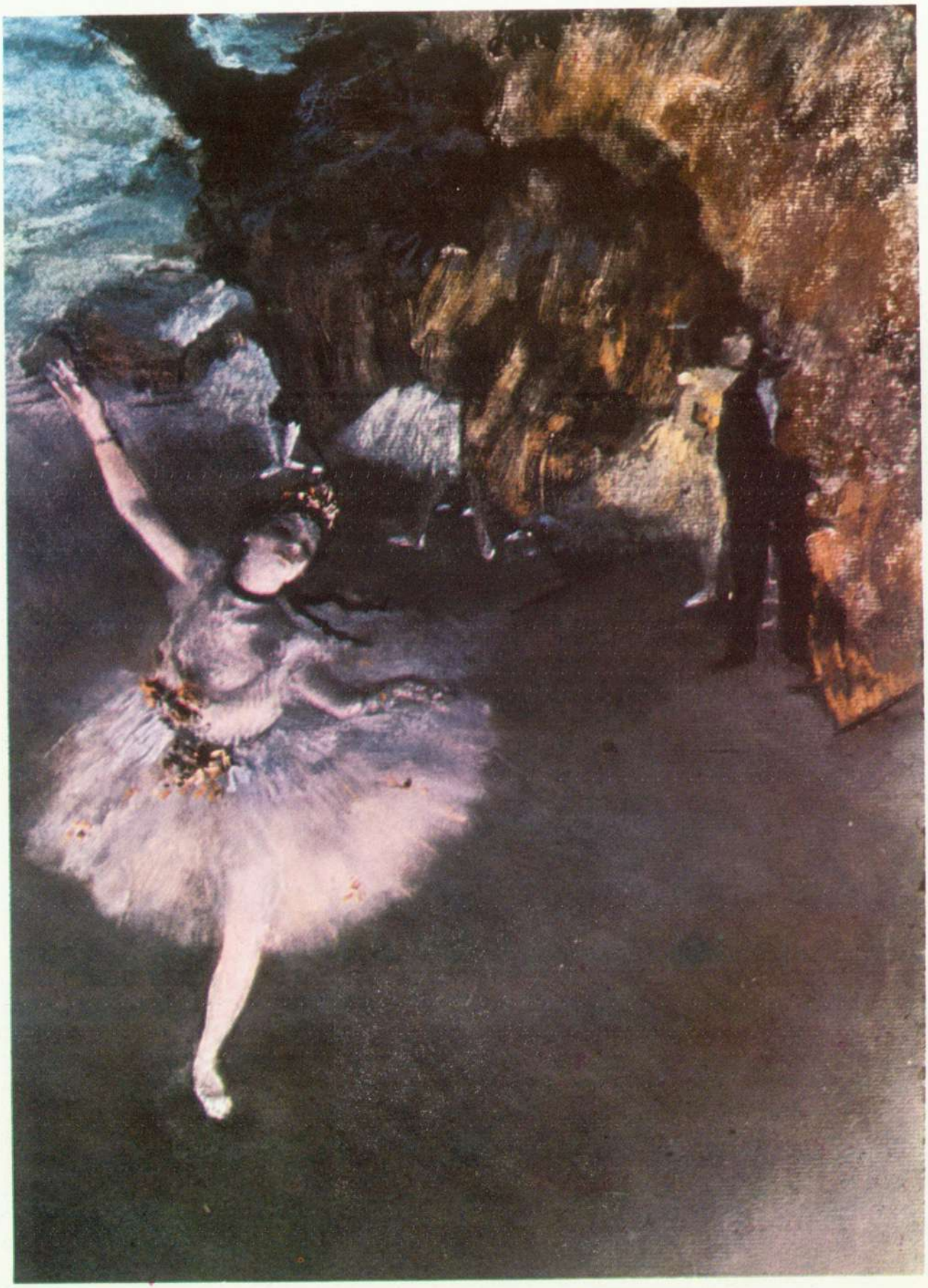
الرسم بالألوان

جاءت كلمة انطباعية ، فى لوحة عرضها « كلود مونيه » بعنوان « شمس مشرقة ـ انطباع » .

وقد أثارت هذه اللوحة موجات



لوحة بعنوان « الراقصة » للفنان تولوز لوتريك (١٨٦٤ ـ ١٩٠١)



راقصة باليه على المسرح .. عنوان لوحة خالدة للفنان ديجا (١٨٣٤ ـ ١٩١٧)

باريس تحتضن الفن الذي رفضته!



امراة تحت المظلة .. لوحة تعبر عن الصدق الذى تحمس له الفنان مانيه

استياء وغضب من المتزمتين ، واشتق من اسمها كلمة الانطباعية ، لكي تشير الى الحركة الفنية الجديدة التى كان هؤلاء الفنانون يمثلونها .

فالفنان الانطباعي تغلب عليه النزعة الذاتية على النزعة الموضوعية .

والفن كما نعرف لا يمنطق أو يعلل ، إنما يخترق بالبصيرة . وفنانو المدرسة الانطباعية هم فنانو البصيرة . فالى ما قبل حوالي المئة سنة ونيف ، كان الفكر يعد ـ ضمناً ـ القوة المسيرة للفن ، فالفكرة كانت سيدة الشكل .

وجاء الانطباعيون بتحد جديد لتاريخ الفن ، وهو أن يرسموا عن طريق الألوان ، فقط بوضعها فى لطخات سريعة ، ضمن تلاعب نور الشمس على الأرض ، فكان التصور الذهني لا نفع منه ، بل كانت محاولتهم متوترة ، مباشرة ، يمكن تشبيهها برسم الخطوط على نمر متحرك. واقتضى بالتالي تحقيقها لحظوياً ، من التخطيط الى اللون ، من التصور إلى التنفيذ ، من رؤية الذهن ، إلى رؤية العين .

الانسان والصورة

وإذا استمعنا إلى « سيزان » وهو من أبرز أقطاب هذه الحركة ، يصوغ لنا المبادىء الفنية الأساسية لدى الانطباعيين فيقول :

« لا يعدو الفنان إلا أن يكون جهاز تسجيل للمدركات الحسية . لا نظريات ، بل عمل ، فالنظريات تفسد الناس ، وإنما نحن فوضى لامعة . أنا أتجه لموضوعي وأضيع فيه . إن الانسان يجب أن يختفى تماماً من الصورة ، ويستغرق كلياً فى الطبيعة والمنظر ، ذلك الاختراع البوذي الذى يعطينا الاطمئنان بلا عواطف حارة بلا روابط ، بل بالألوان » .

ويستطرد سيزان مؤكداً :



العائلة .. للفنان بازيلي (١٨٤١ ـ ١٨٧٠)



وجبة الغذاء .. من واقع الطبيعة والمنظر للفنان جوجان (١٨٤٨ ـ ١٩٠٣)



لاعبو الورق .. للفنان سيزان (١٨٣٩ ـ ١٩٠٦)

باريس تحتضن الفن الذي رفضته!

« الانطباعية هي تفكيك الألوان على اللوحة ثم اعادة تراكيبها فى العين . أي أن اللوحة لا تمثل شيئاً . ولا ينبغى لها أن تمثل شيئاً غير الألوان » !

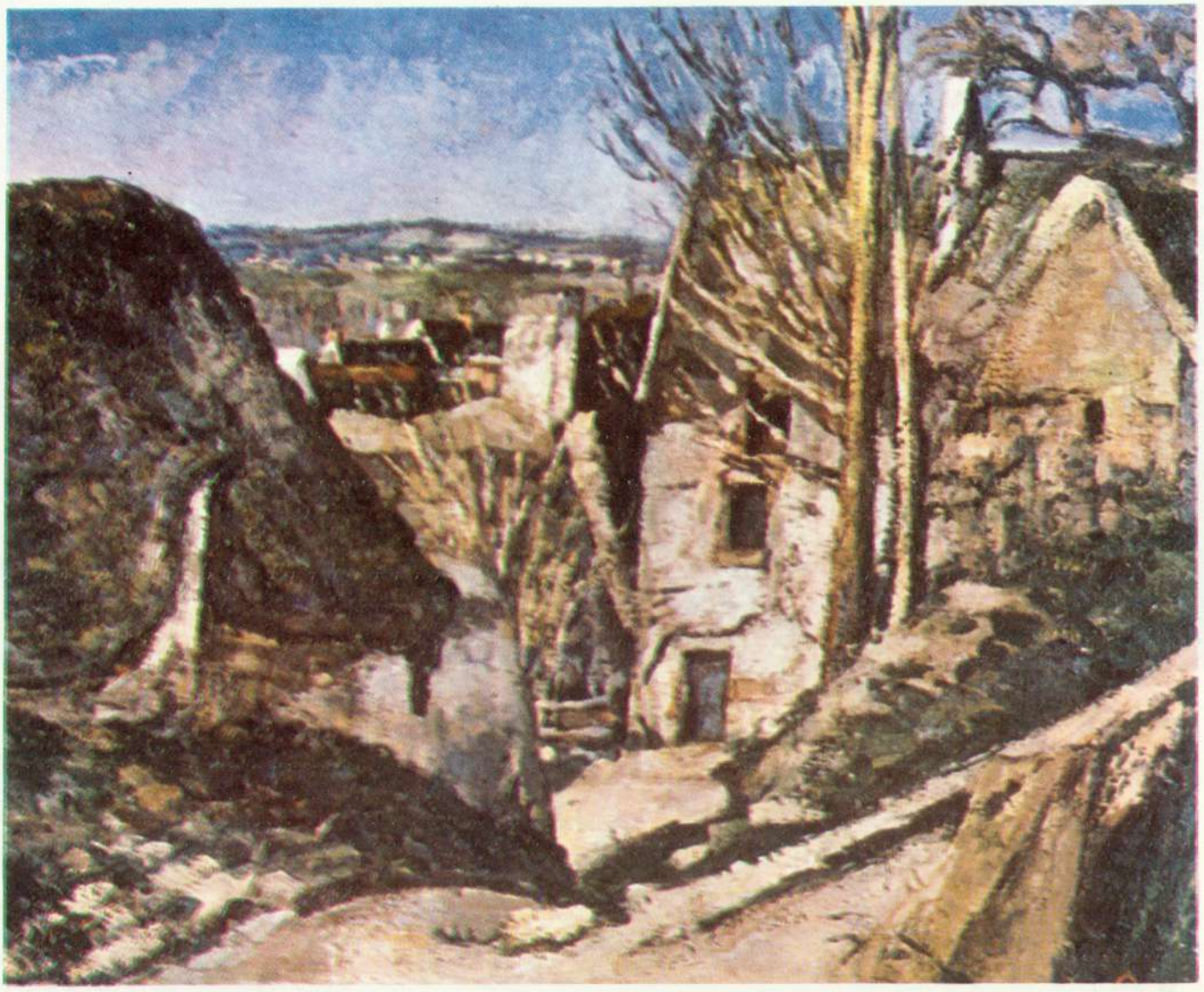
مع أحداث الحياة

وقد اتجه الانطباعيون ـ بحماس شديد ـ إلى تصوير أناس عصرهم وموضوعاته . أخذوا يتأملون الأشياء العادية باهتمام ، بلا خوف أو تكتم ، حتى إذا كانت تلك الأشياء قبيحة أو مشوهة ... ولقد صاغ « مانيه » هذا الموقف بقوله :

« إن الرسام اليوم لا يقول : انظر إلى هذه اللوحات الخالية من الخطأ ، بل يقول : انظر إلى هذه اللوحات الصادقة »

ويومها نصح مانيه ـ صديق بودلير وزولا ـ محافظ باريس بألا يغطى حوائط قاعات الاجتماع فى فندق « دوفيل » بلوحات تاريخية أكاديمية بل بأشخاص وموضوعات من العصر فلا يشعر المشاهد باغتراب عن الفن .

وقد رسم الانطباعيون أحداث الحياة اليومية ولاحظوا جماليتها فى رسمهم : الأسواق التجارية ، محطات سكك الحديد ، جسور السين ، الحدائق العامة وكل نشاطات الحياة اليومية ... ولم يكونوا جميعاً متفائلين ، فالفنان « فان جوخ » ، الذى يعتبر منهم ، ويعد كرمز للابداع ، اختار موضوعات لوحاته من الواقع الاجتماعي الذى يفيض بالتعاسة فكانت خطوطه عريضة مكثفة وخشنة لتعبر عن مضمون موضوعه ...



منزل الرجل المعلق .. رائعة اخرى من روائع الفنان سيزان

ويلتقى الانطباعيون عند ايمان عميق لديهم هو التغير ، إنهم يؤمنون كما قال ذات يوم الكاتب العالمي د. هـ. لورانس بأن كل شيء يتغير ماعدا التغير نفسه !

وهم بذلك يؤكدون أيضاً فلسفة « هيرقليطس » بذلك « النهر الذي لا يستطيع المرء أن ينزل إليه مرتين » .. فكل لوحة انطباعية هي تسجيل للحظة فى الحركة الدائمة للوجود ، وعرض لتوازن مهدد ، غير مستقر ، لتفاعل القوى المتصارعة .

والرؤية الانطباعية تحول الطبيعة إلى عملية نمو وتحلل ، فكل ما هو ثابت متماسك يتجه إلى تحولات ، ويتخذ طابعاً متجزئاً غير مكتمل .. فتصوير الضوء والهواء والجو ، وتحليل السطح المتساوي إلى بقع وخطوط لونية ، وتفكيك اللون الموضعي إلى قيم ، والنقط المرتعشة المرتعدة ، وضربات الريشة السريعة ، المفاجئة ، وكل التكتيك المرتجل بتخطيطه السريع الخشن ، والادراك العابر الذى يبدو غير عابىء بالموضوع ، كل هذا إنما يعبر آخر الأمر عن الشعور بواقع مثير ، حيوي ، دائم التغير ، وهو الشعور الذى بدأ بتغير الاتجاه القديم فى التصوير ، الآخذ بفكرة « المنظور » حيث لم يعد الانطباعيون يلتزمون بقواعد المنظور ! .

ولقد حرر الانطباعيون الفن التشكيلي من الموضوع الأدبي ومن الحكاية ومن كل معنى يمكن أن يصاغ بكلمات اللغة . وأصبحت وسيلة تلقى هذا الفن وتفهمه هي العين لا العقل .

لذلك خرجوا باعينهم الى الطبيعة ، ورفضوا الرسم من الذاكرة ، وفى داخل مراسمهم ، فعايشوا الطبيعة لحظة بلحظة ، وتلقوا الانعكاسات اللونية للأشياء لا الأشياء ذاتها .

المجد بعد الموت

ويغص متحف الانطباعيين فى ساحة الكونكورد يوميا بخمسة آلاف زائر ... وأصبح هؤلاء الفنانون جزءاً من تراث فرنسا ، تفخر أنهم وجدوا فيها وتفاعلوا فى أرضها . وأصبحوا ككل الفنانين فى العوالم المختلفة يعيشون أمجادهم بعد موتهم .

نهى سمارة



بقلم : أحمد العناني

رغم المأساة..

مازالت الناصرة في البرتغال عربية!

ليت صاحبي ما توقف بي في « الفيرا » فهناك لم تكن الدور وهندستها ، وقسمات الوجوه وتعبيراتها تعيد لي صور الماضي العظيم المندثر وحسب ، ولكني كنت من قريب قبل ذلك قرأت كتاب المرحوم علي أدهم عن حياة « المعتمد بن عباد » ، والرجل أقدر كتّاب التراجم في أدبنا الحديث لأنه لا يعيد لك سيرة من يقص حياته وحسب ، ولكنه يستنهض عصره كله من ركام الماضي البائد فاذا أنت مع أهل ذلك العصر تشاطرهم حياتهم ، وتعيش معهم مخاوفهم وأزماتهم ، وتغنى لهم في أفراحهم ... وبكل سحر العربية المطواعة بين أنامل ذلك الرجل فانك تحيا بهجة الساعات مع مؤلفاته تماماً كما يحصل لك من قراءة تراجم « أندريه موروا » و « روزبري » وغيرهم من عمالقة كتاب التراجم في الغرب

مدنية شهدت تقلبات القدر

أقول قد كنت لثاني مرة قرأت ترجمة على أدهم لسيرة المعتمد بن عباد ، فاذا نزال « ألفيرا » تلك المدينة التي شهدت مراراً تقلبات القدر الحادة في حياة المعتمد ، تمثل في خيالي بكل روائها وخيرات أرضها وسمات الأندلس العربي تتجلى فيها ... فحين قال لي مرافقي نحن الآن في « الفيرا » فكأنما طعنني بآلة حادة ، فما لي لغير الجرح حس ولا اهتمام ..

الفيرا ... يقول لي « الفيرا » بملء فمه كأنما لا يعرف ماذا يمكن أن تعنيه « الفيرا » هذه لعربي دارس تاريخ هذه البلاد .. ولاحظ الرجل شدة اضطرابي ، وغلبة الدمع على محاجري ، ورعدتي لما سمعت وما كنت أرى فهز رأسه يقول وهو يخاطب نفسه بالانجليزية ـ حيث هي وسيطة الاتصال بيننا ـ نعم .. نعم .. إنها كانت مدينة عربية في كل شيء لمئات السنين ... هاهو ذا اسمها بآل أداة التعريف العربية ، ما يزال على حاله ...

الله يا الفيرا .. مازلت طفلة الحسن كله تميسين في رواء شباب لا يشيب ، وحياة خضراء ضج اخضرارها حتى في السوق والعروق ... عزاء للمسلمين عرباً وبربراً وصقالبة لما أصابك من خفوت الأذان ، وانقطاع الذكر للواحد الأحد لم يلد ولم يولد .. فمن قبل المسلمين طالما تداولتك الأيادي .. وتعاورت على فضائك البنود والأعلام .. سقيتهم جميعاً كؤوس الهوى وطارحتهم أرق عبارات الغرام .. وثملوا وغاب صوابهم ، وضاعت في هذا الجمال الحافل مراشدهم .. ثم ارتخت عن السلاح أياديهم ، وجانب العدل والرحمة سلوكهم ، فلما ظنوا أن الدنيا دانت لهم وأنه لا غالب لهم أتاهم أمر الله فاذا هم حصيد خامدون ..

عبق البرتقال وثرثرة جداول الماء ، وهينمات الغصون يثنيها نسيم الأصيل فتحاكي قدود الأوانس المنبثات في هذى الجنان .. كلها تميل الرأس ، وتخدر الحس ، إلى أن تنهض من الوجدان غلائل سوداء من مأساة الاسلام في الأندلس فاذا أنت ترى كل شيء خلل الدموع متشحاً بالسواد فياالله لي ما الذي جاء بي إلى هنا .. ويالها من لقيا كأنها لقيا قيس بليلى وهي في عصمة ورد .. وذكرتني ليلى ومجنونها بشوقي ونفيه ههنا في الأندلس أيام همست له بسينيته العصماء فهو أبداً :

مسطار إذا البواخر رنت
أول الليل أو عوت بعد همس

قال صاحبي : ألا نجلس للقهوة في الفيرا ؟ . فقلت له على تراخ وحزن : بل أخرجني منها سريعاً ، فأنا ضائع اللب فيها بين صورتها في عصر المعتمد وواقعها الآن بغير توحيد ولا رشد ..

ومضت السيارة تنهب الدروب المتسترات بتشابك الأغصان فما لشعاع من الشمس واحد درب بين زحمة الأوراق والأفنان



ثلاث لقطات .. الأولى على اليمين لبناء فى لشبونة نرى فى أعمدته وأقواسه الطراز الاسلامى الجميل .. ونرى نفس الطراز الفنى فى اللقطات الأخرى لبعض الأبنية فى مدينة القباصة .

الآثار الاسلامية الباقية فى البرتغال





إلى أن انحسرت الجبال عن ساحل امتدت فوقه رمال بيض نواعم لا تنكر القدم الحافية منها شيئاً ولا تخشى غائلة ، وأمواج الأطلسى فى الجو الرائق باتت تمازج اليابسة مزاحاً لطيفاً ، وقد انبثت على الساحل اكشاك عليها للسائحين مصبغات من الملابس ، ومن الداخل تعبق رائحة السردين فى أشهر بقاع تواجده فى الأرض .. وجلسنا للغذاء ، وأنا أتمتم .. ما كان ضر قومى لو خافوا الله حق مخافته ، وشكروا له هذه النعم حق الشكر له .. فأبقاهم هنا فى هذه الجنة الفيحاء .

القرية المعلقة

وألقيت إلى أعلى الجبل نظرة .. فقلت لصاحبى : ما تلك القرية المعلقة فى أعلى الجبل هناك ؟ قال : هى «الناصرة» ونحن نلفظها «نازره» ولكنى لست سائراً بك إلى هناك .. قلت : لم ؟ قال : قد أشـــجاك ما رأيت فى «ألفيرا» والقباصة فكيف لو رأيت ما يمكن أن تراه فى الناصرة .. فقلت ما عليك من شجني فأصعدنى إليها ولك منى ما تريد ... فوالله إني لفى شوق إلى ناصرة بلادى فى فلسطين ، فما دخلتها حياتى كلها إلا مرة واحدة أشفقت بعدها على نفسى أن ينالها من هوس سحرها نظير ما أصاب طوقان» .. فقد ظل حياته باكياً على كفركنه .. جارة الناصرة .. على العنب والتين وسحر القدود والجفون .

خذنى لها فلأمر ما سماها أجدادى هنا بالناصرة ؟ قال وماذا عندكم من الفواكه والزراعة فى ناصرتكم بفلسطين ؟ .. قلت الرمان والتين والعنب والزيتون .. وقداسة من عطر المحبة فى بلد المسيح .. فقال يبتسم : والله ان هذه لهى مفاخر هذا البلد سوى أن الرجل الذى جعل الناس قبره مزاراً غير معروف الهوية تماماً . والبعض يقول إنه كان من الأولياء العارفين من رجال المسلمين .. فامض معى الآن لأريك ما يدهشك .. ولكن تماسك ولا تضعف كما ضعفت بالفيرا ..

أبداً لن أنسى ناصرة البرتغال ما حييت .. كل شىء فى ذلك البلد الجبلى الجميل مازال عربياً مسلماً إلا أسماء الناس دون أسماء الأحياء وبعض الأسر والأسماء المستجدة لمساجد قديمة محولة عن أصل صبغتها .. أما الملابس فهى عربية فضفاضة محتشمة وعلى رؤوس النساء وصدروهن خُمُرٌ ساتره .

ويقول لى صاحبى : ههنا يقرون الضيف ، ويدفعون عن كرامته بالسيف ، ولا يسامحون فى العرض ، ويحيون الحياة وكأنهم فى مأساة لا تنتهى مشاهدها .. وانظرهم في ملابسهم فهل ترى لونا واحداً فاتحاً ؟

واويلاه إن المأساة ما تزال تمد رواقها عبـــر القـــرون على ذراري أولئـــك المستضعفيـــن مـــن بـــواقي المسلميـــن الأندلسيين ، فكأنما الشجر لا يردد بحفيفه إلا أصداء نشيج أجدادهم حين كان التعصب المجنون ومحاكم التفتيش الدموية تحيل حياتهم جحيماً لا يطاق ..

الله أكبر ..هنا أفهم بوضوح كما لم أفهم فى حياتى كلها معنى قوله تعالى «وتلك الأيام نداولها بين الناس» ومعنى قوله «واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ومالهم من دونه من وال » .

وسألت نفسى : ما الذى جاء بأجدادى من العرب إلى هذا المكان الأوربى من ساحل بحر الظلمات ؟ والجواب طبعاً دعوة الله ورسالة الاسلام .. ثم تذكرت كتاب علي أدهم عن المعتمدبن عباد وما أمضت به الحال بالنلس من التنكر لنُهية الدين ورسالة رب العالمين .. ورأيت منطقياً جداً أن يخرج العرب حتى بعد سبعمائة من السنين من هذه الجنات الممتدة على مدى البصر .. وأخشى ما أخشاه ألا يظل لهم سوى أرض العرب وحدها ما تخلّوا عن الاسلام ورسالته ..

أحمد العناني



أبو زيد الهلالى الذى تغنى بسيرته الرواة فى كل انحاء العالم العربى

الهلالي أبوزيد
رائـــدًا وحكـيـمًا

بقلم : إبراهيم إسحق إبراهيم

من رأى الدكتور عبد الحميد يونس وتلامذته «محمود ذهنى وعبد الحميد حواس وآخرين» أن السير الشعبية العربية اهتمت فى عفوية بنائها بتمكين المبادىء الحقة للوحدة العربية الشاملة سلالياً ، وسياسياً ، وثقافياً . ولو جاز لنا الاختلاف مع هؤلاء العلماء درجات فقد لا نخرج على التمييز بين العفوى والارادى فى مقاصد الشعراء والرواة الذين صاغوا والذين طوعوا وطوروا لنا هذه السير بنسيجها الاقليمى المميز من حجازية ، وعراقية ، وشامية ، وقاهرية ، وصعيدية ، وسودانية ، ومغربية . الذاكرة السردية فى مناطق القلب من البلاد العربية كدمشق والقاهرة غالباً ما تنسج رواياتها إنطلاقاً من الوعى الكبير بقضايا الاسلام والعروبة ، وذلك فى ظروف صعبة مثل تدهور الحكم العباسى والشتات الذى تبعه فى العصرين الفاطمى والمملوكى حينما ساد حكم الطوائف وأسرات المغامرين والشيع الدينية المتحمسة . أما الأطراف الدائمة التمدد بالترحال العربى المسلم من صقع الى صقع بعيداً عن دائرة القلب فشغلها الارتياد والمزيد من الارتياد ، سلالياً وسياحياً وثقافياً ، داخلة كل حين فى أوطان ربما لم تأت منها الأخبار بعد . هناك تعزز الأعراب البدو معدات التأقلم السريع مع العناصر التى تحل وسطها ، وقد لا تشرع فى عمليات التأقلم أكثر من موهبتين أساسيتين من مواهب البطولة أينما وجدت وهما البسالة والحكمة .

سيرة بنى هلال فى مراحلها الثلاث ، ببلاد السرو ثم فى نجد وعلى مرامى التغريبة ، تزدحم بالأبطال العرب ، والعربيات . ورغم ذلك فان ملاحظة دكتور عبد الحميد يونس تصدق حول وضع أبى زيد سلامة بن رزق كبطل حقيقى لسلاسل الحكايات الطويلة المتداخلة والمتفاصلة أزمنة وأمكنة . واذا كانت التقسيمات القبلية الباكرة فى الجزيرة العربية تكترث لانتساب الأبطال العظام خاصة الى أصولهم لدى زغبة ، وريلح ، ودريد ، والزحلان ، وما سواهم ، فان هذه الفروع تحتفظ بأهميتها فى أطوار السيرة وهى تتفرهد فى مصر وبلاد المغرب حتى عهد قريب . الاهتمام بالفرديات القبلية هذه لحد ملحوظ ينتج عن أهمية التفاصيل فى

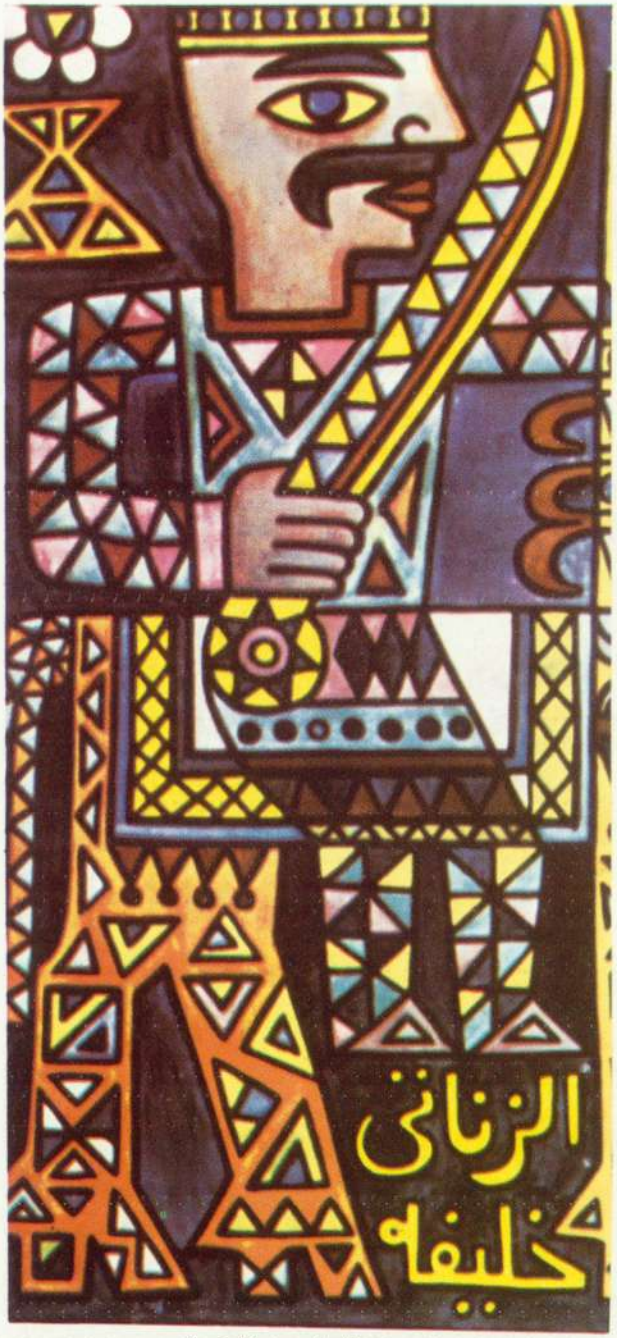
سرد المواقف والفروق بين الأبطال ومحال الأزمات فى أصناف ونسح السيرة التى ظلت تمثل بضاعة وصناعة مهنية للشعراء والمحدثين فى مصر أكثر من غيرها . أما اذا تابعنا انحدار العرب الى البادية الصحراوية وراء ساحلى ليبيا ، وتونس وقدامها فى سهوب شمال نيجيريا وتشاد والسودان فالوضع يتغير كثيراً .

أهمية الروايات الشعبية

بداية قد يفرض انقطاع الوصل بين مسميات القبيلة العربية الأم والجماعة العربية فى الأعماق الافريقية امتناع كل داع للاحتفاظ للأبطال الهلاليين بأنسابهم القبلية فى سير افريقيا العربية . فما يستفاد من الراوى بين أعراب الشوا بضفاف بحيرة تشاد من ذكر زغبة والزحلان ، أو ماذا يعنى دريد ورياح للرواة فى ضواحى الخرطوم وكردفان ودارفور . إن إنعدام الاتصال الاسمى بين الجد الهلالى الاسطورى والحفيد العادى المتسكع فى هذه البقاع الافريقية يستحق منا فهماً دقيقاً . فالمعروف من قديم أن الأسر المبتعدة عن بطونها حتى فى حقب الجزيرة العربية سرعان ما تتخذ من اسم الأب الأكبر أو الأم المسيطرة لائحة قبلية جديدة تصبح لها شعاراً أينما سارت ووسط من فى الأقوام المغايرين حطت . وبهذا تجعل قبائل البقارة فى غرب السودان من وجود العناصر الهلالية الضئيلة بين عشائرها حجة للانتماء الى أبهة سمعة البطل المرفوع على الدوام ميسماً للذاتية الهلالية أينما وجدت . ان انعدام الركيزة الوثائقية للزمان والمكان الذى مات فيهما سلامة بن رزق لهو أجمل ما تمنحه كل يوم السيرة الهلالية للعروبة البدوية والافريقية خاصة من فرص باهرة لصياغة أيدولوجية ديناميكية عفوية وموفورة الاخصاب .

عبد الرحمن الأبنودى يحدثنا عن تكور الفلاح المصرى على أبى زيد وبقية الأبطال الهلاليين ليقيم من أخبارهم ديواناً يحوى مواجد الانسان الصعيدى فى الحقل والبيت والمقهى . وفى القاهرة يرى عبد الحميد يونس والباحثون غيره أجانب وبلديون ، أهمية هذه الروايات الشعبية كتنفيس مستمر للرئة القاهرية. ويحسن عبد الحميد حواس التعبير عن طبيعة هذا التعلق بالسيرة الهلالية أينما وصلت فيجعل ذلك التعلق مفتاحاً لمقدرتها على حمل التلوينات والتنويعات المحلية المعبرة عن خصوصيات البيئة وتمايزاتها الثقافية والاجتماعية . أحمد ممو فى تونس يحتفل بنفس هذا الدور للرواية الهلالية ببلاده ويصوره فى قالب أسماه «التحولات فى أقاصيص بنى هلال» . فهناك التحول المستحدث فى الوقائع التاريخية والجغرافية وزخرفتها وهناك التحول الموضوع على الوظائف المهنية والاجتماعية للأبطال . واستقراء مؤشرات هذه التحولات والتنويعات هو من صميم هموم الدارسين والمستمتعين بالظاهرة الحيوية والانتشارية الشاسعة للسيرة الهلالية فى افريقيا العربية .

كان للدكتور عبد المجيد عابدين السبق فى لفت الأنظار الى التوظيف المدهش الذى وجهت به الجماهير فى القرن الرابع عشر الميلادى سيرة سيف



الزناتى خليفة .. أبرز أبطال السير الشعبية

الهلالي أبوزيد
رائداً وحكيماً

ابن ذى يزن ضد عمليات التيار الحميرى المسيحى الحبشى الذى أنعشه من اثيوبيا الملك عمدا صهيون (١٣١٢ ـ ١٣٤٤ م) فيما عمل على ترويجه من دعاية تحت اسم «سيف أرعد» . فكان التحول الذى طرأ على السيرة السيفية العربية مطاوعاً لدرجة عكست ترتيب التواريخ وأصبح سيف بن ذى يزن التاريخى المتوفى فى العصر الجاهلى مسلماً ومعاصراً للنبى صلى الله عليه وسلم . لكننا قد نستطيع ملاحظة الشىء الذى يجعل معظم السير العربية ، من السيفية ، والعنترية ، وذات الهمة ، وبيبرس ، وعلي الزيبق ، والزير سالم ، الى حمزة العرب ، أقل انتشاراً ومفعولية من الهلالية فى الوقت الحاضر . فعنترة وأبو زيد هما وحدهما اللذان لا يرتبطان بالمحل الضيق أو المرتكز الواحد . وهما يشتركان أيضاً فى صفة لصيقة بفؤاد العرب الأفارقة وهى سواد البشرة . فى مقدور عنترة أن يسوح الى الحبشة والسودان وبلاد العجم لكسب الأحلاف وشهود الملاحم مع الأمم فى مقابل احتباس البطال فى الشام أو الشطار فى حوارى المدن . وأما أبو زيد فيركب الريح سارحاً مع الجموع الهلالية فلا ينتهى تطوافهم حتى وهم على مشارف خط الاستواء بافريقيا . وحتى عندما يموت الأبطال المؤسسون فان السيرة الهلالية تخلق من أجيال أبنائهم الأيتام أبطالا جدداً أكثر مطاوعة لمتطلبات المراحل والأعصر والبلدان التى يعبرون عما يلقونه فيها .

حينما اخترت فى عنوان المقال تقديم نسبة الهلالى على أبي زيد (الكنية أو اسم العلم لا أدرى) أردت من ورائه شيئين . فى بادية عرب السودان يفضلون الحديث عنه هكذا . والسبب الآخر هو الأمل فى أن يكون طرقى لموضوع بطولة أبى زيد ناشئاً وواصلا لشىء جديد ومغاير للمعتاد فى غالبية حديثنا عن الهلالية وبالتالي يستطيع هذا التقليب فى الاسم استيعاب مفاهيم معالجتي لهلالية أقارب أبي زيد فى أعماق افريقيا . ابراهيم الصيرفى ينضم أيضاً الى أحمد ممو وبعض الدارسين الموثوقين فى التركيز على جانبين من السيرة الهلالية وتقديمها كأهم الجوانب فيها وهما البطولات وقصص الحب . وهذا صحيح . ولكننى فضلت أن أقول مفسراً ومميزاً بأن البطولة فى معناها العنترى الواسع وحتى النبوى المقدس ليست هى البسالة العادية ولكن أيضاً هيمنة العقل والحيلة والحكمة على سلبيات الحياة أجمع . ومن هنا يتسق ما قصدت اليه مع مقالات أولئك الدارسين المجودين لمزايا الهلالية .

تغريبة بنى هلال

المدقق فى «تغريبة بنى هلال» سيلاحظ مدى الاحتفاء بمقدرتى أبى زيد الهلالى المتوازنتين تماماً وهما الحيلة والبسالة . فهذا الرجل الأسود يتنكر مرات فى زى المغنين الجوالين فيطرب مستمعيه ويبهرهم ، ومرات فى زى الدراويش فيتكلم الفارسية ، ومرات على هيئة الرهبان فيرطن الرومية (أى الاغريقية) ، ويندس بين الأعجام فلا ينكشف ، ويتهيأ بملابس أشرار اليهود ليهزمهم ، ويدعى الطب فيؤتمن على الأرواح ، ثم يستعمل البنج لقهر أعدائه . ولولا هذه الحيل والألاعيب لما عبر الهلاليون تلك الممالك البربرية المشتتة على كل شبر من الأرض حتى وصلوا من نجد الى تونس .

هذا الأرث من التحايل المبدع يضعه الأعراب البدو نصب أعينهم وهم يتوغلون فى بلاد البربر والسودان ومنه يستفيدون فائدة قصوى . فاذا أرادوا تدريب أذهان ناشئتهم على الحكمة والحيلة المطلوبتين للبقاء الصالح فى بلاد غريبة سردوا عليهم أخبار أبى زيد .

وفى «التغريبة» كما فى السير الهلالية بمصر وتونس يلاحظ المكترث بروز دور النساء المقربات للأبطال مثل الجازية وشيحة فى بذل الرأى المفيد للقبيلة . وهذا الدور لعلة ما يتقلص فى السير الهلالية بغرب السودان . ثم لم يرض الناس هناك لهذه الحكمة أن تنتفى فأضافوها لخصال الحيل والمهارة اللغوية المتعددة والبديهة الحاضرة عند أبى زيد . فى الحياة المصرية العامة انعزلت تدريجياً بعض مواقف الحكمة من النسيج الكلى للسيرة الهلالية وأصبحت سائرة على لسان الجماهير ، حتى وسط الذين لا قبل لهم بتبيان الخطوط الهامة لأخبار بنى هلال . عن عبد الحميد يونس ومن عنه يأخذون نعلم أن الشارع المصرى يقول للمهندم الفنجرى «عامل أبو على» تشبيهاً له بحسن بن سرحان أمير بنى هلال . وأخذوا عن استيلاء دياب بن غانم على مجهودات أبى زيد واغتياله إياه مثلهم السايرة «كانك يا أبو زيد ماغزيت» . ويتفق المصريون تماماً مع أعراب السودان فى جعل نصيب أبى زيد من اللماحية هائلا وكاسحاً وذلك فى قولهم «سكة أبو زيد كلها مسالك» .

أما فى أرض الجزيرة بوسط السودان فيحكون أن أبا زيد ودياب تغالطا فى حقيقة الرجل الكريم الأجواد فقال دياب «الجود من الموجود» وقال أبو زيد «الجود قطعاً من الجلود» أى العطاء حتى فى قمة العسرة وهو مصداق الآية القرآنية الكريمة «ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة» . فى هذه البيئات الاسلامية كثيراً ما تندرج الموعظة الدينية فى الحكمة الشعبية بمنتهى العفوية . وفى بلاد بين النيلين قالوا أيضاً ان دياب الهلالى قال «الوجع إما ضرس وإما عرس» . فرد عليه أبو زيد بأن الضرس يمكن قلعه والعرس يمكن تأجيله لكن الوجع الحقيقى هو وجع العين والهم الأفظع هو هم الدين (بفتح الدال) . أو كما يضع أبو زيد ذلك فى اللغة الشعبية السودانية «السهر يا دين يا عين» . فالعين لا تقلع والدين ليس تأخيره فى متناول يد المديون .

قد يعود التمسك الحاذب بالسيرة الهلالية كأداة لتثبيت الذاتية وتعميقها فى وجدان الأعراب السودانية الى أساس لايزال طلاب التاريخ فى مراحل تمحيصه وهو الوجود الفعلى لبنى هلال وسط الجماعات البدوية التى سارت جنوباً منذ القرن الثالث عشر الميلادى وانتجت تدريجياً رعاة الابل والبقر فيما وراء الصحراء الكبرى بجمهوريتى السودان وتشاد . كانت الغلبة وسط

أولئك المهاجرين للقبائل اليمانية . لكن عناصر من فزارة ورفاعة وفيهما بنى هلال كانت موجودة بينهم كما يشير لذلك حشد من الدلائل . ولما كانت الجماعات اليمانية بافريقيا تفتقر لحد ما الى الأسطورة الأصولية ذات الانتشار والذيوع كما لدى بنى هلال فقد جرى فى تعامل غالبية هؤلاء البدو قانون طبيعى ومعروف هو تغليب القطاع الأشهر على الجموع المتـــلازمة والمتضامنـــة سعيـاً وراء اصطناع كيان تكتلى ضخم وصلب وغير قابل للتفتيت . وهكذا أصبح معظم هؤلاء البدو فى إخبارهم عن أنفسهم أحفاداً للهلالى أبى زيد . وحتى المالكة فى سلطنتى التنجر والغور (حوالى ١٥٠٠ ـ ١٩١٦) تنتسب الى أحمد المعقور العربى الهلالى الذى يدعون له قرابة بأبى زيد .

رعاة الابل من الزيادية ودار حامد والمحاميد فى القطاع الشمالى من هذا الحز الرعوى يحكون عن أبى زيد ونوادره وملحه نفس الأخبار التى يروبها عنه رعاة البقر فى القطاع الجنوبى كالرزيقات ، والحوازمة ، والمسيرية ، والبنى هلبا ، والهباينة . الفارق الوحيد هو أن تميز كل من القطاعين عن الآخر يبرز ويتضح فى تغييرات طفيفة على الحكايات فى كل حالة ، تغييرات تعنى بالجانب المعيشى لكل جماعة وترسم على الرواية سمات ذلك المعاش وملامحه البيئوية . فسعاة الابل يحملون أبا زيد على جمل أو ناقة ، وسعاة الأبقار يحملونه على ثور . ويعيش أبو زيد فى كل من الحالتين فى ظروف جغرافية وعرقية وثقافية مخالفة للأخرى ومفصحة عن ذلك الاختلاف .

الهلالى رائداً وحكيماً

سأختار الآن عينات موجزة من وظيفتى الريادة والحكمة عند أبى زيد الهلالى معروفة لدى الزيادية والرزيقات والبنى هلبا التى تمثل للجماعات السودانية البدوية العريضة التى ذكرتها . وجدير بالذكر أن الرشايدة فى شرق السودان والرباطاب والمناصير والجعليين فى شمال السودان يسردون الأخبار الهلالية كحكايات ومواقف مجملة تتبع خطوطها العامة تلك المغامرات التفصيلية التى نجدها لدى المصريين والتونسيين والليبيين ، فى الوقت الذى يكاد أهل غرب السودان لا يحكون من تلك المغامرات النمطية شيئاً . ولأن أبا زيد فى بادية غرب السودان يمثل جداً للرعاة لا يتعدى بعده الزمنى عنهم عدة أجيال كما يحسبون ، فهم لا يميزونه بشىء عن نمط حياتهم الحاضرة . وأول مهام هذا الحكيم القبلى فى البداوة هو أن يكون رائداً لمواقع القطر ومنابت العشب ومسارب المياه فى البرية حيثما تسير القبيلة . وهو مؤهل تماماً لذلك شجاعة وصواب رأى وادراكاً للغات الغربية . ومن هنا نجد فى أخبار أحمد المعقور الهلالى أنه ساعة يلقاه أهالى دارفور معرقباً ومهجوراً فى القفار يدخل معهم فى تفاهم ومخاطبات مباشرة دون حاجة لمترجم أو شرح من الرواة لصعوباته الأولى فى التلقى والايصال المعنوى معهم .

عن الريادة يقول الرزيقات ان أبا زيد هو الذى اكتشف لهم الأرض التى استوطنوها ووجههم لسكناها ، ربما لملاءمتها لتربية الأبقار . فحينما عاد أبو زيد من ريادته سألوه كيف وجد البلد الذى راده لهم فأجابهم بأن فيه ذبابة صعبة (ذبابة التسى تسى الضارة للحيوان خاصة الابل) وكلب جسور (ويعنى الأسد) وأشجارها بلا صفق (مما لا يناسب الجمال) وأرضه اذا ابتلت تميعت وإذا تيبست تشققت . أما لرعاة الابل فقد أعطاهم أبوزيد درساً مأسوياً . يقولون ان أبا زيد سار فى القفار بدرب تونس الخضراء وحده حتى كلت دابته فنزل منها وصعد على شجرة هناك ما وراء الكثبان . لكنه لغفلته لم يعقل بعيره ولم يضع عليه رسناً فيربطه . إنصرف البعير وعليه الماء والزاد والأخفاف . نزل أبو زيد وجرى كل وجهة حتى أعيا فلما دهمه الموت عقل رجله ورسن ذراعه ومات . وتلك وصيته الغالية لأخلافه فى بلاد السودان ، على أثر نبيهم يقول لهم «اعقلها وتوكل» . وهكذا تكاد كل مقالات الحكمة فى هذه المناطق تتشكل فى الزمن الشعبى بما يتناسب وشخصية أبى زيد الهلالى .

يوصى أبو زيد الهلالى ابنه قائلا «عليك بسوق كل يوم وضيافة كل يوم والسلام راكباً» . فلما احتار الآخرون من



الفارس الذى لا يتحدث إلا بالعبارات الحكيمة .. هكذا نرى شخصية أبوزيد فى السودان

الهلالي أبوزيد

رائـــدًا وحكـيـمًا

هذه الأقوال فسر لهم الابن مقصد أبيه فقال : سوق كل يوم هو أن تكون لك نعاج تبيع منهن متى شئت . وضيافة كل يوم هى من أولويات حياة البدو وذلك باستغلال تنافس الضرائر على الزوج ومبالغة كل منهن فى التودد اليه . والسلام راكباً هو ان تكون على دابة وليس راجلا . أبو زيد الهلالى الافريقى يستغل إجادته للغات الافريقية وبداهته فى تقريب الشقة بين أهله وجيرانهم الجدد . إشارة للتأقلم اللغوى للعربان مع الأهالى السودانيين فان الكثير من هذه النوادر تنشأ على ألغاز قائمة على ألفاظ ذات جرس ومعان فى الرطانات المحلية . من هذه أخبار طويلة عن زواج أبى زيد الهلالى بنساء الجماعات الأخرى أثناء تطوافه وتركهن وأطفاله فى بطونهن . فلما يكبر الصبى وتعلم به العرب وتسأل عنه أبا زيد تراه يوصى الرجال العقلاء بالذهاب الى ذلك الحى وامتحان الصبى . فالمطلوب الشائع من الصبى هو أن يخبرهم ما هو المقصود بكلام مثل : اللو فى اللو واللو فى اللو واللو فى اللو .. ولهذه الأخبار مسارات طوال .

فى مجالى الحكمة تتفق روايات السودان الشمالى مع أخبار الرعاة بغرب السودان عامة على أن أبا زيد بعد ريادته لدروب تونس الخضراء ورجوعه الى فرقان العرب سألوه رأيه عن كيفية الانتقال الى تونس فقال لهم : سأخبركم برأيى غداً . ثم إنه قبض على حمامتين وحشيتين ودسهما فى قارورة بعد أن نتف ريش احداهما . فلما جاءوا من الغد قال لهم أبو زيد : رأيى فى تلك القارورة فافتحوها . وبعد التعجب كله فتحوا القارورة فاذا بالحمامة السليمة تطير فتبعد ، واذا بالمنتوفة واقعة تتخبط . وغلبهم أيضاً فهم مقاصد أبى زيد فطلب منهم أن يستعينوا لذلك بابنه بريقع . فكان لابد من الارسال فى طلب الابن .

وهنا يستطرد الراوى فى ذكر اختبار حصافة بريقع . بريقع حدثهم فقال ان أباه يعنى طريق الوصول الى تونس الخضراء جد شاق ولا يتم قطعه إلا للقوى . فمن كان قوياً من الأعراب طار مثل الحمامة السليمة ، ومن لم يكن قوياً فيصير حاله الى غلبة الحمامة المنتوفة . وهكذا باع العرب المهاجرون نعاجهم ومعيزهم وأكثروا من اقتناء الابل الشديدة فحملوا عليها الزاد والروايا ثم عبروا الى تونس الخضراء . ويبدو لي أن مثل هذه الحكم تخاطبنا أيضاً ضمن صحوتنا العامة ونحن مرتبكون أمام عدو راصد وطموح فى التطوير الحضارى الذى يلحقنا بدرجات المتقدمين .

فيض من الحكمة

لربما صح أن الريادة العاقلة التى جسدها أعراب افريقيا فى شخصية أبى زيد لا تزيد ولا تنقص كثيراً عن كونها أيدولوجيـــة سـلالية وثقافيـــة تهدف لمواصلة التوسع والتعمق فى استكشاف الآفاق البكرة للعروبة والاسلام أينما



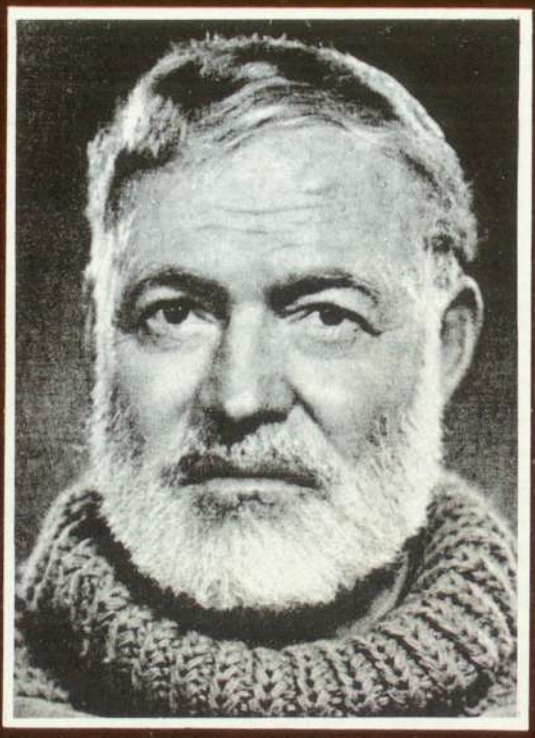
البطل الهلالى أبو زيد الذى تمنحه سيرته حـق التجول فى بقاع الأرض

يسير هؤلاء البدو ومستعربوهم فى صعيد مصر تحفر هذه الريادة فى الأعماق ، فى أغوار النفس ، لأجل استبطان قوى التحمل والصمود وإحياء الطاقات المحبوسة كما يوحى لنا عبد الرحمن الأبنودى . وفى بوادى غرب السودان يدخل البقارة والأبالة أصحاب البقر والابل كل مرة فى تجارب أوسع وأعمق محتكين بالبيئات المعيشية والثقافية الجديدة ومختلطين بسلالات لم يعايشوها أو يعاشروها من قبل إلا لماماً . فى بحر الغزال وأطراف الكنغو على حواشى الغابات الاستوائية قطعان الرزيقات والهبانية وغيرهم أحياناً تسرح بهم . وحتى ركوب أبى زيد الهلالى فوق الثور فى تشاد وكردفان ودارفور تعلمه فقط من هذه البيئات الجديدة .

هنا تلد الريادة فيضاً من الحكمة لتجارب العروبة والاسلام فتثريها . وكما تسنى للمؤتمرين فى تونس للتباحث حول الدراسات الهلالية عام ١٩٨٠ أن يطلعوا على مواضيع متجددة فى هذه المجالات مثل بحث المستشرقة الفرنسية جاكلين أرنو عن «بنى هلال فى أعمال كاتب ياسين» فان للمؤسسات العلمية والثقافية فى العالم العربى أدواراً يجب عليها الاكتراث لها . إنطباعى عن هو أن السينما والمسرح والمسلسلات العربية تكاد تنهك حكايات عنتر وعبلة ، وقيس وليلى ، ووضاح اليمن ، وأمثالهم من أبطال الجزيرة فى القديم الأبعد . وربما تستفيد الذهنية العربية شيئاً جديداً لو تتعرف على البطل الهلالى فى ذاتيته الزئبقية التى تمنحه حق التجوال غير المنقطع ولا المحدود فى أنحاء الأرض طالما يذهب بعيداً عن منبعه فى نجد . والتشكل على كل هيئة فاضلة أينما يصل. لقد عاشت أمريكا مثلا أكثر من قرن من الزمان وهى تستولد أساطير ذلك المغامر الجوال فى البر والبحر لأجل تحديد وتعميق مفاهيم إنسانية البطل الأمريكى من اسماعيل فى «موبى ديك» وعبر «هك فن» فى «مغامراته» على المسيسبى وحتى جوناثان سيقل طائر النورس المصعد فى الفضاء . ولنأمل نحن أننا سنراعى لطاقات أبطالنا الشعبيين مثل أبى زيد الهلالى مرات ونتدبر معطياتهم .

ابراهيم اسحق ابراهيم ـ الخرطوم

همنجواى



علم نفسه الكتابة.. ثم أطلق على رأسه الرصاص!

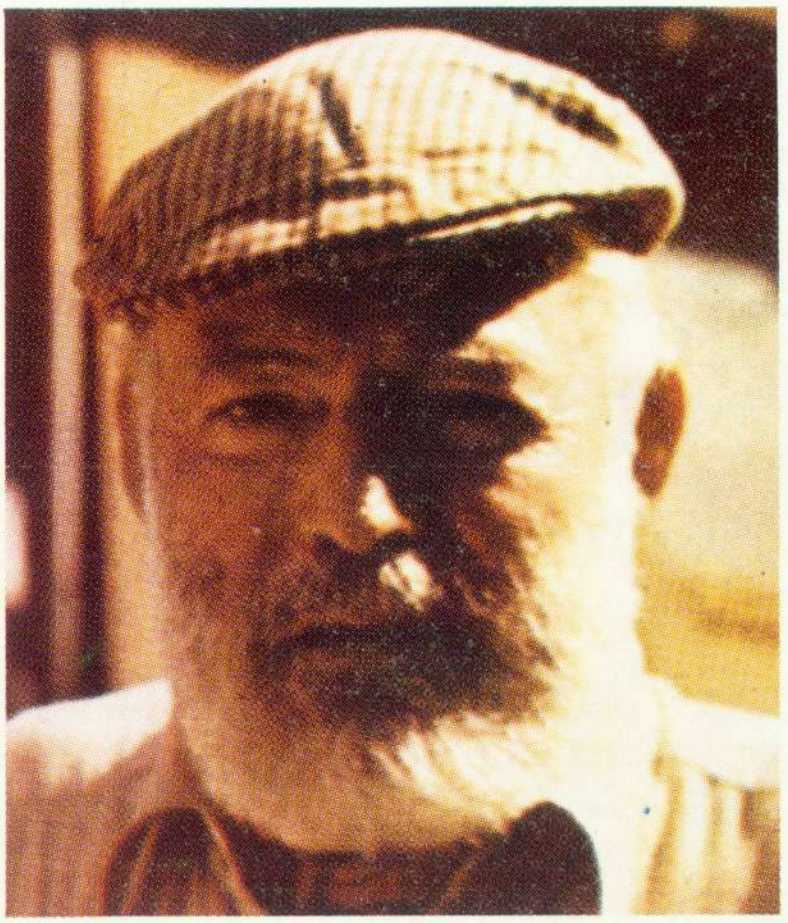
بقلم : جمال الكنانى

خشيت عندما هممت بالكتابة عن إرنست همنجواى أن تغلبنى نوبة من حماسة فأضعه على رأس قائمة الكتاب الأمريكيين المحدثين ، فيهب لمعارضتى فريق يخص تى.اس. إليوت بهذه الزعامة ، أو فريق يؤثر وليام فوكنر» ويراه أحق منهما ... لهذا رضيت بالقليل وقلت لنفسى يكفى أن يكون صاحبنا همنجواى واحداً من العظام الثلاثة ، رغم ما أثارت كتاباته من عواصف النقد والتقريظ ، ورغم ما كان له من أثر ملحوظ على أدب أمريكا وانجلترا وأوربا ...

همنجواى ، اديب فحل حار النقاد فى وصفه وتحديد موقعه من مدارس الأدب .. فمن النقاد من وصفه بالبدائية ، أو بانه مثقف منحل ، أو بانه نموذج للامريكى الصميم ، أو انه أوروبى اقتلع من جذوره ، أو بانه واقعى ، أو طبيعى ، أو رومانسى ، أو كلاسيكى ، أو رمزى ، أو نيهسيلى ، أو وجودى ، أو انسانى ... وليس فى الأدب الانجليزى والأمريكى غير همنجواى من نخل النقاد حياته

همنجواى

علم نفسه الكتابة.. ثم أطلق على رأسه الرصاص!



كان أرنست همنجواى يفضل أن يراه الناس صياداً للسمك على أن يروه أديباً !



مصارع الثيران .. إنه فى رأى همنجواى مثل الكاتب !

وغربلوها أكثر مما نخلوا حياة اللورد بيرون ، بحثاً وراء ما يشين سمعته أو يلوث اسمه الأدبى .

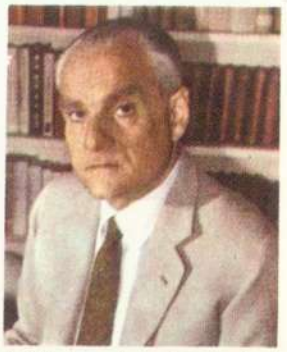
ولم يكن اهتمام النقاد بمحاولة الحط من قدر هذا الأديب والنيل من سمعته عفو الخاطر ، ولكن كانت له أسباب وعلل أهمها شخص همنجواى نفسه .. فهو من ناحية كان فريسة لما أصاب من نجاح بعد نشر كتابه «وداعاً أيها السلاح» فى عام ١٩٢٩ . واختار همنجواى بعد هذا النجاح أن يتنصل من «وصمة» كونه أديباً .. ولكم أثار حفيظة قرائه والمعجبين به بالافراط فى استعمال استعارات مأخوذة من محيط الملاكمة أو كرة المضرب .. ورفضه بأن يظهر بمظهر الأديب ، إذ كان يؤثر أن يراه الناس صياداً للسمك أو الوحوش ، أو ملاكماً ، أو محباً لمصارعة الثيران

ولهمنجواى بعض العذر فى ذلك ... فالجمهور الأمريكى الذى عاصره لم يكن يرتاح من الناحية الاجتماعية لفكرة «رجل الأدب» .. ولعلنا نذكر أن تى.إس. إليوت ، وهنرى جيمز ، وهمنجواى نفسه ، آثروا الاقامة فى انجلترا أو فى أوروبا أو كوبا على الاقامة فى أمريكا نفسها ... وكانت فكرة التخفى وراء قناع ما ، شائعة إذ ذاك ومثال ذلك باوند،وييتس ، وإليوت ... إلا أن ما أثار سخط الناس على همنجواى ، هو أنه كان يرفض أن يظهر بمظهر الجد وأنه كان يعادى الاتجاه العقلانى ... ولكنه على الرغم من هذه الألاعيب وذلك التظاهر ، كان كاتباً جديا مجيداً . والواجب أن لا تضلل حياته الخاصة بعض النقاد .. فهى خاصة به وحده .. خاصة بذكراه .. لا تعنينا .

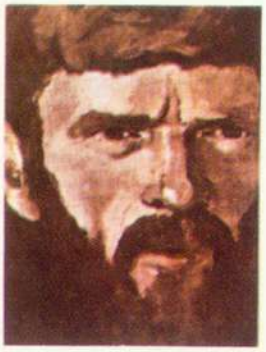
علم نفسه الكتابة !

الذى يعنينا هو أدب همنجواى .. كتاباته .. حصاده الفنى .. وعندما تمر عاصفة النقد الموجه اليه فسيجد الناس أنهم مدينون لهمنجواى بالكثير ... فلقد كان فى أغلب كتاباته كلاسيكياً كما كان له أثر بيرونى (نسبة لبيرون) رومانسى على معاصريه ، لم يظهر فى الأسلوب الأدبى فحسب ، وإنما تجلى كذلك فى الأسلوب العام والخاص .

ولقد تمكن همنجواى حتى قبل نشر كتابه «وداعاً أيها السلاح» من تعريف أسلوب للكلام ، بل أسلوب لحياة جيل كامل .. أسلوب استمر أثره على البعض الى يوم نشبت الحرب العالمية الثانية . وهمنجواى ، أكثر من غيره من رجال الأدب ، هو الذى قدم لشباب الثلاثينات ولجيل الحرب العالمية الثانية تعريفاً للحرب وحدد مكان الفرد فيها إن كان له ثمة مكان . ولسنا نتردد فى أن نقول إن همنجواى هو المسئول الأول عن تجرد أطراف النزاع فى الحرب العالمية الثانية من كل ملامح المثالية أو التأثر بالانفعالات . وكان أثر همنجواى أكثر انتشاراً من أثر بيرون ، لأنه بلغ مكانة أسطورية ، فتأثر به حتى من لم يقرأ له ، وتعلم قراؤه أيام الحرب العالمية الثانية



البرتو مورافيـــا .. من الذين تاثروا بهمنجـــواى



د. هـ. لورانس .. هل أثر فى كتاباته ؟



إليوت .. كان مثل همنجواى يفضل الاقامة فى أوربا



أثناء الحرب العالمية الثانية استطاع همنجواى أن يعلم الناس كيف يعيشون مع الكوارث

كيف يعيشون مع الكوارث .. بل ومنهم من تعلم كيف يموت معها .. فكان همنجواى بذلك واحداً من قلة استطاعت أن تعلم الناس درساً مباشراً .

لم يعتمد أثر همنجواى على مادة كتاباته ولا محتواها .. فقد سبقه كثيرون بالكتابة فيما طرق من مواضيع مثل مصارعة الثيران ، والرياضة والحرب ، والطفولة ، والدين ، والحب ، والموت . ولكن لم يكن لأى منهم ما كان له من أثر على الناس ... وكان أثر همنجواى يكمن فى أسلوبه فهو أول أمريكى منذ «مارك توين» غير لغة الأدب فى أمريكا تغييراً جذرياً .. ولكنه للأسف أثار حفيظة الكثيرين لأنه كثيراً ما لمح الى أنه الوحيد بين الكتاب الذى علم نفسه الكتابة

ولقد شغل نقاد همنجواى أنفسهم لفترة طويلة بالبحث عن العوامل التى أثرت فى أسلوبه .. وردوا اسم «مارك توين» ، «شروود أندرسون» و «إزرا باوند» و «فورد مادكس» وغيرهم ... أما همنجواي نفسه فقد اعترف دون تـردد بدينه «لمارك توين» . ثم إنه عزز رأى القائلين بانه تأثر بمن ذكرنا غير «مارك توين» لما بالغ والح فى انكار ونفى أثر هؤلاء الكتاب على أسلوبه . فالمفروض أن همنجواى استعار شخصيات الأميين البدائيين من «شروود أندرسون» الذى يمكن أن نلمح أثره جلياً فى رواية «رجلى العجوز» .

فموضوع سباق الخيل والاستعانة بغلام كراوية ، وجو الغموض الذى يسود الرواية توحى جميعا بأثر «أندرسون» على همنجواى .. والمفروض كذلك أن همنجواى تعلم من «جرترود ستاين» طريقة بناء الجمل والعبارات التى تربطها «واو الوصل» ، بدلا من الاستعانة بالطريقة التقليدية . ويقال إن «ستاين» علمته صنعة تكرار بعض الكلمات والأفكار ... وأنها بالاشتراك مع «باوند» و «فورد» علمته كيف يستبعد كل ما هو غير ضرورى أو غير لازم وكيف يستغنى عن استعمال الصفة والظرف والحال .

أسلوب ذو ثلاث طبقات

وواجب كل من يريد تقييم أثر أسلوب همنجواى أن يدخل فى حسابه أن عديداً من صغار الكتاب قد قلدوه ، فلابد إذن من تقييم الأسلوب قبل أن يرخصه هؤلاء المقلدون . ويجب على من يريد التقييم أن يذكر أن همنجواى ، وإن كان قد تأثر بغيره ، فان أسلوبه كان أصيلا لا يشوبه أي تقليد ، وأن هذا الأسلوب يمكن أن يوصف على نحو ما تصف الجيولوجيا طبقات الأرض ، بانه يتألف من ثلاث طبقات .. طبقة بكيرة ، وطبقة وسطى ، وطبقة متأخرة ، وإن كانت هذه الطبقات تتراكب حافاتها أحياناً .

أما أسلوب الطبقة البكيرة ، كما يتجلى فى «والشمس تشرق كذلك» فيتميز بقصر جمله التى تنطوى فى الغالب على إعلان حقيقة من الحقائق .. ويتميز بالبساطة وبعده عن اللاتينية .. وفيما عدا «رجلى العجوز» نجد أن قصص «فى عصرنا» تروى كلها بصيغة الغائب مع الاحتفاظ بسمة الموضوعية ، كما نجد الحوار فيها دراميا ساخراً فيه تكرار وإلتواء ...

ويضاف الى ما يتجسم أمامنا من ذكاء همنجواى ، روح دعابته وبعده عن المبالغة ، ويقظته وانتباهه الى الحقائق وما فى الحياة وفى سلوك الناس من تنوع .. وعندما يبلغ أسلوب هذه الطبقة البكيرة ذروته ، نجد أنه يولد آثاراً عاطفية تفوق فى عمقها تلك الوسائل القليلة التى يعتمد عليها المؤلف فى كتاباته .. على أن هذا الأسلوب يتدهور وينحط أحياناً كما هى الحال فى «اليوم هو يوم الجمعة» فيصبح أسلوباً عاطفياً زائفاً .

وأما أسلوب الطبقة الوسطى من كتابات همنجواى فله ميزات أسلوب الطبقة البكيرة إلا أنه أكثر مرونة وأطول باعاً وأوسع مدى .. استعمل الكاتب فيه الجمل الشرطية والعبارات التبعية بدلا من الاعتماد على الجمل التى تربطها واو العطف .. وهذا هو أسلوب رواية «وداعاً أيها السلاح» ، وأحسن ما جاء بعدها من

◀

همنجواي

علم نفسه الكتابة.. ثم أطلق على رأسه الرصاص!

قصص قصيرة مثل «حياة فرانسيس ماكومبر القصيرة السعيدة» .

وأسلوب أنطبقه المتأخرة الذى نراه فى «الموت بعد الظهر» فهو على نقيض سابقه .. مبالغ فى زينته ، طويل الجمل ، ثقل فى سخريته ، يستعمل لغة المتكلم وتغوص ناحيته الخيالية فى رمزية مجردة من كل رشاقة ... ولكن كتابات هذه المرحلة لا تخلو من فقرات أو صفحات ، أو حتى من فصول لا تقل جودة وحبكة عن أفضل ماكتب فى المراحل السابقة التى تتميز بنقائها .

ويمكن تعليل نجاح أسلوب همنجواي وشعبية صنعته ، بأنه قادر على أن يبرز خلاله ما يوهم القارىء بأن الأمور المعقدة التى تتعلق بالسلوك والضمير ، يمكن اختزالها الى عناصرها الأولية وترتيبها ثم السيطرة عليها . ويبدو أن همنجواى قد حذق هذه الطريقة وأتقنها الى حد الكمال .

وحقيقة الأمر هي أن اسلوب همنجواى ، فى بعض نواحيه ، محدود معيب ، ولكن العيوب مستورة بمهارة ، والحدود تبدو وكأنها مصادر قوة . وأسلوب همنجواى أسلوب معاصر دون أن يكون محلياً أو اقليمياً . وفى ذلك ما يعلل نضرته وجاذبيته . وهمنجواى يعتمد أبداً على الذاكرة بدلا من الاعتماد على التاريخ .. فهو يصور دنيا الحاضر المتفتح ولا يرسم دنيا الماضى حتى وإن تجلت مظاهر الماضى فى قصصه .. استمع اليه يقول :

«وركب أربعتنا عربة مفتوحة الى سان سيرو . وكان اليوم جميلا ، وسارت العربة خلال المتنزه وعلى محاذاة خط الترام الى خارج المدينة حيث كان الطريق كثير الغبار .. ومررنا بعدد من الفيلات تحوطها أسوار من حديد وحدائق مشحونة بالشجر وحفر مليئة بالماء ينساب منها ، وحدائق فيها الخضر والتراب يعلو أوراق الشجر ...» .

وهنا نجد أن «واو» العطف الوصفية تخلق سلسلة من الصور المرئية الواضحة دون أن تستطيع تحقيق أكثر من ذلك .

وداعاً أيها السلاح

ويؤخذ على همنجواى أن الرواة فى قصصه ، وخاصة «فريدرك هنرى» فى «وداعاً أيها السلاح» ، غير عاديين ، أو قل إنهم أهل بطولة ، يرغمهم الكاتب على سرد قصص بطولاتهم فينتهل بذلك أخلاقهم لأن الأبطال يعزفون عادة عن التحدث عن أعمالهم البطولية . وكان همنجواى يدرك هذا العيب ويحاول التغلب على هذه الصعوبة بصبغ أعمال هذه الشخصيات بشىء من الفكاهة والميل الى عدم المبالغة ، ولكن ذلك لم يشفع لهم أو يخفف من امتعاض القارىء مما يتفاخرون به من علم لا تحده حدود وخبرة ثقيلة للغاية .. خذ مثل هنرى .. تجد أنه يعرف كل شىء عن السلاح وهو خبير بأنواع النبيذ والطعام ، يعرف المدن وفن العمارة والرسم واللغات والجراحة والتكتيك الحربي والاستراتيجية والخيل ، ويعرف حتى سواحل بحيرة ماجيورى .. ونتيجة ذلك ؟ موسوعة .. شخصية لا تطاق .. ولا تحتمل .. ومع ذلك نجد أن القارىء لا يبرم بهمنجواى نفسه .. لأنه يحتفظ بتعاطف القارىء بسبب اتقانه لفن الحوار .. فحوار همنجواى واقعى .. ورام .. يعكس رأياً أو أكثر عن موضوع بالذات أو عن الحياة كلها .. وهو مليء بالاشارات والايحاء والايماء والالتواء .. متأرجح فيه إيجاز وبلاغة غير البلاغة التقليدية المألوفة .

والآراء التى تجمع على مدح حوار همنجواى وإطرائه ، تختلف وتتضارب فيما يتعلق بالنواحى الأخرى من أدبه .. ومرجع هذا الخلاف والتضارب هو التخبط فى تحديد الهدف الذى يرمى إليه همنجواى ، أو تعريف ما كان يريد تحقيقه ، والمادة التى كان يريد تقديمها .

ولعل « ويندام لويس » نطق بلسان غيره من النقاد أو عبر عن أرائهم في مقال له بغيض عنوانه « الثور الأخرس : دراسة لأرنست همنجواى» سخر فيه من طريقة اختيار همنجواى لشخصياته ، لأنه اعتبرهم «مجردين من كل عزيمة» وأنهم «سلبيون» وأنهم «نهب للأحداث» .. وجاء بعده «جون بيل بشوب» وقال عن شخصيات همنجواى :

«ولأنهم مجردون من كل إرادة أو عزيمة دون أن يعوزهم الذكاء ، نجد أن رجال همنجواى ونساءه مجردون من كل كيان روحى . فدنياهم تعاصر الحرب وما أعقبها من فوضى واضطراب ، وهى دنيا مجردة من كل القيم «التقليدية»» ..

ومن الواضح أن هذا التعليق صادر عن شخص صلف يحتقر نوعاً معيناً من الشخصيات ونوعاً خاصاً من الآدميين سواء أكانوا من الملاكمين أو من رجال العصابات أو الجنود أو مصارعي الثيران .. ولكن من ذا الذى يقول إن هؤلاء غير جديرين باهتمام الكتاب ؟

جوانب لاتخلو من الغرابة

ونعود إلى الوجه الثاني من نقد «ويندام لويس» وما ذهب إليه من أن شخصيات همنجواي مجردة من كل إرادة أو عزيمة ، ونقف لحظة عند شخصية « جيك بارنز » وهو بطل مسيحي يناهض معايير السلوك فى عصره ، ويقيس السلوك ويحكم عليه ، وهو موضع احترام الناس واعجابهم ، بل ومنهم من يتبعه ... وهذه الصفات ذاتها تتجلى بوضوح أكثر فى شخصية « فريدرك هنري » بطل « وداعاً أيها السلاح » ... والحوار بينه وبين القس فى هذه الرواية يشير إلى إلمام تام بتعاليم المسيحية ، وهمنجواي يصور الحرب بطريقة تجعلها وحشية بشعة مجردة من كل انسانية ، وفرار هنرى من الجندية كان بمحض ارادته ، ولحرصه على الاحتفاظ باحترام نفسه .

ولسنا من بين من يقولون بأن الناحية الدينية فى كيان همنجواي وتكوينه الأخلاقي كانت من بين العوامل التى جعلته كاتباً مجيداً .. ولكن هذه الناحية تعين على تفسير ما ظنه بعض النقاد قوة رمزية فى كتاباته ، وبيان أنها فى الواقع قوة روحية شبه دينية ، وهى القوة التى تعينه على خلق ما نلمس فى كتاباته من بساطة وما لها من جاذبية عالمية .

ومن دواعي فخر همنجواي أنه أول

أديب غير أسباني استطاع أن يدرك وأن يسجل بما له من سلطة ونفوذ أدبي ، أن مصارعة الثيران ليست رياضة بدنية فى ذاتها ، ولا هي لعبة من ألعاب السيرك ، ولكنها فن أصيل خالص . وأهم من ذلك أن همنجواي أدرك ما بين مصارعة الثيران وبين النثر الخيالي من علاقة ، فكتب عن المصارعة ما رآه بعين خياله ، فكان في كتابته مقنعاً للغاية . ويعتبر كتابه « الموت بعد الظهر » دليلا يهدى القاريء إلى خبايا مصارعة الثيران ، ولقد وجد همنجواي بوصفه كاتباً يهتم بالحاضر دون الماضى ، فى مصارعة الثيران هدفاً يدعو لاهتمامه . فمصارعة الثران مادة طبيعية لكاتب يهتم بالناس وهم يواجهون مواقف بالغة التطرف تحت تهديد العنف ويرى كرامة الفرد وراحة نفسه حين يحسن الأداء وهو فى موقف بالغ الخطورة .. وهو يرى أن مصارع الثيران كالكاتب ، يخلق كياناً لم يكن له وجود قبل أن يبدأ عمله .. وأنه يتمكن بما له من مواهب وقدرة على ضبط النفس ، من التحكم فى نفسه وان يتحكم فى الثور عن هذا الطريق ، وبذا يجمع كل هذه العناصر .. طقوس المصارعة .. والثور .. وهو نفسه ، فى واقع جديد .

هناك ناحية من نواحى أثر همنجواى الأدبى لا تخلو من غرابة .. فالملاحظ هو ان همنجواى كان له كبير الأثر على الكثير من الكتاب الامريكيين غير النابهين ، بينما كان له أثر واضح فى كتابات عدد من كبار الكتاب الانجليز من أمثال جريهام جرين وكرستوفر أشروود ، وعلى المؤلفات الأولى لألدس هكسلى .. وأغرب من ذلك ، على دى . إيتش لورانس نفسه . وكان لهمنجواى فى فرنسا أثر على بريفوست وكامو وسارتر .. ويقال كذلك ان همنجواى هو المسئول عن البساطة النسبية التى تتميز بها كتابات بعض أدباء المانيا مثل وولف جانج وهيندرك بل ، ومولر وسجفريد سومر .. ولم ينج كتاب إيطاليا من أثر همنجواى الذى يظهر فى كتابات اليوفتورينى ، وجوزبى برتو والبرتو مورافيا .

ولن يفوتنا فى هذا المجال أن نشير إلى أثر همنجواى على الكاتب الفرنسى هنرى دى مونترلان حتى ان هذا الكاتب كان يلقب باسم همنجواى الفرنسى رغم أنه كان يحتقر كل من يسميه بهذا الاسم .

• • •

إرنست ملر همنجواى ، هذا الروائي الامريكى ، كاتب القصص القصيرة ، والذى تميز بأسلوب رائق بارع الايجاز ، ولد فى «أوك بارك» بولاية إيلينوى ، فى اليوم الحادى والعشرين من شهر يوليه ١٨٩٩ .. ولم يتعد تعليمه المرحلة الثانوية ، ولكنه فاز بجائزة نوبل للأدب فى عام ١٩٥٤ .

بدأ هذا الأديب حياته صحفياً صغيراً يراسل صحيفة «كانساس سيتى ستار» ، فلما نشبت الحرب العالمية الأولى التحق بوحدة الاسعاف من فرقة المشاة فى ايطاليا . وفى ليلة الثامن من شهر يوليه ١٩١٨ ، أصابته شظية من قنبلة قرب قرية بياف فى شمال ايطاليا وجرحته جرحاً بليغاً دون أن تقتله . وبعد فترة نقاهة فى ميلان ، عاد إلى مدينة شيكاغو يمارس الصحافة ثانية إلى أن أبحر إلى فرنسا يوم ٨ ديسمبر ١٩٢١ وعمل مراسلا من الخارج لصحيفة «تورنتو ستار» . وعاش بعد ذلك خمس سنوات فى شظف من العيش يمارس الصحافة فى فرنسا واسبانيا وسويسرا والمانيا واليونان .

فى عام ١٩٢٣ نشر همنجواى ثلاث قصص وعشر قصائد ، وفي ١٩٢٤ صدرت فى باريس رواية «فى عصرنا» ، فكان ذلك مشجعاً على نشرها فى نيويورك (١٩٢٥) وأصاب همنجواى أول نجاح لما نشرت له رواية «والشمس تشرق كذلك» فى عام ١٩٢٦ ، نشر بعدها مجموعتين من قصصه القصيرة رسخت بعدهما قدمه واحتل مكانته كاحد كبار الكتاب . أما الرواية التى أكدت سمعته كروائى من الصف الأول فهى «وداعاً أيها السلاح» التى نشرت عام ١٩٢٩ وهى مأساة ضابط أمريكى وممرضة بريطانية وقعت أحداثها فى ايطاليا وسويسرا المحايدة أثناء الحرب .. وانصرف همنجواى بعد ذلك إلى الكتابة عن مصارعة الثيران « الموت بعد الظهر» (١٩٣٢) ، وقضى فى ذلك عشر سنوات .

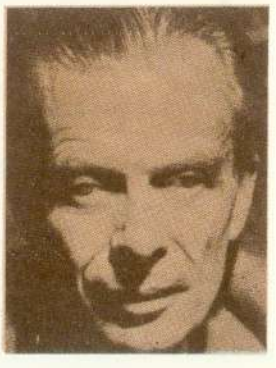
فلما نشبت الحرب الأهلية فى أسبانيا اهتم همنجواى بأمرها اهتماماً شديداً وكتب فيها قصته المشهورة التى ظهرت على الشاشة البيضاء «لمن تدق الأجراس» (١٩٤٠) وتعتبر أعظم رواياته . وهي تروى قصة أمريكى متطوع ينضم إلى احدى العصابات وراء خطوط الثوار .. وتصور القصة كيف خذلت القوات الفاشية الشعب الاسبانى ، كما خذلته العناصر الرجعية فى اسبانيا نفسها .

ولقد أثنت اللجنة التى تقرر منح جائزة نوبل على فن همنجواى القوى وسيطرته على طريقة القصص الحديثة وقدرته النادرة على بناء هياكل من الرمزية الطبيعية .

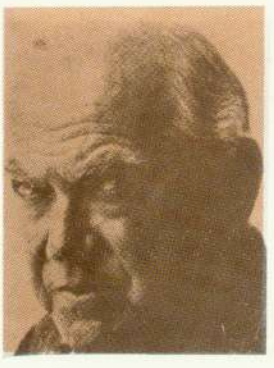
ومات همنجواى ، الذى صمد للقنابل ، فى داره فى «كتشوم» بولاية «أيداهو» يوم ٢ يوليه ١٩٦١ من أثر جرح سببته رصاصة أطلقها على نفسه .. وخسر الأدب وخسرت القصة وخسرت الرواية بموته كاتباً فحلا .

جمال الكنانى

ألدوس هكسلى .. الأثر واضح فى مؤلفاته الأولى

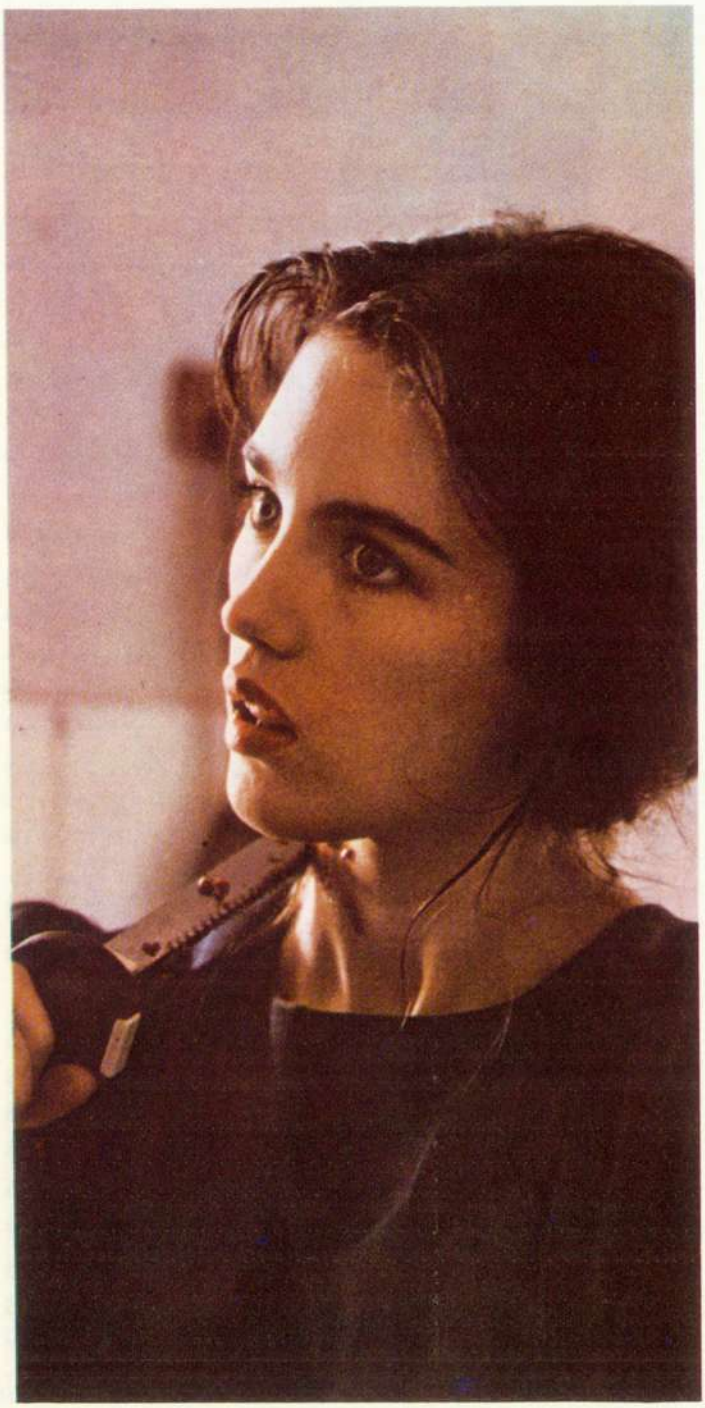


جراهام جرين .. كان أثر الأديب على كتاباته واضحاً



وليم فوكنر .. يراه الكثيرون احق بالقمة





السكين على العنق .. حالة من حالات العنف ، تقوم بهـــا الممثلة « ايزابيل أدجانى » فى فيلم امتلاك

ماتبقى من سينما عام ١٩٨١

شهادة على عصر دموي

بقلم : رءوف توفيق

لم يشهد العالم حالة من العنف والارهاب ، مثلما يحدث الآن ، فيما يشبه الأعصار الرهيب الذى يطحن كل شيء أمامه ! .

أصبح الرصاص هو اللغة السائدة .. والدم هو الطعام اليومي !!

ومنذ سنوات قليلة .. كانت حادثة عنف واحدة ، من الممكن أن تهز العالم من أقصاه إلى أقصاه ، وتسجلها وكالات الأنباء على أن شيئاً خطيراً قد حدث .!

أما الآن .. فان اليوم الذى يمر دون حادثة عنف .. يعتبر يوماً فريداً !!

وامتد العنف من دائرة اللصوص والسفاحين فى جرائمهم المعروفة .. إلى دائـرة المعارضيـــن والمتطرفيـــن فى السياسة . !

وشمل العنف العالم كله ، وكأنه وباء سريع الانتشار !

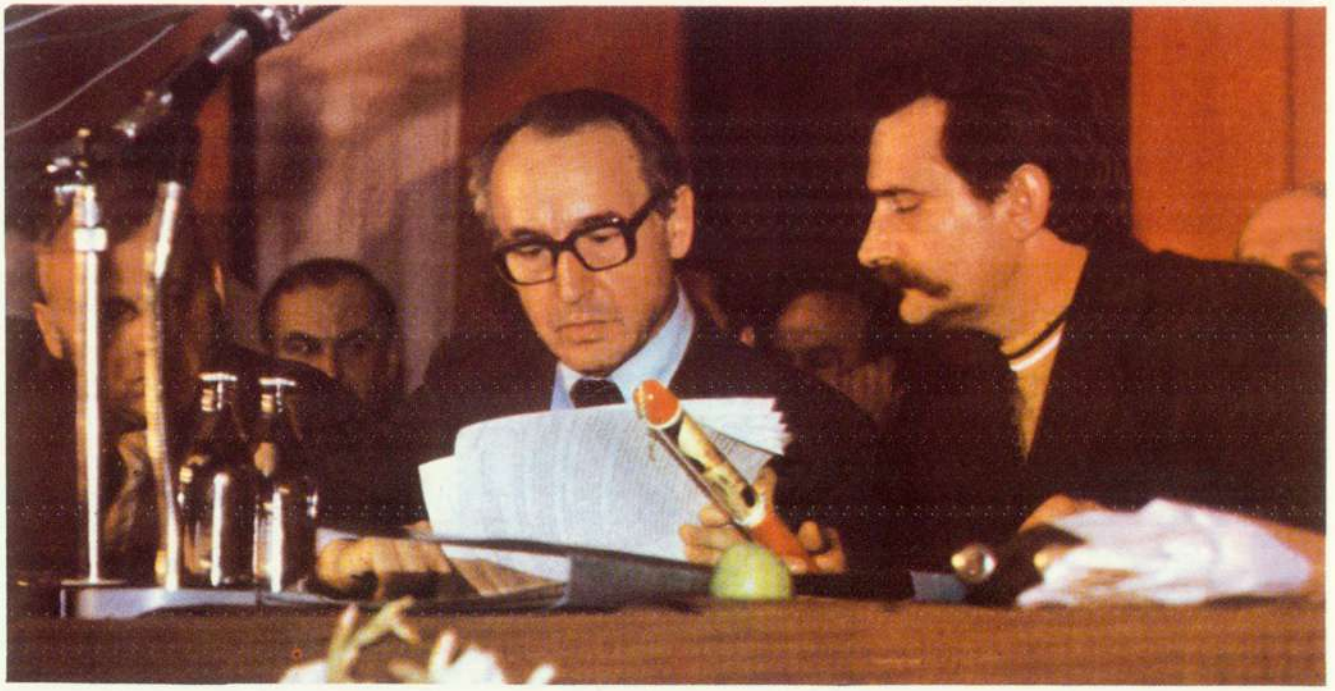
وسجلت الشاشة العالمية هذا العنف .. بمزيد من العنف !

وتبارت الأفلام لتأكيد المعنى الدموى!

وقد كانت كل الظواهر السينمائية ، تشير خلال الأعوام الماضية ، إلى أن ظاهرة العنف فى الأفلام ، تنمو وتتسع بطريقة سرطانية .. وكانت التوقعات أيامها تتنبأ بأن هذه النوعية من الأفلام لن يستمر الحماس لها ـ من المشاهدين



الصورة العليا .. لقطة من الفيلم البولندى « رجل من حديد » حيث يقوم أحد الممثلين بدور زعيم العمال أثناء توقيع الاتفاقية مع الحكومة ..
والصورة السفلى لنفس اللقطة .. ولكن فى الحقيقة وكما حدثت بالفعل



وبالتالي من المنتجين ـ ... وأنها مجرد موجة لاتلبث وأن تأخذ مداها وتنتهي .. ولهذا أسرعوا وتنافسوا فى انتاج الأفلام المليئة بالعنف ، حتى يستفيدوا منها أقصى استفادة !

ولكن الموجة لم تنته .. بل ازدادت وأخذت أشكالا مختلفة .. لا لسبب إلا أن الواقع اليومي لأحداث العالم أصبح واقعاً أكثر عنفاً وشراسة !

وهكذا استمد صناع السينما مبرر الاستمرار لأفلام العنف .

البعض يحاول أن يحلل ما جـــرى للعالم بهدوء وحكمة .. والبعض يستفيد من دم الواقع ، ليسفك مزيداً من الدماء على الشاشة فى تلذذ غريب ، وهوس شاذ ، أقرب ما يكون إلى المرض النفسي ! وبجانب أفلام العنف .. ظهرت أفلام تعكس حالة الضياع والتمزق الحاد عند الشباب ...

وأفلام أخرى من داخل المناطق الملتهبة فى العالم ، تدلي بشهادتها حول ما يجرى فى بلادها !

وهكذا .. فان المتأمل لخريطة السينما فى عام ٨١ .. يكتشف أنه أمام خريطة اجتماعية وسياسية ـ متفاوتة التعبير ـ عن نبض أيام مشحونة بالقلق والتوتر !

فى الأسابيع الأخيرة من عام ٨١ ..

شهادة على عصر دموي



• للسدس فى اليد دائما .. فى الفيلم الأمريكى « شوارع العنف »

بدأ عرض فيلم «المزيف» للمخرج الألمانى العبقرى «فولكر شلندروف» الذى أذهل العالم بفيلمه السابق «الطبلة» .

هاهو يقود أبطال فيلمه الجديد «المزيف» داخل بيروت التى هدمتها الحرب الأهلية .. من خلال قصة هذا الصحفي الألماني الذى يعتبر من أحسن المحققين الصحفيين فى ألمانيا (يلعب الدور الممثل الألماني برونو جانز) والذى جاءته فرصة السفر لتغطية الحرب اللبنانية .. فيترك زوجته وحياته الجافة الباردة ، ليلقى بنفسه داخل بيروت .. وتتحول عينا رأسه الى كاميرا دقيقة ومراقبة لكل ما يجرى فى الشوارع ، وبين الحواجز والمتاريس ، وخلف الجدران المهدمة .. ويكتشف أن الحياة تنمو جنباً الى جنب مع الموت والخراب .. فالأطفال يذهبون الى مدارسهم والشوارع تنبض بالحياة العادية .. بينما القناصة فى الأطراف المتحاربة ، يتبادلون الرصاص والقتل والدمار . ! ويقع الصحفي فى علاقة عاطفية مع امرأة متزوجة .. ويحاول أن يكتشف حقيقة ما يجرى فى داخله .. وأيضاً ما يجرى على أرض المعركة فى لبنان ..

ويكتب مقالا عن الزيف الذى أصبح حقيقة يومية ، يتعامل معها الناس وكأنها هي الحقيقة الأصلية . فما يراه بين أطراف القتال فى لبنان ، انهم يحاربون بتناسق وطبيعية تدعو للحيرة والدهشة .. فهم يرتدون نفس الأقنعة ، ويستخدمون نفس الأسلحة ، وفى جميع الأحوال يستخدمون نفس أساليب العنف .. فعندما تقع مذبحة فى إحدى المعسكرات ، يكون رد الفعل .. هو مذبحة بنفس الشكل والأسلوب فى المعسكر المعادى .. وهذا النموذج ـ كما يقول الصحفي ـ يصور حالة الزيف فى هذه الحرب . !

وعندما ينشر الصحفي مقاله .. تثور حوله الاعتراضات ويتهمونه بالكذب والخداع .. ولكنه يدافع عن نفسه وعن منطقه ، وكيف أن مايراه هو مزيفاً ، يراه الآخرون على أنها الحقيقة .. ويقول :

« إن ما يثير ضيقى وحزنى ليست هي الحياة التى أحياها .. ذلك لأنى مازلت غير قادر على استيعابها .. رغم اعتقادى القوى بأن هذه الحياة المزيفة هى الحياة الحقيقة » . !

وهكذا يربط المخرج الألماني «شولندورف» بين التمزق الداخلي لهذا الانسان .. والتمزق الداخلى فى لبنان .

وهذه النظرة الفلسفية يطرحها الفيلم من داخل بانوراما هائلة ومليئة بالتفاصيل عن الحياة والموت فى لبنان .. أو بمعنى أدق عن الحياة والموت فى هذا العالم التعس !

ايطاليا والارهاب

ومن داخل ايطاليا .. قدم لنا اثنان من أكبر مخرجى السينما الايطالية .. فيلمين عن الارهاب ومنظمات القتل والخطف التى ترفع شعارات سياسية .. وهى الظاهرة التى تنوء ايطاليا بآلامها ومآسيها اليومية المتكررة فى شراسة !

المخرج الايطالى المرموق «فرانشيسكو روزى» يقدم فيلم «الأخوة الثلاثة» ليحكي ٢٤ ساعة فى حياة أسرة بجنوب ايطاليا ، تفرق أبناؤها كل واحد فى مهنة ، وكل واحد فى بلد .. وكل واحد فى مشكلته :

الابن القاضى مع مشكلة الارهاب .. يحقق قضاياه .ويطاردونه بالاغتيال اذا استمر فى نظر هذه القضايا !

الابن العامل ومشكلته مع ادارة المصنع .. وحيث لا يجد وسيلة للاحتجاج سوى الاضرابات والعنف .. ولكن لا يدرى متى يتحقق الهدف سريعاً .

الابن الثالث .. المدرس فى اصلاحية الأحداث ، والذى تشغله فكرة ان العالم لكى يتم انقاذه ، يجب أن يبحث عن إلهام روحى ، وقلب جديد وإلا جاء السقوط مدوياً ورهيباً !

هؤلاء الأبناء الثلاثة (الذين يمثلون مشاكل ايطاليا المثارة حالياً) يجتمعون فى بيت العائلة ، تلبية لبرقية وصلتهم من والدهم العجوز (لعب الدور الممثل البارع شارلز فانيل) يبلغهم فيها بوفاة أمهم .. وها هم يلتقون معاً بعد غيبة طويلة .. وفى البيت الذى شهد طفولتهم وصباهم .. ومع جثمان الأم التى كانت تمثل لهم الحب والحنان .. كل منهم الآن يحكى مشكلته ويفضفض عن همومه .. حتى تأتى لحظة الوداع ، وتشييع جثمان الأم .. لينفجر كل منهم فى بكاء مرير ..

إنهم فى الحقيقة يبكون أمهم .. ويبكون أيضاً أنفسهم !

ويعود الأخوة الثلاثة إلى دنياهم .. وهمومهم .. بعد أن استخلص المخرج من خلالهم ـ وبأسلوب فني يشع بالعذوبة والانسانية والجمال ـ أهم القضايا التى تشغل ايطاليا اليوم .. وربما أخطرها قضية الارهاب .. حتى أنه يكاد يكون أول مخرج ايطالي يجرؤ على طرح هذا الموضوع الملتهب للنقاش !! .

وعندما سألوه فى حوار صحفي : لماذا تأخر كثيراً فى اثارة هذا الموضوع .. بينما الارهاب يعشش فى ايطاليا منذ أكثر من عشر سنوات.؟!

أجاب المخرج « فرانشيسكو روزى » بمرارة واضحة :

« هل تظنون أنه من السهل صنع فيلم عن مأساة الارهاب ؟! .. لقد فكرت فى هذا طويلا .. ودائماً ماكنت أشعر بأن هناك شيئاً ناقصاً .. وقد كان من الممكن أن أصنع هذه الأفلام من وجهة نظر المشاهدين .. ولكن لكي أقول لهم ماذا ؟ .. كيف يمكنني أن أحكي قصصاً للجمهور .. بينما أنا شخصياً لا أفهم قواعد اللعبة الدائرة».؟!

مأساة رجل أحمق

ومن ايطاليا أيضاً .. يقدم المخرج «برناردو برتولوتشي» فيلماً عن جانب آخر من القلق الذى تعيشه ايطاليا حالياً .. وهو الاختطاف والمطالبة بفدية كبيرة .. والضحية هنا فى قصة الفيلم .. رجل من الطبقة المتوسطة استطاع بجهده أن يبنى مصنعاً لمنتجات الألبان ، وأن يعيش حياة مترفة .. وهذا الرجل له ابن وحيد ، ويفاجأ باختطافه عن طريق منظمة تسعى للحصول على الأموال لزيادة مواردها وتدعيم خططها .

ويعكس الفيلم ماجرى للأب (أوجو تونيازى) والأم (أنوك ايميه) وحالة الرعب والقلق التى انتابتهما .. وكيف بدأ الأب يرهن المصنع ويبيع ما يستطيع منه ، لكي يجمع النقود المطلوبة كفدية لابنه المخطوف .. ويعود الابن ، لنكتشف أنه عضو فى هذه المنظمة وأنه مشترك معهم فى هذه اللعبة السخيفة !

ويقدم لنا المخرج حالة الفوضى والارتباك الفكرى والاخلاقي بين أعضاء تلك المنظمة وكلهم من الشباب .. فى محاولة لادانة هذا الاسلوب الذى تفشى فى ايطاليا .

ورغم أن الفيلم لم يأت على المستوى المأمول من المخرج « برتولوتشي » .. إلا أنه تجرأ ودخل المنطقة المحظورة ، ليتحدث عن الارهاب .. ويحصل الممثل « أوجو تونيازى » على جائزة أحسن ممثل فى مهرجان كان ٨١ .

شباب أوربا والأزمة

وعن الضغوط التى يعاني منها الشباب الأوربي .. قدم المخرج الانجليزى (كين لواش) فيلم « نظرات وابتسامات » عن مشكلة البطالة فى انجلترا من خلال قصة شابين أحدهما التحق بالجيش هرباً من البطالة .. والآخر حاول أن يعمل فى أية وظيفة ولم يستطع .. وأصبح عليه إما أن يقف فى طابور الحصول على اعانة بطالة .. أو أن يلتحق بالجيش ، وهذا ما لايحبه ! .. ولكن هل هناك اختيار فى ظل هذه الظروف الاجتماعية الشديدة القسوة ، والتى يعرضها الفيلم بجرأة وصدق .

يقول المخرج الانجليزى « كين لواش » عن شخصيات فيلمه :

« انهم شباب فى عمر ١٧ .. كلهم حيوية وحماس وتفاؤل .. إنهم نتاج مجتمع غربي صناعي .. ولديهم الكثير ليقدموه للعالم .. ولكن ماذا لدى العالم ليقدمه لهم » . !

● ومن المانيا الاتحادية .. يأتي فيلم « مدينة اليأس » كأول فيلم يخرجه الممثل الألماني « فاديم جلوفنا » ليقدم مأساة الشباب فى مدينة ألمانية .. حيث لا أمل .. ولا مستقبل .. ولا طريق للهروب .. وهناك حلم يترنح بين الحين والآخر بين بطلي الفيلم وهما شاب وفتاة فى العشرينات ، إنه ربما تكون هناك فرصة للهجرة إلى أمريكا .. ولكن يتبدد الحلم .. فليس هناك مكان فاضل يستطيع أن يقدم الحب والفهم للشباب...

والفيلم ليس به قصة لها بداية ونهاية .. ولكنه صرخة مستمرة ، ورحلة معاناة مع بطلي الفيلم وهما يحاولان أن يجدا مبرراً للحياة .. فكل ما حولهما يلفظهما ، ويطاردهما .. الأهل يفرضون عليهما أسلوبا لا يقبلاه .. والعمل يضعهما فى قوالب يرفضانها .. والمدينة تلتهم كل شيء بسرعة .. ولا تدع فرصة للتأمل والخلاص .. وفى النهاية يأتى الضياع والتمزق واليأس .. ويصبح الحب مستحيلا ! .

● ومن ألمانيا الاتحادية أيضاً .. يأتي فيلم « كريستيان . ف . » من اخراج «أيرلش أيدل » لينقل على الشاشة قصة حقيقية نشرتها فى مسلسل مجلة «شتيرن» الألمانية .. عن اعترافات فتاة



بعض أفراد منظمة الاختطاف فى فيلم « مأساة رجل أحمق » .

شهادة على عصر دموي



حوار حول الارهاب بين القاضي وأخيه العامل في فيلم « الأخوة الثلاث »



القناصة في بيروت .. لقطة من فيلم المزيف



الضياع والتمزق كما تجسده هذه الالمانية في فيلم « مدينة الياس » .

بدأت تدخل عالم المخدرات في سن ١٢ عاماً .. ثم أدمنت وانحرفت لتنفق على شراء المخدرات !!

وأبشع ما يقدمه هذا الفيلم هو رؤية طفلة تفقد أجمل سنوات البراءة والنقاء، نتيجة ظروف عائلية مرتبكة .. وفي مجتمع لا يرحم .. وبين جموع مراهقين وشباب لا عزاء لهم إلا المخدرات . !!

رجل من حديد

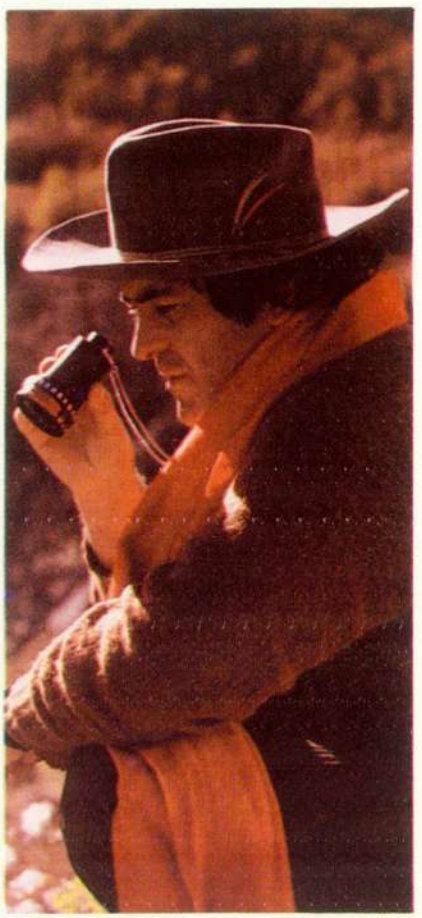
ومن واقع حركة العمال في بولندا .. التي كانت ، ومازالت ، تشغل اهتمام العالم كله .. يقدم أكبر مخرجي السينما البولندية « أندريه فايدا » فيلمه « رجل من حديد » ليصبح هذا الفيلم أحد أهم أفلام عام ١٩٨١م .. وليسجل على خريطة السينما العالمية .. يقظة وجرأة السينما البولندية التي قدمت خلال عام ٨١ عدداً من الأفلام الهامة عن جذور الاحتجاج والمقاومة في تاريخ بولندا .

وفيلم « رجل من حديد » يعود إلى بدايات احتكاك العمال مع السلطة البولندية منذ أحداث ٦٨ ثم صدامات عام ٧٠ وعام ٧٦ .. لتتوج في النهاية ، باتحاد العمال في حركة التضامن عام ١٩٨٠م .

والمخرج « فايدا » يؤكد في فيلمه .. على أن حركة العمال ، حركة وطنية ، وأن شهداء معارك العمال مع السلطة طوال هذه الأعوام .. كانوا بمثابة القوة الملهمة للاستمرار والصلابة .

وأثار الفيلم اهتماماً عالمياً بالغاً .. وقد علق المخرج « فايدا » على التساؤلات التي ترددت حول مدى الاستفادة بالحقائق الكاملة لما حدث في بولندا ، أثناء اخراج هذا الفيلم ؟ .

قال المخرج بتواضع شديد وثقة : « أعتقد أن الانسان لا يستطيع أن يقدم الحقيقة كاملة في أي عمل يعتمد على الفن .. فهي مسألة احداث أو وقائع تاريخية .. نستخدم فيها الصور والوثائق والاعترافات والأدلة .. وبفضل كل تلك المصادر نستطيع الاقتراب من الحقيقة .. وقد ركزت كل جهدي في ذلك الاتجاه .. وبقدر المستطاع استخدمنا صوراً فوتوغرافية للوثائق الأصلية والأفلام والشرائط المسجلة ، بالاضافة إلى أننا كنا مبهورين بهذه الشخصيات الأصيلة الصادقة ، التي صنعت







المخرج « براتولوتشى » والممثلة « أنوك ايميه » والممثل « أوجو توجمازى » وفيلم « ماساة رجل أحمق »

الأحداث وخلدها التاريخ .. وكل ما صنعناه أننا حاولنا اعادة تقديم هذه الشخصيات » . !

وثيقة فنية خطيرة

وشهد عام ٨١ .. وثيقة فنية خطيرة .. سجلها المخرج الأمريكي الكبير « جون هيستون » عام ١٩٤٥ .. وظلت هذه الوثيقة موقوفة عن العرض منذ ذلك التاريخ ، بأمر من وزارة الدفاع الأمريكية .. حتى تم الافراج عنها فى بداية ٨١ ..

وهذه الوثيقة الفنية .. عبارة عن فيلم تسجيلي مدته ساعة بعنوان « ليكن هناك ضوء » .. أخرجه جون هيستون من خلال المستشفيات الأمريكية العسكرية والتى استقبلت الجنود الأمريكيين الذين اشتركوا فى الحرب العالمية الثانية ، وأصابتهم الحرب بصدمات نفسية وعصبية عنيفة .

والفيلم يتابع دخول نماذج من هؤلاء الجنود ، بداية من الفحص الطبي لاقرار مدى الاصابة ، ونهاية بعودتهم إلى حالتهم الطبيعية . !

وبراعة ذلك الفيلم ـ وقسوته أيضاً ـ انه يقدم الحقيقة الكاملة الرهيبة على بشاعة الحرب ومافعلته فى هؤلاء الجنود

الذين فقدوا النطق والسمع .. أو أصابت أجسادهم ارتعاشة دائمة .. أو عدم القدرة على الحركة .. أو النوم .. واحساسهم الدائم بالفزع .

ويعتمد الفيلم على مادة واقعية تنبض فى كل لحظة من مدة عرض الفيلم بهذه الآلام الانسانية المروعة ، والعذابات التى تفصح عنها عيون الجنود والتى استطاعت كاميرات دقيقة موضوعة فى زوايا مدروسة بعناية شديدة ، أن تلتقط أدق التفاصيل والمشاعر .. ليؤكد بها المخرج العبقري ، نداءه الذى اختاره عنواناً للفيلم « ليكن هناك ضوء » !

إن مئات الأفلام التى شهدتها دور العرض خلال عام ٨١ .. وهذه الأنهار المتدفقة من الدم ، على شاشات السينما .. وهذه العواصف المدوية بطلقات الرصاص ، والصراخ والأنين ، والتى جسدتها مكبرات الصوت ..

هذا المخزون الهائل من الألم .. والخوف .. والضياع ..

هذا الايقاع المجنون للحياة .. وسقوط القيم والأخلاق .. وتبدد الأحلام والآمال .. ليس إلا شهادة سينمائية حزينة على عصر مرتبك .. دموى ..

وقراءة سريعة لأهم الأحداث الواقعية التى شغلت العالم فى ٨١ .. تجعلنا نقول إن السينما العالمية لم تبالغ فى شهادتها .. بل لم تقل كل الحقيقة !

ويبقى الأمل فى عام جديد .. أكثر استقراراً وهدوءاً ..

وأفلام جديدة .. أقل عنفاً ومرارة ! .

رءوف توفيـــق

حركة العاصفة والاندفاع في الأدب الألماني

بقلم الدكتور عدنان رشيد

● يتميز الأدب الألمانى بملامح خاصة وفريدة تميزه عن الآداب الأوربية الأخرى وذلك لتاريخه الحافل بالكفاح المرير الذى خاضه هذا الأدب والمراحل التى تمخض عنها حتى استطاع فى منتصف القرن الثامن عشر وضع اللبنات الأولى لصرح الأدب القومى فى ألمانيا ●

تعتبر حركة العاصفة والاندفاع ثورة ادبية عصفت بالكتاب الشباب عام ١٧٧٠ ، وكان هدفها تقويض الاقطاع واطلاق الحرية الفكرية للكتاب والمفكرين وتحقيق التحرر السياسى والاقتصادى للطبقة البرجوازية لكى تاخذ مكانها فى مسيرة التطور وتحل محل الاقطاع .

وقد طالب الكتاب فى هذه المرحلة بالتحرر من التبعية الاقتصادية للاقطاعيين الذين كانوا يرتبطون بعلاقات قوية مع الكنيسة كما طالب الكتاب الشباب فى كتاباتهم بالتحرر من سيطرة الكنيسة على الحياة الفكرية ، وقد وصل هذا التطور ذروته عام ١٧٥٠ عندما ظهر كلوبشتوك ولسنغ .

عكس كلوبشتوك فى قصائده التى نشرها آنذاك الروح العاطفية التى تعبر عن القلب الانسانى ومشاعر الحرية والصداقة وحب الطبيعة والوطن .

واعلن لأول مرة بأن المسيحية جزء من المشاعر النفسية ، كما أن الشاعر لم يعد بعد الآن مجرد واعظ للمثل الأخلاقية

كلوبشتوك لم يجد فى المانيا جمهوراً يتفهم افكاره وكان لسنغ فى ذلك الوقت احد دعاة التحرر من سيطرة الكنيسة ونادى بشعارات وطنية تنطوى على مفاهيم ومثل اخلاقية وتقدمية .

إن العاصفة والاندفاع مدينة فى نشأتها وتطورها الى المفكرين الانجليز والفرنسيين لاسيما فيما يخص المشاكل التى عالجوها،منها الاهتمام بالشعر الشعبى والأدب القومى .

وقد حدثت فى انجلترا ثورة هزت المجتمع واعترفت بمبادىء العقل والحكمة . وقد اثر هوم وغيره من مفكرى عصر التنوير الانجليزى وكذلك فولتير وروسو وغيره من مفكرى عصر التنوير الفرنسى على مسار حركة العاصفة والاندفاع وعلى تفكير ممثليها مثل هردر ، وجوته ولنز وهامان وفاكنر ومالر مولر .

كان تاثير الفيلسوف الفرنسى جان جاك روسو كبيراً على ممثلى حركة العاصفة والاندفاع لاسيما فى دعوته «العودة الى الطبيعة» والتخلى عن الحضارة الشكلية التى افسدت اخلاق الانسان .

وقد اثارت مؤلفات روسو عام ١٧٥٠ ضجة كبيرة بين اوساط المفكرين الالمان آنذاك .

وادركت البورجوازية الالمانية المغزى البعيد لدعوة روسو فى العودة الى الطبيعة فى اقامة مجتمع متحرر ويعتمد على اساس العقل وان يتحرر من السيطرة الاقطاعية ، اما الطبيعة فكانت تعنى عند روسو مناهضة الاقطاع واشاعة العدل الاجتماعى .

لقد دعت العاصفة والاندفاع الى ضرورة إضفاء الطابع الألمانى على الأدب والفن وعدم الاعتماد على التاثير الفرنسى والانجليزى كما استهدفت دعوة ممثلى العاصفة والاندفاع نسف مصالح الاقطاعيين الذين كانوا يحكمون المانيا من خلال دويلات صغيرة لم يكن يوجد ما يشابهها فى اوربا . وكان يوجد فى قصور هؤلاء اجانب من دول عديدة لم تربطهم اية رابطة قومية مع القومية الألمانية او مصلحتها العامة ، وكان هؤلاء يعادون بتصرفاتهم المصالح الوطنية الألمانية . ومن هنا ارتفع صوت المفكرين والكتاب الى ضرورة تطهير قصور الاقطاعيين من الاجانب كما طالب جيل العاصفة والاندفاع بضرورة المحافظة على حقوق الأمة وعدم التفريط بها ، حيث كان الحكام الاقطاعيون يبيعون الجنود الألمان الى انجلترا لاستخدامهم فى قمع حرب الاستقلال الامريكية وثورتها ضد الاستعمار البريطانى ، كما كان قيصر المانيا فريدريش الكبير لا يتكلم فى قصره سوى الفرنسية وكان يقول ... «إننى لا اتكلم الالمانية سوى مع خيولى» .

لقد اعارت حركة العاصفة والاندفاع للشخصية الالمانية اهمية كبيرة واصبح المواطن يطالب بالتكافؤ والمساواة فى الحقوق ومنحه مطلق الحرية لتطوير شخصيته دون قيود او حواجز اقتصادية وسياسية واجتماعية . وتعنى الشخصية هنا تطوير العبقرية الالمانية وازدهارها فى جو من الحرية والتشجيع ولذلك اطلق الكتاب على هذا العصر بعصر العبقرية .

ولأجل ازدهار هذه العبقرية لابد من وجود ارض صلبة تنطلق منها هذه العبقرية ، لذلك استهدف كفاح ممثلى العاصفة والاندفاع تطوير ورعاية الشعر والمسرحية الألمانية والاعتماد على قابليات الالمان الأصيلة. ان الانسان العبقرى فى مفهوم العاصفة والاندفاع هو ذلك الفنان العبقرى الفريد فى عمله ولا يهاب الصعاب ولا يخشى التقاليد ، وينطلق فى عمله الفنى من مصلحة الجماهير وان ينتج فنا يفهمه الشعب

لقد اتسم عصر التنوير بالحكمة والتعقل ، اما عصر العاصفة والاندفاع فقد اطلق العنان للعواطف والمشاعر الانسانية دون حدود او قيود وقد انعكس ذلك فى رواية الام فرتر لجوته التى صدرت عام ١٧٧٤ والتى جسدت المشاعر والعواطف الشخصية .

وقد ادت المقاومة الاجتماعية ضد ادب القصور والصالونات الى التخلى عن القيود الجمالية ، وكان الكاتب الانجليزى ادوارد يونغ قد نشر بعض الأفكار عن الأعمال الأصيلة وترجم هذا العمل الى الألمانية عام ١٧٦٠ ودعا فيه الى



جوته « ١٧٤٩ ـ ١٨٣٢ »



شيللر « ١٧٥٩ ـ ١٨٠٥ »

تحرير العبقرية من جميع القيود .

وقد وصف يونغ فى كتابه ، هومير وشكسبير بالسذاجة لانهما كانا يتخذان من الطبيعة نموذجاً لفنهما ، كما ان شكسبير لم يكن يعرف القيود والأصول الكلاسيكية ، ولكنه كان مترجماً لطبيعة اخلاق البشر .

وعندما قرأ جوته شكسبير لأول مرة قال عنه : «لقد عرفته واحسست بعبقريته بكل احاسيسى ومشاعرى وادركت ابعاده اللانهائية ، ولا توجد اصالة اكثر من اصالة شكسبير فى تشريح شخصياته على طبيعتها . اما مسرح شكسبير فهو خير مكان لتوضيح وكشف خفايا العالم أمام انظارنا» . ا.

وقد اهتم كتاب العاصفة والاندفاع بالاغانى الشعبية القديمة وجمع جوته فى شتراسبورغ عدداً منها بتشجيع من هردر . لقد تاثر كتاب العاصفة والاندفاع بالكتاب الانجليز الذين سبقوهم بالاهتمام بالشعر الشعبى . وقد اكتشف الشاعر الانجليزى ماكفرسون عدداً من الاغانى الشعبية الايرلندية ونشرها تحت اسم اوسيان ما بين عام ١٧٦٠ وعام ١٧٦٥ .

وقد أشاد هردر بالشعر الشعبى وقال انه يمثل الأصالة لأنه ينبع من نفس سليمة ومشاعر صادقة وليس فيه أى تزويق او رتوش عاطفية مصطنعة . وعلى هذا الاساس اكد هردر على ان الشعر أسبق الى الظهور من النثر ، لأن الشعر يصدر عن خلجات النفس ولا يحتاج الى دراسة واتقان كما هو الحال فى النثر .

وقف هردر ضد مفهوم الجمال القديم وطالب بتوسيعه لكى يستوعب ما أطلق جوته عليه بالشعر الشعبى المميز .

واشار هردر الى أن هذه الأشعار تتميز بالخيال والروعة والدلالة الواقعية وقد نشات اغلبها تحت تاثير الحماس المباشر وقوة التخيل.

وصف جوته لغة الشعر الشعبى بانها ليست فقط وسيلة تبليغ فحسب ، بل وسيلة تعبير أيضاً . وكما قال هردر عن الشعر مستنداً على قول هامان : «إن الشعر هو لغة الام للجنس البشرى»

وقد أشار الى ذلك أيضاً الكاتب الالمانى بوركر الذى ينتمى الى مرحلة العاصفة والاندفاع بان الشعر الشعبى أعلى مرحلة فى سلم الأدب .

لقد انعكس تاثير الشعر الشعبى فى كثير من مؤلفات ممثلى العاصفة والاندفاع ، فقد قام هردر بترجمة بعض الاغانى الشرقية للشعوب السامية ، ونشر بحثاً عن اغانى سالمون عن الحب .

كما أشاد جوته فى روايته العاطفية «آلام فرتر» بالشعر الشعبى وقاله انه الأصالة وان الحب الريفى هو الحب الأصيل والنقى . وتجدر الاشارة الى أن العاطفة طغت على أدب هؤلاء واعتبروا مغامرات الحب جزءاً من الحياة بأسرها وقد صدرت آنذاك أشعار وروايات ينتهى فيها الحب الى نهاية مفجعة بسبب التقاليد السائدة .

ففى رواية «آلام فرتر» لجوته يفشل البطل فى الظفر بمحبوبته ويؤدى به ذلك الى الانتحار ، رغم أن انتحار فرتر كان احتجاجاً سلبياً ضد الأنظمة الاجتماعية آنذاك . وقد أدت هذه النهاية المأساوية للرواية الى انتحار عدد من الفتيات فى مدينة فايمار وغيرها تضامناً مع البطل ، وقد انتقد جوته هذه الموجة من الانتحارات وقال ان القراء لم يفهموا المغزى الحقيقى لانتحار فرتر .

ويعتبر فريدريش شلر خير من مثل العاصفة والاندفاع فى مسرحيته «كيد وحب» التى صور فيها كيد الاقطاعيين ضد فتاة تحب مواطناً من طبقة النبلاء لاحباط هذا الحب .

كما انعكست أفكار العاصفة والاندفاع فى أعمال لنز الذى نشر مسرحيتين هما « الجنود» و «المعلم الخاص» .

كما تجسدت أفكار العاصفة والاندفاع فى الصراع الذى صوره لنا جوته فى مسرحية فاوست حيث يحطم فيه فاوست صديقته كريتشن التى تتميز بالبراءة الطفولية فيتعاطف جوته معها وينتصر لتلك البراءة .

وتعانى كريتشن صعوبة فى التحرر من اخلاق وتقاليد المجتمع الاقطاعى آنذاك فتمنح الرجل الذى تحبه كل عواطفها ، الأمر الذى يؤدى الى جحود المجتمع عليها وتضحيتها باخيها فى سبيل ذلك ، كما انها تقتل طفلها جراء الياس

إن جميع هذه الصراعات مؤشرات واضحة لمساوىء المجتمع الاقطاعى بجميع اخلاقياته

وقد طرق جوته هذا الموضوع ايضاً فى مسرحية «اكمونت» حيث تعلن الفتاة المنحدرة من أوساط الشعب حبها للنبيل اكمونت وتصبح بطلة التحرر .

وفى خضم هذا النقد الحاد للاقطاع نشر شلر مسرحية «اللصوص» التى صور فيها كارل مور الذى ينتمى الى طبقة النبلاء ويقوم بسرقة الاغنياء والاقطاعيين بغية نصرة الفقراء معلناً سخطه على النظم الاقطاعية البالية وقد حدث مثل ذلك فى انجلترا بقيادة روبن هود وكذلك فى العراق اثناء ثورة القرامطة فى القرن الثالث الهجرى حيث كان العيارون يسلبون اموال الأغنياء ويوزعونها على الفقراء .

ويعلن فى المسرحية النبيل فرديناند الهجوم على الاخلاق والمثل الاقطاعية السائدة فى المانيا وكذلك سخطه على استرقاق الجنود وبيعهم لانجلترا وهولندا لاستخدامهم فى الحروب الاستعمارية .

إن نداء بوزا فى مسرحية اللصوص لشلر لازالة الاقطاع لم يؤد الى نجاح الدعوة ضد النظام السائد آنذاك ، فهو يموت كما مات دون كارلوس ضحية الحرية من أجل الشعب ، ولكن صيحاتهم ظلت مدوية فى ضمير الشعب وساعدت على التحرر السياسى والاجتماعى فى المانيا فيما بعد .

وكما حارب اكمونت وضحى من أجل حرية شعب الأراضى المنخفضة ضد السيطرة الاسبانية فى القرن السابع عشر ، نجد ابطال العاصفة والاندفاع ينهون حياتهم بنهايات مأساوية رومانتيكية كرد فعل للاوضاع الشاذة فى المانيا فى القرن الثامن عشر .

وقد كان تاثير أعمال ممثلى العاصفة والاندفاع كبيراً خارج حدود المانيا ، وليس مستغرباً أن تمنح الثورة الفرنسية عام ١٧٩٢ الشاعر شلر وسام البطولة تقديراً لمسرحية «اللصوص» التى الهبت مشاعر الشعب الفرنسى ضد الاقطاع وأسهمت فى الأعمال الاخرى الفرنسية والالمانية والانجليزية ، فى اشعال جذوة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

د. عدنان رشيد ـ جامعة الرياض



قصة قصيرة

عيناها والصبر

بقلم : فاروق منيب

أخذ يعد الأيام ويفكر فيها . يوم أسود ويوم أبيض . ولما انتهى وجد أنه خسر نصف دقيقة واحدة من عمره الطويل . كانت عندما أشار إليه الملك أن يقول في مدحه بيتاً واحداً من الشعر . حك جلد رأسه يعصره .. وضاعت الفرصة فى لمح البصر . لو طاوعته قريحته على الفور لتغير مسار حياته كله . ياله من انسان غبي وبليد وخامل البصيرة . بدل أن يمطر عليه الخير ، قيدوه بالسلاسل والحديد ، ورموه فى السجن ، حتى كاد يتعفن من النسيان . وفى الزنزانة الضيقة كان يتذكر كل اللحظات التى مرت به ، حلوها ومرها على السواء . وكان قد تعود على هذه العادة السيئة ، فأهمل الحاضر والمستقبل . وقال لنفسه : درجت على الحمق وصلابة الرأس منذ طفولتك الباكرة ، فتربصت بك عصابة الأصدقاء أشبعوك ضرباً وقهراً . وها هي الأيام تعود . فيم كنت تفكر ... قاموس اللغة فياض ، وبحور الشعر وقوافيه بين أصابعك ، تلعب بها كما تشاء ياخيبتك الثقيلة . وضرب الجدار بعنف



حتى سال الدم من كفه . الآن يتاسف على ضياع لحظة العمر التى لا تتكرر . الملك لا يطلب من أحد شيئاً . الكتاب والشعراء هم الذين يتقدمون إليه بالكلمات الموشاة بماء الذهب . يا أبله كان المعنى حاضراً فى ذهنك ، فما الذى أصاب قريحتك ؟ . السجن حلال عليك . إذن تعلم من تجاربك المحزنة . هل تتعلم ؟ .

● أصداف الفقر والفن ●

تنفس فى راحة شديدة . العالم الآن ملك يديه . ليس لحريته حدود . أمامه كسرة الخبز وبقايا العسل الأسود ، وقليل من الجبن القديم والبصل ... ومشروع قصة يهل عليه من الماضي . تتهادى الفكرة منتشية بنفسها ، مزهوة بابداعها الجديد . آه لو ينزل البحر ، ليلتقط أصدافه الذهبية ولؤلؤه ومرجانه ؟ . فعلها مرات كثيرة . ورغم العناء الذى لاقاه ، لكنه كان يخرج فى كل مرة فرحاً وسعيداً ونابضاً . الفقر ليس عيباً ، القهر هو العيب . تذكر الحادثة القديمة ، فبصق مغيظاً وحانقاً ، ثم شع فى صدره أمل باهر . بدأ يستعد للمغامرة اللطيفة ، يدخل إلى عالمه المضيء . كان ياما كان .. رجل وامرأة أو طفل وشعب كان ... وامتلأ قلبه بالدفء والاشعاع . كيف يبدأ .. لا يعرف . المهم أنه لا يسبح وحده .

وجوه الأطفال تفرش الأفق أمام عينيه . وفي ركن مظلم كان يقعد اسكافي فقير ، يرتق أحذية المارة . حياه ورأسه يشع بكلمات النبي .. اللهم احشرني فى زمرة المساكين . وقال :

ـ صباح الخير ياعم زلطـة

قال الأسكافي :

ـ صباح الخير ياولدي ..

ويحلق بعينيه الضيقتين اللامعتين ثم أردف :

ـ لم أصلح مركوبك بعد ... الشغل كثير ياولدى ...

قال :

ـ لم أجىء من أجل المركوب .. جئت لأتنس بـك .

قال الأسكافي :

ـ أحك ياسيدي .

قال :

ـ ليس لدى حكايات ...

قال الأسكافي :

ـ العالم اليوم مملوء بالشرور ... وتمخض وهو يدق المسامير فى كعب حذاء على السنديان . وكان عجوزاً وضامراً ومنهكاً . وقال عم زلطة حين وجده ، صامتاً :

ـ فيم تفكر ؟ .

قال :

ـ فى احوال الدنيـــا .

قال عم زلطة :

ـ صل ع النبي ... تشرب شاى ؟

قال :

ـ أشرب ...

واشعل الأسكافي راكية النار فى الحفرة أمامه ووضع البراد ، ثم قال :

ـ هل تعلم أن العساكر يطاردوني من مكان لآخر . لأني لا أدفع لهم المعلوم . انهم لا يرحمون ، ولا يريدون أن تنزل رحمة ربنا على أحد . وضحك فى أسى ضحكة مشروخة تحمل همومه المزمنة ، ثم همس وهو يمسح قطرات من العرق تجمعت على جبهته :

ـ لكني تعودت على قرفهم ... يرتقون أحذيتهم بالعافية ... سفلق مفلق ! .

وصب الشاى الدافىء . كان الوقت فى الشتاء ، والريح تضرب خيمته الرقيقة القديمة ، ورشح أنفه لا يكف عن السيل . ذقنه المخروطية ، بيضاء الشعر ، تكسبه مكر الثعلب ، الذى تدرب على حيل الحياة . كان يفترسه بنظراته التحتية ليعرف خباياه . وكان هو الآخر يحاول أن يعرف منه . وظل الأسكافي الفقير يشاغله على مدى الأيام دون أن ينسى .

● على مرفأ الدم والصبر ●

اليوم الأسود يختلط باليوم الأبيض الفرح بالحزن ، الظلام بالنور ، الحياة بالموت . ومن الصحراء القاحلة تنبع المياه ، ومن وسط الصخر ، وعلى حوافيه ، ينبت الورد . المثل يقول ، نزف ساعة ، ولا كل ساعة ، ولكن نزيفه لا يتوقف ، يوماً بعد يوم وهو ينزف . الجدول معلق على الحائط .

يعرف الآن بسليقة حب الحياة وغريزتها أن لابد من النزف . وهذا الانفصام الذى يعيشه ، هو انفصام الموت مع الحياة ... وقطرة وراء قطرة يذبل ، ثم يصحو يرتل الآية التى يحبها : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » . الجسد والروح معاً . والدم النازف ضريبة الكبرياء والفقر وشقاوة الطفولة . وتعلق قلبه بالمجهول ، فرأى أنه استحال الى بكتريا متعفنة يأكلها الدود . أبتسم بمرارة وسخرية . هل يبقى المعنى والذكرى ؟ . ربما ... ربما . المثل يقول ... الصبر طيب ..ولو كان مرأ نصبر له . وفى تلك اللحظة يخرج من ذاته ، ليعانق كل الأصدقاء : لماذا يا أحبائي تغرقون فى الصراع ؟ . ومن صعيد مصر إلى أمدرمـان ، إلى بسكرة الى طرابلس ، الى بغداد ، الى لندن وباريس ، الى قطر والبحرين ... الى كل البلاد والمنافي على وجه الأرض ... نحن غرباء أيها الأحباب ... لأننا مازلنا نعاني ونرسم الأشواق . واحتضن ألمه وغربته وصبره . فتدفق دمه ونبضه مفتدياً عطاءهم . واخترقت شعاعات

عيناها والصدى

الشمس الدم ، فتألق ونقى من السموم ، وخف وزنه ، فأصبح كريش النعام . ووقف على الشاطىء وحده ، يناشد المودات القديمة أن تدوم ، وأن تعمر الأرض بالمصانع والمعامل ودور العلم ، وألا يقهر أو يستغل انسان آخر . وكاد أن يسخر من أمنياته المنطلقة . فمايزال السيف أصدق إنباء من الكتب ، واليد العليا ، لمن يمتلكون البارود والنار . ولو كان فى يد الأسكافي الفقير بندقية وميكروفون لتغير حاله ، ولما ضعف بصره ، ونام نومته الكئيبة ، وسط نفايات القرية . ولكن لا بأس أن نحلم ونتمنى ، وسط النزيف الدائم . وتقلصت عضلات قلبه ، فاستغفر الله من ذنوبه ، وشرب كوباً من الماء . وغمرته لحظات من الهزيمة الهادئة ، فارخى لتأملاته العنان ... سوف يتحول الى عدم ، ولكن لسانه لن ينطق ببيت الشعر الذى طلبوه منه . وهذا هو عناد وإرث الانسان الكاتب على الأرض ، أن يقاوم الذل ، ولهج بكلمات عرابي الخالدة ... إن الله خلقنا أحراراً ، ولم يخلقنا إرثا وعبيداً ... ووالله لن نقهر أو نستعبد بعد اليوم . ذهب الخديوي وبقى عرابي . وعادت إليه ضربات القلب من جديد . بعد مائة عام تنفذ إليه روح الفلاح المصري ، تخفف من نزيفه . ياخسارة عليك ياعرابي ، صبرت ولم تنل ما تتمنى.

● نهر الحب والانكسار ●

زلت قدماه فى الطريق . غشيت عيناه بالظلام . قاوم وهو ينفض الغبار عن ملابسه ، فى البيت ظل ساكناً وصامتاً فى ركنه الأليف .

قالت له المحبوبة الصغيرة ، وهي على عتبة الدار :

ـ خلاص يابابا ، لن أستطيع أن أبقى ... نظر فى عينيها العسليتين .

فى تلك اللحظة كان يود الهروب من العالم . تساند بجسده على أحد الجدران . خرجت الكلمات من فمه مفككة الأوصال ، ضعيفة وواهنة ... يخونك العيش والملح ياانانا . إني أحاول ألا أظلم أحداً ، فكيف أظلم فلذة كبدى ؟ يابنت الحـلال حرام عليك . قالت وهي تسرع الخطى :

ـ باي ... باي ...

هل انتهي الحلم الذى عاش من أجله عشرين عاماً ؟ . سالت الدموع عـلى خده . انه يتذكر دموع أبيه الكهل وهو يبكي متهدجاً : أين عبد العزيز ؟ هل أموت دون أن أراه ؟. وصدق حسه ، إذ مات عبد العزيز فى مستشفى الأمراض العقلية ، بعد ثلاثين عاماً من الاقامة الدائمة يضربونه . عندما ذهب أخوه ليراه ، حاملا له الطعام والملابس أخبروه بموته . كيف يا جماعة ؟

ردوا عليه فى صوت واحد :

ـ شيخوخة مبكرة ياأستاذ ، وقد دفناه فى مقابر الصدقة .

وسبح فى نهر انكساره . الماضى مع الحاضر يحكمان الخناق على رقبته . وخاطب نانا هامساً لماذا تجددين الأحزان فى قلبي يانانا ؟ . كنت أحاول أن أنسى . وكنت وأنت صغيرة تسالينى : كم اخ لك يابابا ؟ . فاتحاشى الحديث عن عمك عبد العزيز . ولما كبرت أخبرتك بالقصة كاملة . أنا لا أتحمل المهانة ، فهل أهون عليك ، بعد أن أعطيتك سري ؟ . أنت تعرفيني أني لا أحترف الكذب ، فكيف تتركيني فى الوهم كل تلك السنين ؟ . هل نسيت الحصان القديم عندما قدمته إليك فى



عيد ميلادك ، وأنت تتعلمين المشي ، تتعثرين بين كل خطوة وأخرى ؟ . أين أيام مدرسة العائلة المقدسة ؟ . هل تذكرين عندما جريت إليك ملهوفاً ، فى لحظات الحرب أحملك بين ذراعي ، خوفاً وحناناً ، ولأفديك من المكروه . ومع أن الدماء شحيحة فى رأسي الآن إلا أني أتذكر ... أتذكر ... أتذكر ... فى الماضى كنت أبذل عرقي من أجلك . الآن أبذل دمي وعرقى ودموعي ، متعب حتى الثمالة . قبل أن أنام كنت أطبع على جبينك قبلة تريحني من نزيف اليوم كله . أغضب في بعض الأحيان ، ولكن قلبي يطرد الكدر الزاحف دائماً . أصررت أن أخـاطبك رأساً برأس ، وعقلا بعقل ، ولكن الهاوية كانت تتسع شيئاً فشيئاً . قلت لي : أريد أن أعيش حياتي كما أريد ، ولم يكن لي حيلة إلا أن أقول : الحرية لا تنفصل عن المسئولية . ومع هذا ، كان القلق ياكلني ساعات وساعات ، حتى إذا ما وضعت المفتاح فى قفل الباب عائدة ، فان وهمي ينفرج ، وكربي يتفتت .. أطمئن عليك ... تدبين فى البيت ... خطواتك بلسم لجراحي . طيفك يداويني ... وماذا أقول لك يانانا ؟ .. إني أخاف على كبريائي من حبك ... الآن تخرجين بلا عودة . لماذا تجسدين كآبتي ، التى حاولت أن أتخلص منها ، على طول السنين العجاف ؟ . مهلا ، فمازلت أركب قطار الأحزان ، أقطف منه ، وأغزل ، فى عذاب وألم وأمل . فمن يدري ، فقد تحدث المعجزة ، وأعود أسبح فى نهر مياهي العذبة النقية . قال لي الطبيب الجراح : إن الفرصة أمامك فى زرع كلية نادرة . ولم أتعود على اقتناص الفرص تعودت على الزرع الصبور ، والحصاد الناضج . فهل يضيع حصاد عشرين عاماً معك . باي ... باي ... تشرخ صدري . والطريق الذى مشيت فيه يهزمني . قاومت ولازال النزيف ، ولكني لا استطيع أن أقاوم دموعي واكتئابي لفراقك . فهل ترحمين انكساري وكبريائي وحبي وتعودين ؟! .

ربمـا ... ربمـا ! .

« فاروق منيب
لنـدن

جمال الغيطاني

الخرطوم

مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية !



الخرطوم اليوم بكل مافيها من حياة معاصرة

«أتيحت لي الفرصة لزيارة السودان لأول مرة عام ١٩٧٠ ، كانت المناسبة حضور احتفالات العيد الأول لثورة مايو ، غير أننى اعتذرت ، كانت حرب الاستنزاف تشهد تصعيداً خطيراً فى تلك الأيام النائية ، القصية ، وكان الطرفان الرئيسيان للقتال ، سلاح الدفاع الجوى المصرى ، والطيران الاسرائيلى المعادى ، كنت مقيماً فى الجبهة وقتئذ ، أصف لمواطنى المعارك من خلال عملى كمراسل حربى» .

وأعيش الحرب فى البقعة ـ التى كانت ملتهبة ـ من بلادى ، ولم أكن مستعداً للابتعاد ولو يوماً واحداً ، عن الضباط والجنود الذين عرفتهم ، وكنت استمد عوامل اتزانى النفسى من بطولاتهم ، ووقائع الأحداث اليومية ، اعتذرت عن السفر الى السودان ، مع اننى لم أكن قد خرجت الى أى قطر عربى فى ذلك الزمن الذى يبدو لي نائياً الآن كالقرون الخوالى ، ومضى أحد عشر عاماً قبل أن تتاح الفرصة من جديد ، فى مارس (آذار) ١٩٨١ ، وفى أحد لياليه الحارة ، نزلت إلى مدينة الخرطوم عبر المطار الذى يقع فى قلب المدينة ، موقع فريد لمطار دولى ضخم ، كانت المناسبة ، وصول وفد اللجنة المصرية للتضامن الآسيوى الأفريقى ، وكنت أحد أعضاء الوفد ، وكأى بلد عربى لا يشعر الانسان بغربة حال وصوله اليها ، الملامح العربية الأصيلة تطالعنا فى الوجوه وان امتزجت بالملامح الافريقية . السيارة تخترق شوارع الخرطوم الليلية ، الهادئة ، شبه الخالية من المارة ، لا تستغرق المسافة للوصول الى شاطىء النيل حيث الفندق ، إلا دقائق قليلة ، وقبل أن أرحل عبر المدينة ، أبدأ الرحيل فى تاريخها ، وتاريخ الخرطوم برغم حداثته ، إلا أنه حافل بأحداث تاريخية ذات طابع درامى ، وتكوين المدينة العمرانى ، مرتبط أشد الارتباط بهذه الأحداث .

الخرطوم

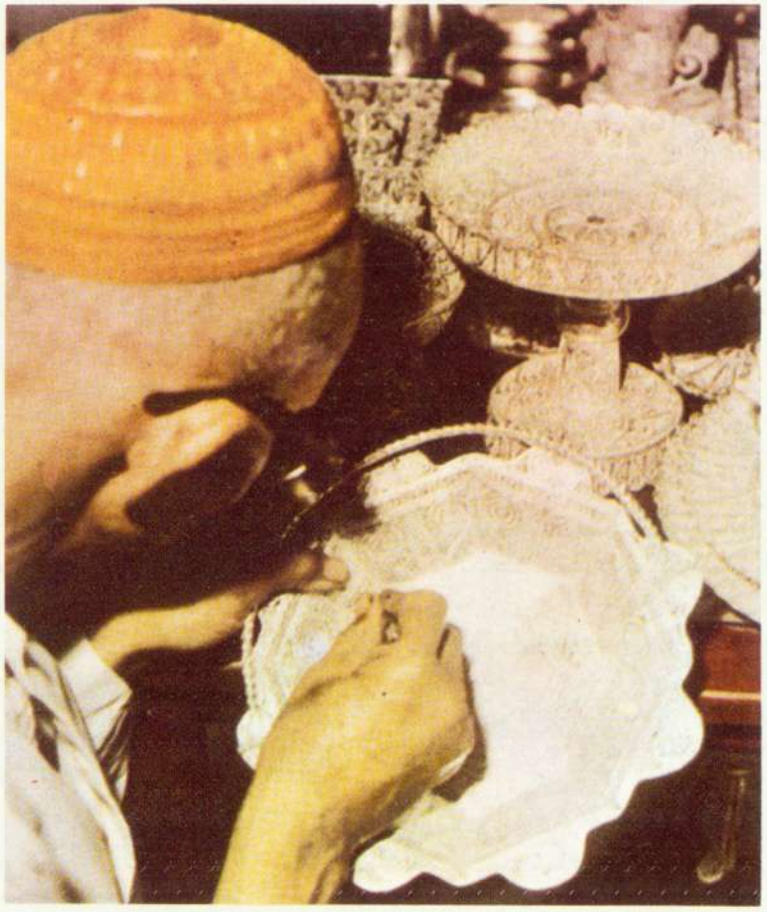
مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية !

الأصل

ما أصل الاسم ؟

لم يختلف الناس حول اسم مدينة ، كما اختلفوا حول «الخرطوم» يقول بعض الأوربيين أن الاسم مأخوذ من القرطم ، وهو نبات تكثر زراعته فى مصر ، وكان يستعمل زينه للاضاءة ، آخرون يقولون ان الاسم يعنى فى لغة الشلك ، أو لغة الدينكا ، المكان الذى تجتمع عنده العيون والأنهار ، ويرجع الدكتور محمد ابراهيم أبو سليم اللفظ الى أصول نوبية. من ناحية أخرى يقال ان العرب أطلقوا هذا الاسم على المكان لأن طرفه يمتد فى شكل شريط يشبه خرطوم الفيل حتى يلتقى النيلان الأبيض والأزرق ، ويبدو أن أصل اللفظ بالتاء أي الخرتوم ، ثم قلبت التاء الى طاء ، كنوع من تهذيب اللسان العربى ..

روايات متعددة ، ولكن لا توجد رواية واحدة حاسمة ، وفى التاريخ لا يذكر المؤرخون شيئاً عن الخرطوم فى عهد مملكة النوبة المسيحية العليا ، فى سنة ١٦٩٨ زار الرحالة الفرنسى بونسيه السودان ، ذهب من قرى الى سنار مباشرة بدون أن يتوقف فى الخرطوم أو يذكرها ، فى سنة ١٧٧٢ اتجه الرحالة بروس من سنار الى شندى عبر الحلفاية دون أن يذكر الخرطوم ، وتجاهلتها أيضاً الخرائط التى طبعت فى أوروبا أوائل القرن التاسع عشر ، لم يكن الموقع يشكل أهمية بالنسبة للرحالة الأوربيين ، وفى سنة ١٨٣١ زار ادوارد بارون فون كالو السودان ، ويعرف باسم ارسلان بك ، ودون مشاهداته ، وذكر أن رأس الخرطوم ليس به شيء إلا بعض الأكواخ الفقيرة ، لم تكن الخرطوم وقتئذ سوى نقطة عسكرية ، بينما كانت عاصمة الاقليم الحقيقية فى الحلفاية ، وبرغم ذلك ، فقد أدرك ارسلان بك أهمية هذا الموقع ، ومرور طرق القوافل به ، اقترح انشاء مدينة تجارية بها ووضع الخرائط اللازمة ، وفى مخطوطة كاتب الشونة ـ المطبوعة فى القاهرة ـ يذكر الموضع مرة واحدة فى فترة حكم الفونج ، ثم يأتى ذكر الخرطوم عند الحديث عن عبور جيش اسماعيل النهر من أم درمان الى الخرطوم ، ثم عند مجيء عثمان بك ، وتشييده النقطة العسكرية بها . ثم مجيء محـو بك خلفاً لعثمان بك ، وفى كتاب طبقات ود ضيف الله الهام ، لا يرد ذكر الخرطوم على الرغم ـ كما يقول الدكتور محمد ابراهيم ابو سليم من أن مؤلفه من الحلفاية ، ويذكر كثيراً من أولياء هذه المنطقة ... لم يكن للخرطوم أهمية ، كانت منطقة مغمورة بالفيضان ، تغطيها الغابات ، وفى سنة ١٦٩١ ، جاء أحد الأولياء واسمه ارباب العقائد ، وعبر النهر لينشيء فى هذا الموضع أول قرية مأهولة ، كان من عادة الفقيه الذى يشتهر أمره ، أن يفارق مكان مولده ، وان يبحث له عن مكان جديد يستقر فيه ، وهكذا غادر الشيخ أرباب العقائد جزيرة توتى ، الى هذا الموضع ، وكان لارباب العقائد تلاميذ ، منهم الشيخ خوجلى عبد الرحمن الذى استقر بالخرطوم بحرى وبنى فيها مسجداً ومنزلا ، وتوجد منطقة الآن تعرف باسم حلة خوجلى ، وفى الخرطوم بحرى منطقة تسمى الآن حلة حمد ، ترجع الى أحد تلاميذ الشيخ ارباب العقائد وهو حمد ولد مريوم ، وقد ساهم هؤلاء المشايخ فى نمو مدينة الخرطوم ، مع الفتح المصرى وصل اسماعيل باشا بجيشه الى هذه النقطة ، وانشأ معسكراً للجيش ، وكان ذلك بداية لمدينة الخرطوم الجديدة ، وفى عهد محو بك اتسعت الخرطوم ، ويطلق اسمه الآن على منطقة الشجرة الواقعة جنوب الخرطوم ، وتعرف بشجرة محو ، كانت المنطقة تسمى فى البداية شجرة النقارة وكانت القبائل تتجمع حولها تدق الطبول وتقام فيها المهرجانات القبلية ، وحتى



الصناعات الشعبية فى ام درمان

اليوم تدق الطبول فى المواسم والأعياد ، ثم أطلق على المكان اسم شجرة ماحي ، وقيل انه المكان الذى ضرب فيه خيمته ، وظلت تعرف باسم شجرة ماحي حتى سقوط الدولة المهدية ثم فكر أحد مفتشى الحكومة فى اثارة خيال السواح ، فزعم أن جوردون الانجليزى زرع شجرة ضخمة ورعاها حتى كبرت ، ومن ثم اطلق الناس عليها شجرة جوردون ، أما اليوم فيطلق عليها الناس اسم الشجرة فقط .

أول تخطيط

فى سنة ١٨٤٨ ، وصل الى الخرطوم فوج من المبشرين يقودهم الأب ريلو ، وقد قدر عدد سكان الخرطوم بحوالى ١٥,٠٠٠ نسمة ، وقد استقبل هؤلاء المبشرين تاجر سودانى مسلم ، رحب بهم ، وقدم اليهم مساعدات شتى نظراً لافتقارهم الى المال ، واشترى لهم من ماله قطعة أرض على شاطىء النيل الأزرق فأقاموا فيها ارسالية الخرطوم فى الموضع الذى تقوم فيه بلدية الخرطوم الآن ، وتجلى فى هذا التصرف سماحة أهل البلاد تجاه من يخالفونهم العقيدة .

.. تتعدد الروايات ، بخصوص ميلاد المدينة الفعلى ، ولكن المجمع عليه أن الخرطوم لم تصبح مدينة رئيسية إلا فى الربع الأول من القرن التاسع عشر ، ويرجع الشكل الحالى للمدينة الى أواخر القرن التاسع عشر ، بالتحديد بعد هزيمة الثورة المهدية ، ودخول كتشنر الى الخرطوم ، منذ اليوم الأول لدخوله أولى المدينة اهتماماً كبيراً ، وضع التخطيط الجديد بمعاونة بعض المهندسين ، وقد استوحى فى التخطيط شكل العلم البريطانى . ويعتبر هذا أول تخطيط لمدينة سودانية ، إذ قامت الخرطوم القديمة ، وأم درمان عفواً ، استهدف كتشنر انشاء مدينة على النمط الأوروبى ، خاصة الانجليزى ، ويذكرنا ذلك بالأماكن التى أنشأها المستعمرون الانجليز لتصبح صورة من مناطق العمران فى بلادهم ، يتمثل هذا فى منطقة المعادى بالقاهرة ، والجلاء بمدينة الاسماعيلية ، قسم كتشنر المدينة الى قطاعات متعددة ، الأول يقع بين شارع الخديوى (شارع الجامعة الآن) وما بين النيل الأزرق ، وفيه توجد



الفنان التشكيلي السوداني ابراهيم الصلحي

المصالح الحكومية وبيوت الموظفين ، ثم يلى ذلك القطاع التجارى ، وهو يقع جنوب شارع الخديوى ويمتد غرباً الى المسجد الكبير ، وشرقاً الى شارع فيكتوريا (القصر حالياً) وجنوباً الى ميدان عباس (ميدان الأمم المتحدة حالياً) . ثم يقع وراء هذا الميدان السوق العربى ، والى الغرب من شارع فيكتوريا القطاع الصناعى ، حيث تتجمع الصناعات الخفيفة كالحدادة ، والنجارة ، حرص كتشنر على ربط قطاعات المدينة بواسطة شوارع عريضة تسير من ركن مربع الى آخر لهذا السبب ، وحرص أيضاً على أن تكون المدينة فى طابعها سكنية ، بدأت الحياة تدب فى الخرطوم مع نهاية القرن التاسع عشر ، وجند كتشنر ثلاث كتائب من الجيش المصرى وعدداً كبيراً من أسرى جيش المهدى لتنظيف الشوارع من الأنقاض وردم الأماكن المنخفضة من المدينة ، فى سنة ١٩٠٤ سويت الشوارع ، وتم رصف شارع رئيسى يربط بين قصر الحاكم العام ، والفندق الكبير ، والسوق ، والمسجد الكبير ، وقصور يمتلكها الوطنيون ، وأنشأ مصنعاً للثلج فى شرق المدينة ، وكلية جوردون التذكارية ، ثم توسعت المدينة ، وبدأ البناء ، ويضم كتاب «تاريخ الخرطوم» تفاصيل دقيقة عن تطور حركة العمران ، وشق الشوارع ومبانى المدينة ، والطابع الأوروبى الذى نشأت على أساسه «الخرطوم» لازال مسيطراً حتى الآن ، بعكس مدينة أم درمان المدينة الافريقية الصميمة ، التى تموج بالحياة ، والحركة ، ذات الشخصية المتميزة .

وقد لاحظت فى المبانى الجديدة التى أقيمت بعد الاستقلال ، وبعد ثورة مايو ١٩٧٠ ، استيحاء النمط الأوروبى الحديث ، يبدو هذا واضحاً فى قاعة الصداقة الضخمة وقاعة مجلس الشعب ، كذلك شيدت الفنادق الكبرى على النمط الأوروبى الحديث ، فيما عدا الفندق الكبير الذى بني أوائل القرن ويشبه فنادق اسوان الكبرى القديمة ذات الطابع الانجليزى المختلط بالطراز المحلى ، وبعد تجديد الفندق الكبير بعد ثورة مايو احتفظ بطابعه الأصلى ، وشرفته الفسيحة المطلة على النيل ، والحقيقة ان الخرطوم تتمثل فيها نفس المشكلة التى تعانى منها بلاد العالم الثالث ، فيما يتعلق بالعمارة ، وتقليد

الخرطوم

مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية !

الأنماط الأوروبية ، بصرف النظر عن الطابع المحلى للعمارة الوطنية ، أو مراعاة ظروف المناخ الخاصة فى البلاد الحارة ، والتى تؤدى الى الاعتماد التام على أنظمة تكييف الهواء الصناعية ، لذلك فان الطابع العام لمدينة الخرطوم يبدو حائراً ، فى التطلع الى النمط الأوروبى فى العمارة بمجمله ، وما بداخله من تناقضات فى الشكل الخارجى ، (قاعة رومانية ، ومنازل بالطوب الأحمر على الطراز الانجليزى ، وعمارات حديثة امريكية الطابع) وبين الطابع الوطنى للعمارة ، والذى يتمثل فى منازل الفقراء التى تقوم على الأطراف أو المساجد ، وأضرحة الأولياء ، ذات الشخصية المتميزة اذا ما قورنت بالعمارة الاسلامية فى البلاد الأخرى ، ومن أهم العوامل التى تكسبها هذا التميز شكل القباب التى تتوحد فى جميع مناطق السودان ، القبة العالية التى تستوحى فى استدارتها الى حد ما شكل ثمرة البصل الخارجى .

أم درمان

.. مع عبور النيل ، والانتقال من الخرطوم الى أم درمان ، يتم الانتقال من نمط فى العمارة والشكل ، الى نمط آخر مختلف تماماً ، أم درمان مدينة افريقية صميمة ، تتدفق شوارعها بالحركة المستمرة ، بعكس شوارع الخرطوم التى تقفر فى غير ساعات العمل ، تقف أم درمان على حدود الصحراء ، ولأقسامها وشوارعها نظام خاص فى الانتشار والاتصال ، نابع من التخطيط النابع من داخل احتياجات المدينة ، وغير المفروض عليها من الخارج ، ويتمثل التخطيط ويتجسد فى السوق الكبير الضخم ، الذى يضج بالحيوية ، حيث تخصص لكل سلعة قسم معين ، بدءاً من سن الفيل ، والمصوغات ، وحتى الخضروات ، واللحوم ، كانت أم درمان مجرد موضع صغير بالجانب الغربى للنيل ، وعندما قامت الثورة المهدية وبات زحف الأنصار على الخرطوم متوقعاً بنى الجنرال جوردون طابية من الطين فى أم درمان ، ركز المهدى هجومه على الطابية حتى سقطت ، وبعد أن فتح مدينة الخرطوم جاء الى خلاء أم درمان ليقيم فيها معسكراً للهجرة ، وقد نما هذا المعسكر نمواً كبيراً ، حتى أصبح عاصمة للدولة المهدية .

ولكن مدينة أم درمان لم تنته بعد سقوط الدولة المهدية ، والتركيز على عمران الخرطوم ، ويقال ان المهدى اختار موضع المعسكر بأن أطلق لجمله العنان فسار الجمل حتى برك فى الموضع الذى توجد به القبة الآن ، وقد وقع اختيار المهدى على الموضع وبنى حجرة من الطين فى المكان الذى برك فيه الجمل ، ولما توفى الامام دفنه أصحابه فى حجرته أسوة بما فعله الصحابة عندما دفنوا رسول الله فى حجرة السيدة عائشة التى ماتت فيها ، أطلق المهدى على المكان أسم البقعة ، وكان يقال البقعة الطاهرة ، أو المباركة ، وعرف الموضع باسم دار الهجرة ، ولكن هذا الاسم اختفى ، وبقى «أم درمان» الاسم القديم الذى يقال انه اسم مكان قديم يرجع الى امرأة كان لها ولدا اسمه (درمان) .

فى قلب المدينة تقع قبة المهدى السامقة بلونيها الأخضر والفضى ، وغرب القبة يقع المسجد الكبير ، وهذه المنطقة كانت تقسم المدينة نصفين تقريباً . القسم الجنوبى ، حيث جناح الخليفة عبد الله وأقربائه وحرسه وأهل الغرب عامة ، والجناح الشمالى وهو جناح الخليفة علي والخليفة شريف وأهل البحر عامة ، ثم تطورت المدينة واتسعت فيما بعد ، إلا أن قبة المهدى – فى رأيى – تعد بمثابة القلب للمدينة حتى الآن ، وقد بدىء فى حفر أساس القبة يوم الاربعاء الثانى من ربيع الأول سنة ١٣٠٦ هـ ، وكان ذلك بحضور الخليفة عبد الله ، والخلفاء ، والقضاة ، والأمراء ، وجماهير الانصار ، وقد بدأ الخليفة عبد الله الحفر بنفسه ، استمر الحفر حتى التاسع من نفس الشهر ، وفيه وضع الخليفة الحجر الأول الى التاسع ، ثم تبعه الخلفاء والانصار ، وكان أساسه فوق الأرض بالحجر ثم بنى فوقه بالطوب الأحمر ، وكان البناء مربع الزوايا ، وبعد أن ارتفع الى ١٤ ذراعاً ، أصبح مثمناً ، ثم تبدأ القبة . وبعد اكتمالها أصبح الارتفاع خمسين ذراعاً ، وكان فى علوها هلال ، ومن وسط الهلال يرتفع رأس حربة كبيرة ، إلا اننى لم أر هذه الحربة التى يبدو أنها زالت منذ زمن وطليت القبة فى البداية بالجير الأبيض اللامع ليكون له بريق فى النهار والليل ، وداخل القبة يقوم الآن الضريح المحاط بالخشب المنقوش والمطعم ، وتفرش الأرض مجموعة من السجاد الثمين المهداة ، وعلى الجدران علقت بعض أعلام المهدى التى كانت ترفع أثناء المعارك ، ولازال قماشها يحتفظ بألوانه الأصلية .

كذلك بعض اللوحات الزيتية التى تمثل معارك المهدى ، لوحة تمثل الحرب بين السودان واثيوبيا ، ولوحة أخرى يبدو فيها عدد من الفرسان والمشاة وهم يقتحمون البحر تنفيذاً لأوامر المهدى ، كما يوجد بالقبة أيضاً الحزام الذى كان يتمنطق به المهدى ، وسبحته ، ولوحة كبيرة تمثل شجرة نسب المهدى وينتهى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبين جدود المهدى نجد محمد بن حاج شريف وقد حدثنا حارس القبة فقال انه عاش



الجامع الكبير بالخرطوم

مائتين وثمانين عاماً ، قضى منها مائة وثمانين عاماً فى الاسفار ، والترحال ، ثم عاد الى السودان ليستقر ، وليعبد الله حتى نهاية عمره ..

الى جنوب القبة نجد المقر الرسمي للخليفة عبد الله ، وهو بناء بسيط يتكون من طابقين ، أنشأ الخليفة الدور الأرضى منه سنة ١٨٨٧ ، ثم بنى فوقه الطابق الثانى عام ١٨٩١ ، والبيت عبارة عن مجموعة من الأفنية والغرف يؤدى كل منها الى الآخر ، ويستخدم الآن كمتحف ، ونجد به العنقريب (السرير) الذى ينام فوقه الخليفة ، وصوراً لمعارك المهدى ، والأسلحة التى استخدمت ، وقارب استخدمه الجنرال الفرنسى مارشند لعبور نهر الجور عندما كان فى طريقه الى غزو فاشودة ، وعدداً من عربات حكمدارات السودان ، وتمت الى طراز العربات الذى صنع فى بداية القرن ودفة الوابور الذى كان يركبه كتشنر أثناء حملة دنقلا ، وصور الزعيم السودانى عثمان دقنة ، وكان قائداً عسكرياً موهوباً من قادة المهدى ، وقميصاً أحمر للسلطان على دينار كان يرتديه عندما يذهب لحضور تنفيذ حكم الاعدام ، وكان السلطان علي دينار موجوداً بأم درمان خلال الثورة المهدية ، اشترك فى موقعة كررى فى ٢ سبتمبر ١٨٩٨ تحت قيادة الأمير يعقوب ، ثم عاد الى دارفور ونصب نفسه سلطاناً عليها بعد هزيمة الثورة ، دفع الجزية حتى عام ١٩١٦ ، ثم رفض دفعها ، وأرسلت اليه حملة ، ومات فى الحروب التى تخللت هذه الحرب .

ونفارق البيت ، والقبة ، والمسجد الفسيح الذى يقع الى جوار القبة ، ونطوف بالسوق الكبير ، ولا تخطىء العين تعدد الأجناس داخل حركة السوق اليومية ، القادمون من افريقيا الغربية ، من كانو فى نيجيريا ، يبدأون رحلة طويلة شاقة ربما تستغرق سنوات للوصول الى مكة ، بعضهم يصل ويؤدى فريضة الحج ، والبعض يموت فى الطريق ، واعداد منهم تستقر فى السودان ، وتوجد أحياء كاملة على أطراف الخرطوم يسكنها هؤلاء المهاجرون أو كما يعرفون هنا بالفلاتة ، وبالقرب من أم درمان توجد منطقة اسمها أم بدة بيوتها من الطين ، لم تصلها الكهرباء ، يسكنها عدد كبير من المهاجرين القادمين من الجنوب ، أو الغرب .

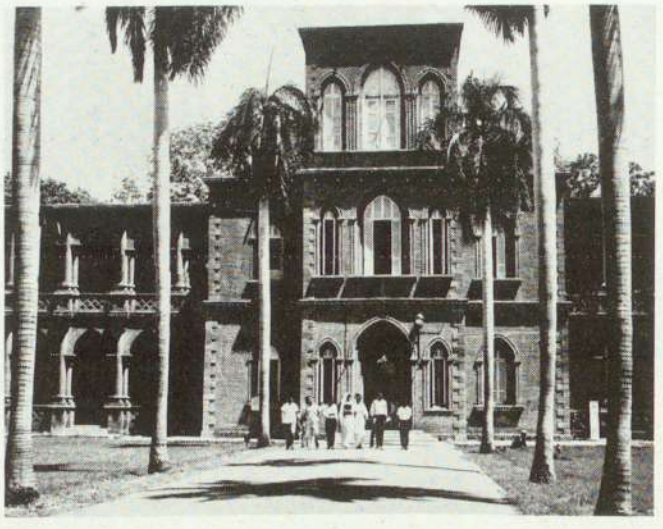
فى أم درمان تنظم مهرجانات شعبية بشكل تلقائى تماماً ، خاصة يوم الجمعة الى جوار ضريح الشيخ حمد النيل ، رأيت حلقة ضخمة تضم آلاف الرجال والنساء ، يشاهدون مباريات المصارعة ، بين أبناء القبائل المختلفة ، وللمباريات أصول ، وقواعد ، ومحكمون ، ويهتز الفضاء بزئير أبناء القبيلة التى انتصر مصارعها ، بالقرب من حلقة المصارعة ، وأمام مسجد حمد النيل يقوم ذكر اسبوعى بعد صلاة الجمعة ويستمر حتى المغرب ، وهو ذكر ذو طابع خاص ، ينتظم المريدون صفوفاً ، ثم يتحركون حركة دائرية ، تصدر أصواتهم المكتومة ، تتشابك أيديهم ، بينما يطوف حولهم بعض الدراويش فرادى ، أحدهم يشير بأصبعه الى السماء ، بينما يتوقف آخر ويدور بسرعة شديدة حول نفسه على ساق واحدة ، وينبطح آخر فوق الأرض مصوباً سلاحاً وهمياً الى عدو وهمى ، وينتهى الذكر بارتفاع صوت المؤذن داعياً الى صلاة المغرب ..

الثقافة

أكتشاف المدينة ، المقاهي ، الشوارع ، الطابع الخاص ، الروح الداخلية ، المعمار ، حضور لقاءات اللجنة المصرية للتضامن الآسيوي الأفريقي بأعضاء اللجنة السودانية ، لقاء عدد من الشخصيات العامة ، هذا ما كان يشغل البرنامج اليومي ، ولكن فى اطار ذلك كان لي هدفي الخاص ، وهو اكتشاف الحياة الثقافية فى السودان بقدر ما تسمح به المدة المحدودة ، والزمن المضغوط .

فى اليوم التالي مباشرة تجولت بالمكتبات ، ثم عرفت طريقى إلى قسم النشر بجامعة الخرطوم الذى يشرف عليه الأديب السوداني علي المك ، وإلى المجلس الأعلى لرعاية الفنون ، الانطباع الأول ، هو جدية حركة النشر المحدودة هنا ، وارتقاء مستوى مطبوعاتها التى لا تصل إلى مصر ، ولا أظنها تصل إلى أقطار العالم العربي الأخرى .

فى السودان تصدر مجلة الثقافة السودانية ، ربع سنوية ، تصدرها وزارة الثقافة السودانية . هناك مجلة آداب السنوية المتخصصة التى تصدر عن كلية الآداب فى الخرطوم . وتعالج قضايا التراث العربي ، والثقافة العربية ، وليست السودانية فقط . توجد مجلة اخرى خاصة بالفلكلور السوداني يصدرها معهد الدراسات الفولكلورية ، وتهتم الصحافة اليومية بالأدب . وتخصص جريدة الأيام يومين فى الأسبوع (الاثنين والجمعة) لاصدار ملحق أدبي . ويشرف عليه الصحفي والأديب عيسى الحلو ، ومادة الملحق متنوعة ، من الواقع المحلي ، والعربي



جامعة الخرطوم

الخرطوم

مدينة امتزجت ملامحها العربية بالملامح الإفريقية !

والعالمي ، وهذا الملحق من انضج الملاحق الأدبية في العالم العربي .

في مجال نشر الكتب ، تتركز جهود النشر في دار التاليف والنشر بجامعة الخرطوم . كتب الدار منتقاه بعناية ، تشمل الدراسات العلمية ، والأدبية ، والابداع ، كما أن اخراجها متقن وأنيق . من أهم الكتب التي صدرت عن الدار (طبقات ود ضيف الله) ومؤلفه محمد النور بن ضيف الله الذي ولد بحلفاية الملوك (١٧٢٧ ـ ١٨١٠م) وترجم في الكتاب لـ ٢٧٠ فقيهاً وولياً وخطيباً وقاضياً ، ويعد كتابه مصدراً أساسياً في حياة السوادن الدينية والعلمية والأدبية والسياسية والاجتماعية ، ويكشف عن المؤثرات الخفية التي أسهمت في تكوين جذور الشخصية السودانية . بل انه أحد المفاتيح الأساسية لفهمها ، حققه الدكتور يوسف فضل ، من كتب الدار الأخرى المهمة « محمد على في السودان » للدكتور حسن أحمد ابراهيم . و « دراسات في تاريخ السودان » ليوسف فضل حسن ، و « المهدية والحبشة » لمحمد سعيد القدال ، و « السودان والثورة المهدية » لمكي شبيكة ، و «القصة الحديثة في السودان » و « نماذج من القصة القصيرة في السودان » لمختار عجوبة ، و القصيدة المادحة للدكتور عبد الله الطيب « الروابط الثقافية بين مصر والسودان » للدكتور ابراهيم الحردلو الذي عمل مستشاراً ثقافياً في مصر لسنوات عديدة

لقد عدت بأكثر من خمسين كتاباً قيماً من مطبوعات الدار ، معظمها ـ إن لم يكن كلها ـ لم يوزع في العالم العربي ، قال لي صاحب إحدى المكتبات ، أنه في أول القرن وحتى منتصفه ، كان الكتاب يصدر في القاهرة وبعد أسبوع يوزع في السودان ، أما الآن فهناك الجمارك والرقابة ، وقوانين الاستيراد والتصدير في كل قطر عربي ، متى يكون هناك سوق عربية مشتركة تتجاوز الخلافات والمحظورات ؟ وهل من المعقول أن يتردى الوضع بالنسبة للكتاب العربي في أواخر القرن العشرين عن أوله ؟ إن الأمر لا يقتصر على السودان فقط ، ويكفي أننا الآن في القاهرة لا ندري شيئاً عما يصدر من كتب في بغداد ، ودمشق ، والمغرب العربي كله . وهذا وضع خطير ستكون له آثار سلبية على الثقافة العربية في المدى البعيد .

الجهة الثانية التي تتولى النشر ، المجلس القومي للفنون والآداب ، ويغلب نشر الأعمال الابداعية على مطبوعات المجلس ، لفت نظري مسرحية يمنية من مطبوعات دار النشر بجامعة الخرطوم ، فبرغم الامكانيات المحدودة يجد مؤلف عربي من قطر آخر مكاناً له هنا .

هناك أيضاً معهد الدراسات الافريقية والآسيوية ، وله مطبوعات قيمة ، تشمل دراسات علمية ، يتم من خلالها اكتشاف وتسجيل التراث الشعبي للقبائل في السودان ، ذات الأصول العربية ، أو الزنجية ، وهو تراث متنوع وخصب ، وما تحويه هذه المطبوعات يمثل ثروة فنية ، ومادة علمية هامة ، وهذا جهد رائد يتم لأول مرة في افريقيا بجهد افريقي لا ينظر الى هذا التراث نظرة سياحية .

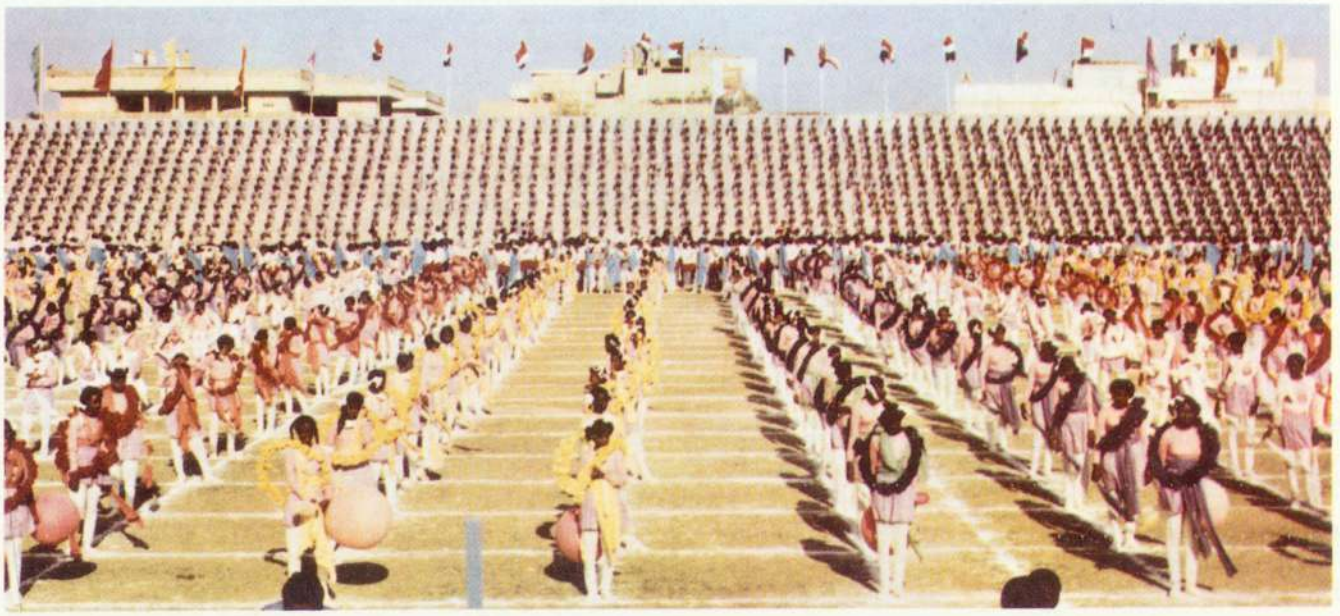
في الخرطوم التقيت بوزير الثقافة الدكتور اسماعيل الحاج موسى ، وأصغى باهتمام الى ملاحظاتي حول ضرورة مد الجسور بين الثقافة العربية في الأقطار الأخرى والسودان ، إن الثقافة العربية كل لا يتجزأ ، واذا انعزل قطر عن الآخر انعكس هذا بشكل سلبي على مجملها . كيف يتم ذلك ؟ أعتقد أنه من الضروري أن تخطو الجامعة العربية خطوة في هذا الاتجاه . بأن تدرس الوسائل الكفيلة بتسهيل حركة الكتاب العرب .

في احدى أمسيات الخرطوم الحارة ، جمعتني في حديقة المجلس القومي لرعاية الفنون والآداب جلسة تعارف مع عدد كبير من الأدباء السودانيين بالنسبة لنا في مصر وجدت أنهم يعرفون أدق التفاصيل عن حقيقة الأوضاع الثقافية ، وما يصدر من كتب ، وأعمال فنية ، وللأسف لا نلم نحن بكل ما يصدر في السودان ، نتيجة لتخلف وسائل تبادل الكتاب والمجلات الأوعية الأساسية لنقل الثقافة .

صحيح أن السودان قدم الى العالم



نهر النيل .. مصدر الجمال والهدوء والالهام للحياة الثقافية الخصبة



احتفالات الشباب حيث الألوان الزاهية ورشاقة الأداء

العربى الروائى المعروف الطيب صالح ، ولكن أعمال الطيب صالح ظلت فترة طويلة فى السودان مجهولة لنا ، ولولا أنه قدم من خلال القاهرة ، فلا ندرى كم من السنوات كانت ستمضى قبل أن نسمع عن «موسم الهجرة الى الشمال» ، و «عرس الزين» .

الفن التشكيلى

.. تعرفت الى الفن التشكيلى السودانى من خلال الفنان الكبير ابراهيم العوام . الذى تتميز أعماله برؤية شفافة ، فيها روح صوفية ، واستلهام لتقاليد الفن العربى الأصيل ، خاصة الخط ، تخرج ابراهيم العوام فى الجامعة الأمريكية عام ١٩٦٤ ، ومن كلية الفنون الجميلة المصرية عام ١٩٧١ . أقام أول معرض له عام ١٩٦٥ ، فى الفاشر ، وعرض فى مصر ، وكوريا الشمالية ، والمانيا ، حدثنى ابراهيم العوام عن مدرسة الخرطوم :

«هذا تعبير أطلقه ناقد نيجيرى ، قال ان هناك حركة متميزة . فى البداية كانت هناك ردة الفعل نتيجة للتلقى الأوروبى ، والمعالجات الأكاديمية ، ثم يجىء الادراك بأن الروح الأوروبية غير مناسبة ، وهنا حدث رد فعل مضاد الى التراث ، واستلهام عناصر تشكيلية من الواقع السودانى ، موجودة فى الخلوة ، فى الكتاب ، فى المسجد ، أشكال الأهلة ، الأقنعة الافريقية ، وهذا يوجد رؤية مختلفة للرؤية الأوروبية ، ويبدو ذلك فى أعمال أحمد شبرين ، وابراهيم الصلحى المقيم حالياً فى قطر وأعماله مقتناة فى متحف الفن الحديث بنيويورك .

ويقول ابراهيم العوام :

هناك المدرسة الجمالية الجديدة الرافضة للتراث ، والقضية عندهم جمالية بحتة ، يرفضون تسمية اللوحة. ويمثل هذه المدرسة حسن موسى ، وعبد الله بولا ، وهناك أيضاً الاتجاه الواقعى ، وثمة اتجاه آخر يحدث ضجة الاتجاه البللورى أو الكريستالى ، وممثلوه رفضوا أى مستوى من الحرفية ومع هذا الرفض تتحدث عن الشفافية فى العمل الفنى ، ويعتقدون أن الشفافية هى الأساس الجمالى فيه ، والفكرة مأخوذة من مسألة الجوهر والمظهر . على رأس هذه المدرسة حامد شداد وكمالا ابراهيم ، ومن الفنانين المتميزين ، أحمد عبد العال ..

والفنان ابراهيم العوام ، يعمل الآن فى لوحة ضخمة بدأها مع بداية القرن الرابع عشر الهجرى ، يحاول فيها استقراء التاريخ الاسلامى ، ومحاولة القاء نظرة على المستقبل ، وتتجسد فيها فكرة اكتمال دفتر الكون فى القرن الرابع عشر ، كما يكتمل القمر فى اليوم الرابع عشر ..

يستوحى ابراهيم العوام عمله من الصوفية ، وقد دخل الاسلام السودان بطريق سلمى ، وليس بالفتح ، وانتشر عن طريق الصوفية . وفى الاسلام توجد التعادلية بين الروحية والمادية ، ويبدو واضحاً فى أعماله التى تستخدم الخط العربى محاولة استعادة القوى البصرية للحرف ، وتحريره من بعديه ، واعادة تقديمه من جديد ، خلفيات اللوحات بيضاء ، بينما تتشكل الحروف فى أشكال معينة ، يحاول ابراهيم العوام استخراج امكانيات وأسرار الحرف ، والحرف فى النهاية ما هو إلا وسيلة من وسائلنا التى نتواصل بها ، وتذكرنا لوحاته بتفسيرات' الصوفية للحروف ، واستخراج الدلالات من أشكالها ، ونطقها ، وعلاقتها ببعضها ..

فى السودان حركة فنية تشكيلية نشطة ، متميزة وخصبة ، وحركة نشر محدودة ولكنها جادة ، وعميقة ، وحيوية ثقافية ، وخصوصية نابعة من وضع السودان كبلد عربى افريقى ، متى نتواصل مع الثقافة السودانية ؟ ، لاشك أننا فى حاجة الى مجهودات صادقة ومخلصة ، تتخطى كل الحساسيات حتى يتم ذلك ، وليت الأمر قاصر على السودان فقط .

جمال الغيطانى

أم الناس

شعر: محمد المهدي المجذوب

يا بائعةَ الكسرةِ
ألقاكِ
الشاشُ الأبيضُ بين يديك غمامٌ نامتْ فيه لفائفُك الغناءْ
يا سمراءْ
أشتمُّ سماحتَك الخضراءَ وترحاب الاتقان رضاء جمالك يضحك لا لِلْغَىْ
لا غيرةَ من أترابك رزقُ الله تقسَّم فى أصحابكْ
كدْحٌ شاكرْ
أهواكِ أصابع صبرك والعمل الموصول الجيد لـبِّ نقائكْ
وَرَزَانتك الشَّمَّاءْ
الفقر تجمَّلَ سَمْتٌ من كبرٍ وحنانٍ بصَّرَنى معناك
يشفينى من سخطى يشكو فى السوق لغير سميع
أسَمِعْتِ بذاك البائع ذاك السارق فى الديوانْ
خان الميزانَ سمعت شكايَتَه الحَيْرَى
يا ويلاهُ إذا شكَّ الميزان
كفَّتُه الأخرى تسألنى عن توأمها المفقودْ
أسمعتِ بظل سجينٍ غُربَتُه عن ظلِّكِ تسألُنى
وأرى أطفالَكِ فى ذاك البيتِ الأقْصَى
ينتظرونَ الخَيْر العائدَ كل مساءْ
يحبو أطفالُك فى بيتٍ يحبُو
معراجُ شُعْبَتُه فى راحاتِ الزَّغبِ ولَثْغِ الألسِنَةِ الأولَى
ذاك البيتُ الناشئُ فوق ركائزَ
لا يَعْنِيهِ نفاقٌ مكتحلُ العيْنَيْن
لا يعنيه
لا يعنيه لصوصُ الشمسِ ولؤمُ السِّعر ولا تطفيفُ الكَيْل
وأوزارُ الخرطومِ المفتونَة
تعنيه الأم تُدِر الحُبَّ العائِدَ كل مساءْ



أطفالُك أطفالى
أبكى فى سرى بين يَدَيْكِ
ودموعى ألوانٌ شتىَّ فى جَنْبى
زهرٌ يتفتحْ
وجراحاتٌ منسياتٌ تَتَذَكَّرْ
أتساءَلُ هل صادَفَهُمْ ذَاكَ السُّكَّرْ
يَتَعَشَّقُهُمْ لم يعرف إلا فيهم حُلْوَ مَذَاقِهْ
أنكرنى لم تعرف نفسى إلا مُرَّ زَعَاقِه

● ●

أهواك عزيمتُك الغَرَّاءُ وهذا العملُ الطيبُ منذ الفجرِ عَلَى رأْسِكْ
وجلست به كالوردةِ رَيَّا تومض فى ظَلْمَاءِ السوقِ المستَنْقَعْ
تَيَّمنى ثوبُك هذا الأبيضُ ، وجهك يسفر لا كالبدرِ ولا كالشمسِ
ولكن من إيمانِك

الثوبُ السابغُ دِرْعَ بلادى لا الباروكة والفستان العارى
فى وجهك هذا الباسم حزنُ الصَّبْرِ تَفَاعَلْ
ما أجمل هذا الحزن الصابرْ
ما أجمل هذا العمل الساهرْ
يتخطَّى القشرَ الصائحَ فى الصَّفحات وفى التِّلفاز وفى المذياعْ
يتخطى اللغْوَ الخادِعَ والساعِينَ إليه بأطماع شوهَاءْ
يا رَاهِبَةَ السودانْ
يا أم الناسِ جميعاً لا يشْرُونَ الكِسْرةَ بل يجنون بَهَاءَ صفائك
يزن الأعمال ولا يزن الأقوال يضيع بها الانسان
أقبلتُ عليكِ أطهِّر نفسى من أعبائِى
أتعلمُ منك الخيرَ الكاسِبْ
أتعشَّقُ حسْنَكِ والاحْسَانْ
وأضاحكُ فيكِ عَزائِى

رسالة لندن من
مجدي نصيف





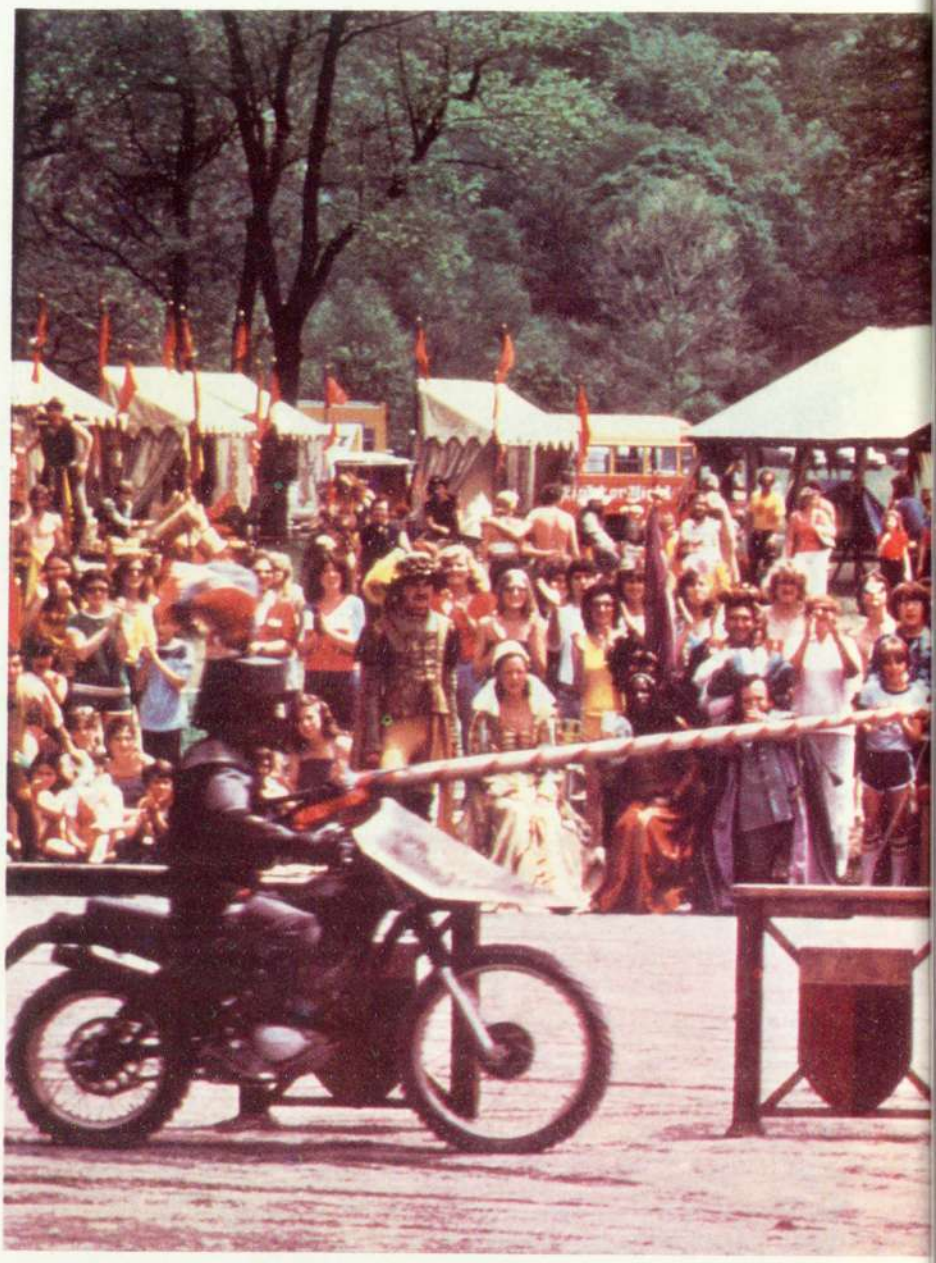
مهرجان لندن السينمائي الدولي الخامس والعشرون

أكثر الأحداث الفنية إثارة في سينما العالم!

«كان مهرجان لندن الدولى للسينما محظوظاً دائماً» .

هكذا قال كين فالشين مدير عام المهرجان فى جلسة النقاد والصحفيين التى سبقت الاحتفال هذا العام باليوبيل الفضى لمهرجان لندن السينمائى، وفالشين كذلك واحد من أشهر نقاد السينما فى الغرب .

ومهرجان لندن الدولى للسينما أصبح الآن واحداً من أكثر الأحداث الفنية إثارة فى بريطانيا والعالم . ويأتى فى شهر نوفمبر، قبيل نهاية العام، وقبل أن ينصرف البريطانيون الى الاعداد للكريسماس



الفرسان الراكبة .. كان مفاجأة أفلام مهرجان لندن .. الفيلم من اخراج « جورج روميرو » الذى اعتاد تقديم أفلام الموت والرعب !

ورأس السنة وأجازاتها . ويصبح المهرجان فرصة طيبة لمعايشة التجارب السينمائية وإعادة تقييم العديد من الأفلام ذات الأهمية والدلالة من مختلف أنحاء الأرض. ورغم أن ميزانية المهرجان محدودة للغاية فهى أصغر ميزانية مهرجان دولى للسينما؛

إلا أن المهرجان اكتسب سمعة عالمية واسعة الانتشار جعلت منه مقصداً للمهتمين بفن السينما ، وأصبح ساحة خصبة للمناقشات الفنية والندوات والمحاضرات عن الأفلام وصناعاتها .

يقول كين فالشين حول المهرجان :

ـ بدأت فكرة المؤتمر عام ١٩٥٧ ، وكان عدد الأفلام المعروضة آنذاك لا يزيد عن ستة عشر فيلماً . لكن بداية المهرجان واكبت أيضاً انبلاج فجر عصر جديد فى السينما : أفلام «الواقعية الجديدة الايطالية» و «الموجة الجديدة» الفرنسية ، التى ما إن أوشكت الخمسينات على نهايتها حتى صارت حركة فنية متماسكة متكاملة على يد «فيتوريو دى سيكا» و «فريدريكو فللينى» و «كلود ليلوش» و «جان لوك جودار» و «آلان رينيه» و «كلود شابرول» . وخلال عامين فقط تضاعف حجم المهرجان كماً ونوعاً . وما إن حل العام الثالث حتى كان المهرجان قد أصبح ظاهرة فنية عالمية لا يمكن لصناعة الفيلم فى العالم الاستغناء عنها .

ومنذ العام الماضى مارست ادارة المهرجان تقليداً جديداً ، هو تقسيم الأفلام المعروضة الى مجموعات نوعية لمساعدة المتفرج على الاختيار من بين هذا الكم الهائل من الأفلام . فهناك الرسوم المتحركة ، وأفلام الأطفال ، والسينما البريطانية . وهناك قسم «الأفلام الأمريكية المستقلة» وهى تلك الأفلام من الموجة الجديدة التى انتجها الشبان الأمريكيون بتكاليف قليلة وبعيدة عن الشركات الكبرى السينمائية ، وهى عادة ما تكون أفلاماً تلتزم بقضايا الانسان المعاصر .

ولقد شهد المهرجان هذا العام ١٧٧ فيلماً من ٣٩ بلداً من أنحاء العالم ، وليس بينها بلد عربى واحد . بالرغم من وجود فيلمين عربيين ، واحد للمغربى أحمد المانونى (انتاج فرنسى) ؛ والثانى للفلسطينى ميشيل خليفى (انتاج هولندى ـ بلجيكى مشترك) .

مهرجان المهرجانات

لقد نجح مهرجان لندن السينمائى الدولى الى درجة أن النقاد يطلقون عليه اسم «مهرجان المهرجانات الدولية» . بل وأصبح المهرجان مميزاً عن المهرجانات الدولية الأخرى رغم أنه لا يقدم جوائز وكانت الأسباب التى يظن أنها ستتسبب فى فشله ، هى الأسباب وراء نجاحه :

فاولا : لا يتبع المهرجان مؤسسة تجارية أو حكومية ، وإنما يتبع هيئة اكاديمية مستقلة هى «معهد الفيلم البريطانى» الذى يعتمد على الدعم المباشر من وزارة التعليم ومن «مجلس الفنون البريطانى» .

و«معهد الفيلم البريطانى» من أعرق معاهد العالم السينمائية والفنية ، وتعتبر مكتبته سواء تلك الخاصة بالكتب أم تلك الخاصة بالأفلام ، من أقدم وأكمل مكتبات السينما فى العالم .

وثانياً : يصر المهرجان على استقلاليته عن الشركات الكبرى السينمائية

ولهذا لا يقدم المهرجان أية جوائز . وإنما يقوم قضاته باختيار أفضل عشرة أفلام من كل مهرجان عالمى (موسكو ـ قرطاج ـ طشقند ـ كان ـ البندقية) . ويقوم النقاد بترشيح عشرة أفلام أخرى . ولا يعنى ذلك أنها الأفلام الفائزة بالجوائز ، لأن حسابات الربح والخسارة والسياسة والاحتكار تتدخل فى هذا ، وإنما يضع القضاة لوائح خاصة بهم تعتمد على أسس فنية وأكاديمية بحتة .

ويعطى المهرجان الفرصة للمخرجين الشبان والجدد ، الذين يمثلون تيارات جديدة ويعبرون عن مضامين فكرية جديدة . وعادة ما يكون هؤلاء المخرجون من الشبان السينمائيين الذين يعالجون قضايا اجتماعية هامة تتناولها أفلامهم . كذلك يقدم المهرجان أفلاماً عن قضايا التحرر الوطنى والتفرقة العنصرية والمرأة .

أما مفاجأة مهرجان هذا العام ، فيقدمها كين فالشين بقوله :

ـ مثلما قدمنا عام ١٩٥٨ المخرج اليونانى أنجلو بولس ، نقدم هذا العام المخرج الفلسطينى ميشيل خليفى فى فيلمه «الذكرى الخصبة» .

يقول ريتشارد راود الناقد السينمائى الأمريكى ، والمستشار الأدبى للمهرجان :

ـ بينما أحجم مهرجان «كان» ومهرجان «البندقية» عن تقديم ما يدور فى جميع أنحاء العالم ، من كفاح الانسان ضد الاستعمار والعنصرية فى الخمسينات والستينات ، أعطى مهرجان لندن ، ومايزال ، الأولوية لهذه الموضوعات .



مهرجان لندن السينمائي الدولي



انظر وابتسم .. احد الأفلام الانجليزية الجديدة التى تعالج مشاكل الشباب

كان مهرجان لندن سباقاً فى تقديم الأفلام الأمريكية المعروفة باسم «أفلام تحت الأرض» ، التى كشفت بشاعة قصف النابالم على الشعب الفيتنامى وغير هذا من الموضوعات

وعرض المهرجان أفلام المخرج الجزائرى محمد الأخضر حامينا ، عن كفاح الشعب الجزائرى من أجل الاستقلال .

وفى العام الماضى عرض المهرجان الفيلم الايطالى «اسرائيل البدو» للمخرج الشاب كارلو كارلوتو ، والفيلم شبه تسجيلى . وهو يقول لنا ما وراء الأخبار ، حيث أن الأخبار التى يقدمها لنا التليفزيون هى أخبار تخاطبنا وتتركنا عند اللحظة التى يقع فيها الحدث موضع الخبر . وهى لا تحاول أن تقدم لنا تفسيراً لما وقع قبل هذا الحدث ،

ولا توصلنا الى النتائج المترتبة على حدوثه . وهنا يقضى كارلو كارلوتو أسابيع طويلة فى مخيمات البدو الذين أصبحوا لاجئين بعد «الحدث الخطير عام ١٩٤٨» . وقد منعت السلطات الصهيونية عرضه لأنه يكشف المؤامرات الصهيونية ضد الفلسطينيين ، وضد بدو صحراء النقب .

والظاهرة الملفتة للنظر هذا العام هى دخول المخرجين من أوربا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية فى انتاج الأفلام الأنسانية ، ففى الأعوام السابقة كانت الأفلام الانسانية ـ الفنية المحتوى الجيدة التعبير السينمائى القليلة التكاليف ـ تقتصر على العالم الثالث وبعض الدول . والسبب فى عودة السينما الغربية إلى انتاج أفلام هادفة هو ظهور أشكال جديدة من التعاونيات السينمائية ، تعرف فى الولايات المتحدة باسم «السينما المستقلة» . ويمثلها فى مهرجان لندن الدولى هذا العام ١١ فيلماً . كما يشترك المخرجون البريطانيون فى هذا المجال بـ ١٢ فيلماً أيضاً بعضها تم اخراجه عن طريق منح تقدمها وزارة التعليم .

موضة الأخلاقيات

وقد بدأت شركات السينما الكبرى تدرك أهمية التيارات الجديدة ، فدخلت

كمنافس فى الأفلام الهادفة بتوظيفهـــا لمخرجين على درجة من الثقافـــة ، وفي رأى عدد من النقاد البريطانيين أن السبب وراء هذا هو حرص هؤلاء على «ألا يتخلفوا عن حركة المد فى رفع الوعى السياسى» . وفى رأى عدد آخر من النقاد أن السبب هو ظهور تيار أخلاقى جديد بين صفوف أصحاب الشركات والمنتجين أنفسهم ، تيار يعادى الحرب ويحذر من «تدهور قيم المجتمع» .

شركة يونايتد ارتست على سبيل المثال ، تقدم فيلم «على طريقة كاتر» تتردد فيه أصداء بشاعة الحرب الفيتنامية التى تركت بصماتها الفظيعة على المجتمع الأمريكى ومازال يعانى من ذلك حتى الآن رغم مرور سنوات على انسحاب الجيش الأمريكى . وسيناريو الفيلم كتبه جيفرى آلان فيسكين الذى اقتبسه عن رواية للكاتب الروائى الشهير نيوتن تورنبرج . وقد استدعت الشركـــة الأمريكيـــة المخـــرج التشيكوسلوفاكى ايفان باسير الذى اشتهر عام ١٩٦٦ بعد أن فاز فيلمه الثانى «كرة رجل المطافىء» باحدى جوائز مهرجان موسكو للسينما ، لاخراج هذا الفيلم .

يتركز الفيلم حول شخصية كاتر الذى يحسبه الناظر «عالة على المجتمع» ، «لا يصلح لشىء» . فهو «مشوه» «مشلول الذراع» «مبتور الساق» «أعور» . وهو يعاقر الشراب طوال الليل والنهار ، ويسيء معاملة زوجته . ولا نكتشف حقيقة المأساة إلا فى منتصف الفيلم ، حينما يتحدث «كاتر» عن رجل الأعمال السيد ج.ج. كورد الذى يمتلك الشاطىء والمدينة والصحافة المحلية ونصف اسهـم شركـة التليفزيـــون . نكتشـف الحقيقة عندما يقول كاتر :

ـ «نذهب أنا وأنت لنموت فى أدغال فيـتنام ، ليزداد ج.ج كورد ثراء» .

وقد برع جون هيرد فى رسم أبعاد شخصية «أليكس كاتر» ، الذى يطرح مأساة جيل كامل من الشبان الأمريكيين الذيـن ساقتهـــم مصالـح الشركـــات العالمية الكبرى ، وخاصـة شركـــات السلاح ، الى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ، وألقوا بآلاف الأطنان من القنابل والمحرقات والنابالم على رؤوس أبناء الشعب الفيـتنامى البسيط البرىء وحقولهم ومزارعهم وبيوتهم ومصانعهم .

وتكمن روعة الفيلم ، وبراعة المخرج ، فى اللغة السينمائية الراقية التى استخدمها . فالاشارة الى فيتنام قليلة جداً ، وفى جمل قصيرة للغاية ولكنها ملتهبة الغضب ، مثل :

ـ «كنت ملقى على الشاطىء أنزف ، مبتور الساق ، وأنتم هنا تتعاطون المخدرات» .

ويركز الفيلم على البنية الاجتماعية الداخلية للمجتمع الأمريكى ، والفساد الأخلاقى الكامن وراء «العنف» الذى تصدره الولايات المتحدة الأمريكية الى فيتنام والعالم ، فخلف واجهة «الشاطىء» و «النادى» و «اليخت» و «حمام السباحة» ، «السيارات الفارهة» يقبع القبح والعنف وتناقضات مجتمع الظلم الاجتماعى . والمحصلة هى تعفن وانحلال البناء من الداخل : إنه يتهاوى وينهار عند أول صدمة .

ويشير كثير من النقاد الى أن دور الزوجة «مو» الذى قامت به ليزا ايتشهورن ، يعتبر أفضل دور نسائى لهذا العام ، فرغم قلة الحوار الذى أفرد لها ، تمكنت ليزا من رسم أبعاد تعقيدات شخصية أنثى نضجت فى السبعينات بعد امتصاص خبراتها الأولى فى الستينات ، وهى اشارات واضحة الى الحرب الفيتنامية .



الكاتبة سحر خليفة فى فيلم «الذكرى الخصبة» الذى كان مفاجاة المهرجان هذا العام

ذكرى من فلسطين

واذا كان المخرج التشيكوسلوفاكى إيفان باسير قد نجح فى استخدام ظاهرة «العنف» فى كشف حقيقة مجتمع الرفاهية ، فان الفلسطينى ميشيل خليفى استخدم لغة سينمائية رقيقة ومبتكرة فى حركات كاميرا شاعرية رشيقة ولقطات انسانية تدور حول «الحياة اليومية» لعرب الضفة الغربية ، فتمكن رغم الرقة والشاعرية من نقل واقع مأساوى مرير ، للظلم الذى لم يسبقه مثيل فى التاريخ ، ذلك الظلم الذى تعرض له الشعب الفلسطينى .

ورغم بساطة الفيلم وقلة تكاليفه ، إلا أن كاميرات ايقزفان ديرميرين ، ومارك أندريه باتيجن ، تمكنت من تسجيل أدق تفصيلات الحياة مع المونتاج العبقرى الذى قامت به مفيدة الطلاطلى ، والذى ساعد على الاظهار الموهوب لثراء الحياة



احدى لقطات الفيلم الفائز بجائزة النقاد وهو فيلم الجماعة الجديدة



مهرجان لندن السينمائي الدولي

الاجتماعية للفلسطينيين فى ظل الاحتلال الاسرائيلى ، وهم يحاولون المحافظة على شخصيتهم «العربية الفلسطينية» بملامح ثقافتها ، رغم العذاب اليومى تحت نير سلطات احتلال فظيع .

ومن خلال التناقض بين الحوار البسيط لفلاحات فلسطينيات فقيرات ، اثناء اعدادهن لوجبات فخمة ، تمكن المخرج عن طريق الحوار العاطفى الذكى والساخر أن ينتزع الضحكات وأن يشحذ الذاكرة لتفتح النوافذ على حقيقة المأساة الفلسطينية .

ويتمكن فيلم «الذكرى الخصبة» لميشيل خليفى من أن يصبح دراسة انسانية هامة للمجتمع الفلسطينى فى الضفة الغربية فى ظل الاحتلال وينجح فى أن يقدم «الانسان الفلسطينى» فى شخص «امرأة عجوز» تصبح أمثالها وحكاياتها هى معين لا ينضب يروى «الذكرى الخصبة» من التقاليد والعادات والتراث الثقافى الذى يعبر عن تشبث الشعب الفلسطينى بالأرض ، رغم محاولات الصهيونية . وقد شاركت الكاتبة الفلسطينية سحر خليفة بالتمثيل الى جانب فرح حاتوم فى تقديم لغة سينمائية راقية قال عنها الناقد السينمائى إيان كريستى :

ـ اذا تمكن المخرج من أن ينسج موضوعاً انسانياً ، حول محور فكرة فنية فانه يكون قد أبدع بلغة السينما .

ولقد تمكن المخرج بمساعدة الممثلتين من أن يرسم خريطة الجغرافيا الانسانية للمشكلة الفلسطينية حول محور «الذكرى الشعبية» لفلسطين العربية .

صعاليك معاصرون

أما المخرج المغربى أحمد المانونى فقد قدم فيلماً اسمه «الحال» استخدم فيه الثقافة القومية . ويدور فيلمه حول فرقة موسيقية مغربية اسمها «الناس الغوانى» تحاول تقديم أغنيات عربية على طريقة فرق «الروك أند رول» الغربية باستخدام آلات موسيقية عربية . والفرقة نفسها محاولة عصرية لاحياء حلقة من التراث الجاهلى ، مجموعة شعراء الصعاليك الذين كانوا يرتحلون من مكان الى آخر .

وتعتزم هذه الفرقة الطواف بعواصم العالم مع التركيز على أوربا الغربية ومن ثم يعتبر فيلم «الحال» ، مقدمة فنية طيبة



جدل ساخن حول اخلاق الفرسان فى مجابهة اغلال العصر .. اللقطة من فيلم الفرسان الراكبة .. ابرز افلام المهرجان !

لطوافهم هذا . ويشير المخرج فى نفس الوقت بأسلوب ممتع ، الى رفض الكبار وحملة التقاليد فى وجه هذه الظاهرة الجديدة .

ولعل فيلم «الفرسان الراكبة» هو أبرز أفلام المهرجان هذا العام . إنه عن «المجموعات المتجولة» ذات الثقافة الخاصة جداً ، والتى تنفرد بها عن الثقافة الاجتماعية السائدة ـ كظاهرة الهيبيز فى الستينات على سبيل المثال ـ والفيلم من اخراج المخرج الأمريكى جورج روميرو . وروميرو مخرج غريب فريد من نوعه ، فما بين فيلمه «ليلة الموتى الأحياء» (عام ١٩٦٨) و «الفرسان الراكبة» الذى يقدمه فى العام الحالى ، قدم سلسلة من «أفلام الرعب» المتميزة الخاصة به ، عن الموتى الذين يتركون القبور . وإن كانت كلها تعليقاً نقدياً بشكل غير مباشر على المجتمع

وأبطال فيلمه الجديد ، الدقيق الصنع الانساني المحتوى ، مجموعة من الشباب راكبى الدراجات البخارية ، الذين يستخدمونها بدلا من الجياد ، فى حلقات نزال كالتى شهدتها أوربا فى القرون الوسطى بين الفرسان . وفى هذا المجتمع الجديد ، هناك مجتمع بأكمله يرتدى ملابس بداية عصر النهضة ، بالرقص والموسيقى . وتتعرض الجماعة لمسالتين تتحول كل منهما الى امتحان عسير : الأولى عندما قابلوا الشرطى الشرير المرتشى الذى يريد فرض اتاوة عليهم . (وتتكرر ظاهرة العداء للشرطة فى معظم أفلام روميرو) . والثانية عندما يتعرض عدد من «الفرسان الراكبة» لاغراءات التليفزيون والشهرة وشركات الانتاج الاحتكارية ، هنا يفكرون أمام الاغراءات فى التخلى عن مبادئهم ، المتمثلة فى رفض المدنية الحديثة والتحلى بأخلاق الفرسان .

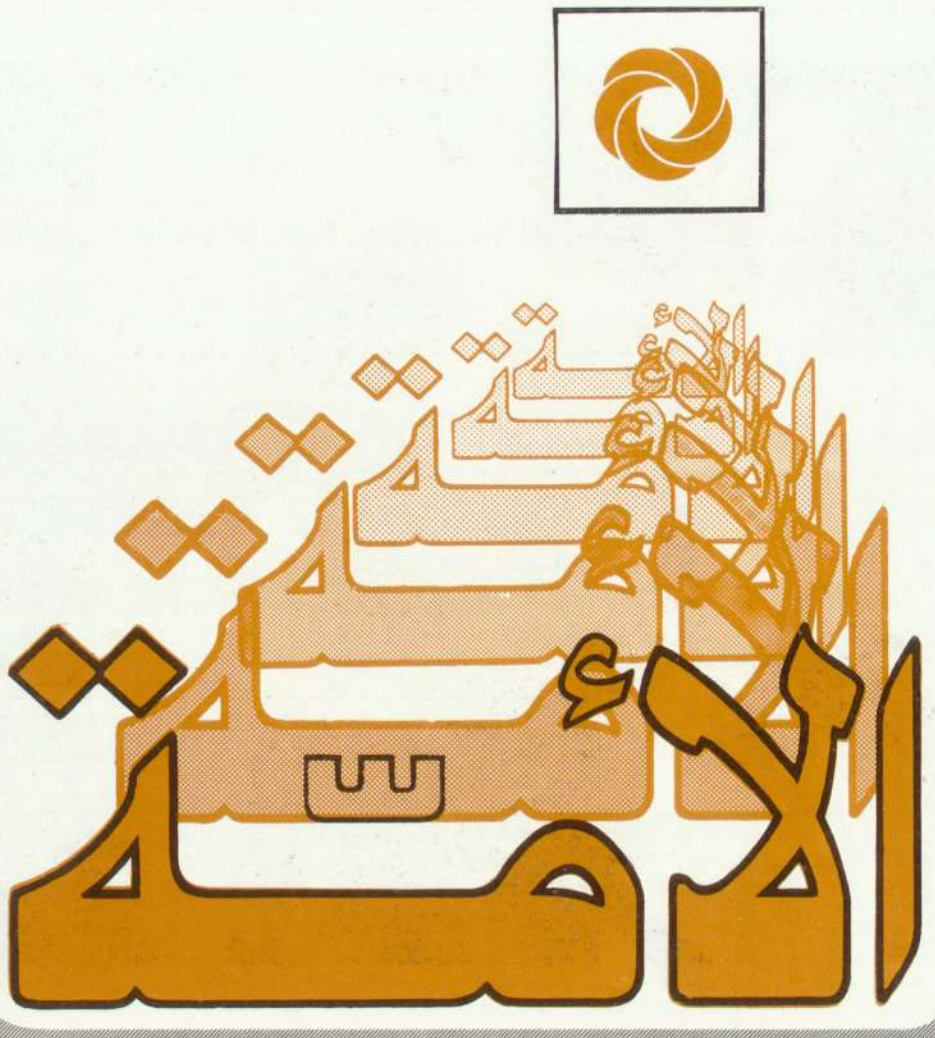
وهنا يطرح روميرو السؤال الأخلاقى التالى : هل يمكن أن يعيش «المفكر» و «الكاتب» حياة نقاء رومانسية فى المجتمع المعاصر ؟ وهل يمكن للفنان أن يقدم فنه لنفسه فقط وبقيم أخلاقية مجردة ؟

ولأن روميرو نفسه يعيش هذه «التجربة» ، فهو يلح على الجمهور لمحاولة البحث عن إجابة لحيرة الفنان بفحصه لعالمه الخاص جداً ، الفنان النقى «أحادى» الفكرة . ولا يقدم روميرو إجابة شافية .

● ●

ولاشك أن المهرجان فرصة طيبة للنقاد والسينمائيين والكتاب العرب الذين لم نر واحداً منهم فى القاعة القومية للعروض السينمائية على الضفة الجنوبية لنهر التيمز ، والتى تحتل مكانها فى مدينة الفنون التى تضم مبانى المسرح القومى ومعرض هايوورد وقاعة الاحتفالات الملكية وقاعة الملكة اليزابيث .

مجدى نصيف



- قراءة إسلامية للمشكلات الحضارية والثقافية المعاصرة
- تحقيقات علمية واستطلاعات مصورة
- تلتقي فيها مع كبار المفكرين والكتاب

الأمة Al Ummah

- مع مطلع القرن الخامس عشر الهجري وفي بداية احتفالات العالم الإسلامي بهذه المناسبة كان صدور مجلة الأمة .

وقد استقبلها المفكرون والقراء في جميع أنحاء العالم بالاهتمام والتقدير لما تميزت به من الأصالة والمعاصرة في معالجة قضايا المسلمين والاهتمام بشؤونهم وذلك بأقلام كبار الكتاب.

- من رسالة المجلة :

جعل المسلمين أكثر إحساساً بمتغيرات الحياة وضرورة اختصار فترة التخلف .

مواكبة التطور على هدي من تعاليم الإسلام . حتى يعود المسلمون إلى مكانهم في قيادة البشرية إلى الخير وتتوحد كلمتهم ، يرمز لذلك شعار المجلة حيث الهدف اتحاد المسلمين في القارات الخمس .

إسلامية شهرية جامعة

تصدر في غرة كل شهر عربي

مع كل عدد هدية

١٠٠ صفحة بالألوان

بقلم : محمد فتحي

مطلوب للتليفزيون العربي :

طبقة واعية من كتاب الدراما

المتعة التى يلقاها ويسعد بها المتتبع للمسلسل الدرامي ـ ذى القيمة الفنية ـ لا تجيء من مجرد التشويق ، النابع من التسلسل الحكائى . أو من إزاحة الستار عن سر غامض (مَن مِن أولئك الذين تحوم حولهم الشبهات هو القاتل ؟) . المتعة الحقيقية تجيء عن طريق التأمل ، التأمل فى مصير .. فى موقف إنسانى قاصم للظهر ، موقف درامى قد يرى المرء نفسه مغروساً فيه .. انظر الى ذلك الطاغية جى آر فى المسلسل الامريكى المشهور دالاس . انك تسائل نفسك ، داخل نفسك .. أما من أحد قادر على الوقوف فى وجه هذا الطاغية ؟ هل يقوى أخوه الأصغر عليه ؟ أليس لطغيانه من نهاية ؟! انه يخرب البيوت .. يدمر الأسر .. يهدم بيوت المال .. يذبح كل قيمة اخلاقية موروثه .. يفلس الشركات ، ويدفع بالمفلس الى الانتحار .. ؟! وقد تجد نفسك فى آخر الأمر تقف مع الضحايا ، تبرر مسلكهم غير المشروع .. لقد ضاقت فى وجوههم السبل ، ولم يبق أمامهم للتخلص من هذا الشر الكبير الا ان يصطفوا فى الطابور .. لاغتياله .!؟ اظهر من فى الطابور كانت أقرب الناس إليه .. زوجه ؟! زوجه وأخت زوجه .. نعم ولكن ليس أقرباء الدم ! أواصر العرف الأسرى ـ وهو هنا فى هـــذا المجتمع مكين ـ تكف يد الأخ عن أخيه ، وتدفع به بعيداً عن الطابور .. كما دفعت بأخ له من قبل بعيداً .. الى أرض الله الواسعة .. ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟!

أو انظر الى ذلك الموقف الآخر ، الذى يواجه فيه الأخ الأصغر قوى لا قبل له على احتمالها .. من دسائس تغرق ناقلات الزيت الثمين .. ومبتز يطلب الملايين أو يدمر آبار الزيت .. ويدمرها بالفعل ، أمام أعيننا ، ونراها تشتعل لهيباً بنفسجياً مأساوياً مآله إلى رماد متفحم .

لارى هاجمان يؤدى دورج . آر . الشخصية المستبدة فى جميع تصرفاتها



تلك نماذج من نهاية الحلقات فى المسلسلات الأجنبية . مواقف لا تدعو الى التشويق والترقب بقدر ما تدعو الى التفكر والتأمل العميق .. الى تحريك الضمير الانسانى .. كأنما تلتمس الاستهداء فى مواقف التيه .. فى موقف هذا الرهين الانسانى من هذا الكون اللجي ، العجيب المثير المعقد .

عندما يبلغ المسلسل الدرامى العربى فى حياكته ونسيجه مثل هذا المستوى يكون قد تجاوز مرحلة الاضطراب الى الاستقرار والسير على الطريق المستقيم المسألة فى المقام الأول مسألة تأليف . ولعل المشاهد العربى طعم مذاق التأليف الجيد فى قلائد طه حسين وجوده السحار الأيام وعلى هامش السيرة ومحمد رسول الله .

بيد أن التأليف وحده ، لا يمكن اعتباره ، فى التليفزيون ، بمثابة جواز المرور ، أو بمثابة الشهادة المسوغة للقبول . فالجانب الآخر من العمل الدرامى أو الصبغة أو الحرفية الفنية ،

مطلوب للتليفزيون العربي طبقة واعية من كتاب الدراما

تلك التى تتضمن عمليات ما يسمونه السيناريو أو التجزيء المشهدى ، والاخراج ، والتمثيل ، وبقية الاجراءات الحرفية التى تصب الحياة فى المؤلف وتجسمه للعيان ـ هذا الجانب جوهرى لا يستقيم عمل درامى متلفز بدونه . فهو الأصل . بدون المسرح وخشبته وفنونه لا توجد المسرحية . بدون المنبر لا مكان للخطيب والخطبة . كذلك بدون أداة التليفزيون لا وجود لمسلسل تليفزيونى . اذن فهو فن له أصالته وتميزه وخصائصه . قد يكون لب الدراما الانسانية واحداً . لكن فن الكتاب غير فن المسرح ، غير فن التليفزيون ، الالكترونى .

من هنا لم تظهر بعد عندنا ، فيما أحسب ، طبقة من الدراميين التليفزيونيين المتفهمين تفهماً علمياً لأدائهم ، بطبيعتها البصرية (أى الدارسين لطبيعة الضوء والصوت والتصوير دراسة علمية) ، والمتفهمين لسيكولوجية الفرد وردود فعله وتجاوباته والمتفهمين أيضاً للخصائص الذاتية فى مختلف الأدوات الأخرى مثل أداة الكتاب والراديو والمسرح . كثيراً ما يلتبس عليك الأمر وأنت تشاهد المسلسل التليفزيونى العربى .. هل أنت أمام مشهد مسرحى .. فهو ثابت ، جامد ، لا يتغير ، الحوار فيه مستفيض مستطيل .. أم أمام مشاهد تليفزيونية يتعين أن تتغير بمعدل زمنى لا يقاس بالثانية وإنما بجزء من الثانية ؟!

شيء آخر جوهرى يغيب عن المخرجين والسينارست العرب وهو أنهم لا يدركون حقيقة تختص بها أداة التليفزيون ، مما ينتقص من أعمالهم كثيراً من القيمة . تلك هى أن التليفزيون فى جوهره ، يكره الاصطناع . انه يكبر (الواقع والكائن) ، يقرب ، يبصر ، يسمع ، يصفى ، يجمل (بتشديد الباء والراء والصاد والميم والفاء واللام على الترتيب) . لكنه لا يحب التلفيق والتزييف والاصطناع إذ قل ان ينجح فى الايهام بها . لذلك يكون التليفزيون فى أحسن حالاته عندما يقدم الأخبار والوقائع والأحداث وكل ما هو واقع وكائن وصادق . بل ان فيه لصفة عجيبة سحرية . عين الكاميرا الالكترونية ذات خصيصة يدركها المتعاملون تعاملا وثيقاً مع الجهاز .. تلك هى التغلغل فى الأعماق ، والكشف عن الباطن ، وخاصة فى نفس الانسان . انه مثل أشعة إكس يكشف عما يكنه الباطن مما لا تراه العيون المجرده . تستطيع أن تتحسس الحكم على شخص تراه على الشاشة . تستطيع الحدس هل هذا الرجل صادق فيما يقول ، أم كاذب ، أم ملتو ، أم مزيف ، أم مذعور .. هل يتظاهر بما ليس فيه ؟!



طه حسين .. من عمالقة الأدب الذين قدم لهم التليفزيون بعض الأعمال



عبد الحميد جودة السحار .. معظم مؤلفاته تقريبا قدمها التليفزيون فى اعمال درامية

نعم التليفزيون نَمَّام

لذلك وبناء على هذه الحقيقة وهى كراهية التليفزيون للاصطناع تحاول الأداة عندما تقدم الدراما ـ إذ أنها وان كانت تعكس واقعاً إلا أنها بعد كل شيء تأليف وخلق ـ نقول تحاول أن تلبسها لباس الواقع أو أن تقتطع من الواقع ذاته . فعندما تصور مجتمعاً مثل مجتمع المزرعة ـ فى دالاس مثلا ـ ترى هذا المجتمع رؤية واقعية شاملة . ولا يتسرب إلينا أدنى شك فى أن المزرعة التى نراها مزرعة وهمية صنعها لنا المزيفون ! نرى البيت تحيط به الخضرة الحية والمراعى الشاسعة . ونرى اصطبلات الخيل . ونرى الخيل وسائسيها . ونرى الأبقار ترعى . ونرى رياضات المزرعة مثل مطاردة الثيران والأبقار وصغار العجول وكيفية الامساك بها . ونرى كيف تساس الخيل الجامحة والثيران الهائجة . ونرى الآفات والأمراض التى تصيب البهائم وكيف تعالج . ثم نتذوق الحشائش

لنتأكد من صلاحيتها للماشية ترعاها .

نحن لا نرى فقط مشاهد المزرعة الخارجية ، بل نرى أيضاً داخل البيت . حجرة النوم ، وغرفة المعيشة العامة والمائدة فى الفراندا ، وحمام السباحة والسابحين فيه من اهل البيت . كذلك نرى أفراد هذا المجتمع العاملين فى المكاتب فى العمائر الشاهقة . نرى العمارة ومصاعدها ونرى داخل المكتب .. رئيس المكتب بمكتبه وتليفوناته وخزانة مشروباته ونرى السكرتيرات والآلات الكاتبة ، تماما كما هم فى الحقيقة والواقع غير الروائى .

مجتمع المزرعة موزع بين الزرع والرعى فى ناحية وإنتاج البترول الموجود فى الأرض فى ناحية أخرى . لذلك نرى آبار البترول وهى تعمل وتضخ حقيقة لا تمويها ، ونرى المصفاة . نشهد على الطبيعة كل ذلك وكل مايدور من صراع فكرى حول طبيعة البترول وطبيعة المراعى والتنافر بينهما بسبب ما يصيب البيئة الزراعية من تلوث ..

يمرض بعض أهل المزرعة فنرى المستشفى الحقيقى ، ومصحة عامرة بنزلائها . ونرى المرضى يستشفون ، ويتدربون على الأجهزة المساعدة ، كما نرى الحديقة والشارع والسيارات تجرى فيه ، والجراجات والبارات والمقاهى والمطاعم .. المجتمع الكبير الشامل يمثل أمام عينيك وكأنما أنت تسبح بين أرجائه .

أو انظر الى المسلسل المرح الضحاك ، المدعو سفينة الغرام .. أنت ترى سفينة وليس إيهاماً بسفينة . بل كأنك تعيش فيها . ترى الكبائن والقمرات ، وترى ظهر السفينة .. المشرب ، والملهى والبيانو قائم فيه ، والمسبح والمقاعد مصطفة حوله . وترى مشاهد الغرام بين الأحباء ومن خلفهم البحر الممتد ، بأمواجه ، ثائراً أو هادئاً كبحر من زيت ، أو داكناً ، أو بترولى اللون . وترى المطبخ ، والمطعم منسقة فيه الموائد المهيئة تنسيقاً لا شائبة فيه ، عمل مطعميين لا تليفزيونيين !

وقس على هذا فى كل ما ترى من مسلسلات أجنبية وتفكر فيه .

ثم انظر بعد ذلك الى أى مسلسل عربى يجرى على شاشتك . وتفكر فى ذلك الذى ذكرناه من الطبيعية والتوازن والتنقل بين المشاهد الداخلية والخارجية . وهيىء نفسك لتنتقل مع المخرج من الداخل الى الخارج أو بالعكس . أغلب الظن أن المخرج سيخيب أملك تماماً . فالمشاهد كلها تجرى فى غرفة أو غرفتين أو ثلاث ، كل شىء فيها ينطق بالزيف من أثاث وستائر وأبواب ونوافذ وزهور .

ان تكن الأحداث فى طائرة أو قطار فنحن نصنع فى الاستديو شيئاً يمثل ركنا من الطائرة أو ركناً فى عربة قطار .



وان تكن محطة سكة حديد فنحن لا نشهد غير غرفة مصنوعة تمثل غرفة ناظر المحطة .. ولا نرى رصيفاً ولا قضباناً ولا ركاباً ولا سيمافور ولا نرى قطاراً ولا نسمع صفيراً ولا .. ولا ..

فى مسلسل تجرى أحداثه فى قرية ، لم نشهد من القرية غير غرفة نوم شيخ البلد ، وامرأته على الدوام نائمة فى سريرها ، وهو يستقبل فى نفس الغرفة خفيره وحلاقه وعيونه من الخطاب . لم نر حقلا ولا بقرة ولا حماراً ولا ترعة ولا كوم سباخ ولا شجرة صفصاف .. حتى الساقية والبئر والطريق صنعت جميعها داخل الاستديو !

تمويه وإيهام لا يخفى على عين مشاهد . ولعل فيه يكمن السر فيما ينتابه من انقباض وبرم ، فى حين ينشرح صدره ، عندما يمتد بصره وخياله ، عبر المشاهد الطبيعية الممتدة الآفاق التى تقدمها له المسلسلات الأجنبية الجيدة .

هل المنتجون والمخرجون العرب ، وهم عاملون على نطاق الوطن العربى كله ، يستهينون بعقلية الجمهور ، عامدين ، وكأنما يقولون له طظ !؟

هل المنتجون والمخرجون العرب يجهلون الحقائق الأساسية عن طبيعة الأداة التى يتعاملون معها وتغل عليهم ما تغل من دخل سمين ؟!

هل يصدق عليهم القول المشهور .. ان كنت لاتدرى فتلك مصيبة . أو كنت تدرى فالمصيبة أعظم ؟!

طبقة واعية من الدراميين التليفزيونيين .. متى تظهر ؟!

محمد فتحى

شيء ما .. هاجس خفي في أعماق النفس ، يدفع الكثرة من الشعراء ، إلى الحديث عن الموت في زمن مبكر من حياتهم . يدورون حوله في قصائدهم . يرحبون به ، أو يخافون منه . وعندئذ يقبلون على الحياة يعبون منها قبل أن تقلع بهم السفينة يوماً .. إلى مالا نهاية !

الشعراء
ورحلة العمر القصير.. الجميل !

بقلم : د. الطاهر أحمد مكي

أراد جوان مرجال (١٨٦٠ ـ ١٩١١) ، وهو شاعر عظيم من قطلونية ، إحدى مقاطعات اسبانيا في الشمال الشرقي ، أن يكتب قصيدة مدح أخيرة ، بعد أن أبدع الكثير من قصائد المديح ، وأن تكون في مدح الموت ، فامسك القلم ذات ليلة ، وخط الكلمات التالية : « إن أعظم ما يمكن أن يمدح به الموت أن يقال إنه لا يوجد » . ولم يكتب غير هذه الجملة ، ومات في اليوم التالي .

لم يتجاوز الشاعر الواقع ، ولم يكن متجنياً على الموت ولا منكراً له ، وإنما أراد أن يقول أن الموت لا وجود له في عالم التجربة ، وإنما يوجد في الاحساس فقط ، ويمكن أن نعيشه فقط ـ وياله من تناقض ! ـ ولا يمكن أن نموته فعلا ، لأن الحي يمكن أن يفكر في العدم ، وأن يتصوره ويعايشه ، ولكنه لا يستطيع أن يكون العدم نفسه ، ثم يتجاوزه إلى الوجود ثانية ، ويصف ما رأى وأحسّ ، ومامن أحد تحدث عن الموت تجربة ، كلنا نتحدث عنه تصوراً ، وإحساساً ، وما أكثر ما نتحدث عنه ! .

ورغم أن الشعر يضيق بالكلمات ذات المعاني الجامدة ، والمصطلحات المحددة ، لأنها تحاصر الخيال وتسجنه ، خيال المبدع والمتلقي على السواء ، ومع أن كلمة «الموت» ذات معنى واضح محدد ، إلا أن جهل المرء بأسبابه وما وراءه ، وما يحدث أثناء الانتقال من الوجود الى العدم ، فتح الباب واسعاً أمام الخيال الانساني ليتصوره بالطريقة التي يحبها ، في ضوء مزاجه ومعتقداته ، وتسليمه أو تمرده ، ورضاه أو سخطه ، ومن ثم أصبح لفظ «الموت» كثير الدوران في الشعر العالمي والعربي على السواء .

شيء ما ، هاجس خفي في أعماق النفس ، يدفع الكثرة من الشعراء ، أحَدَّهم عبقرية ، وأعظمهم إبداعاً ، وأسبقهم رحيلا عن الدنيا ، إلى الحديث عن الموت ، والدوران حوله في قصائدهم ، في زمن مبكر من حياتهم ، وإلى الترحيب به ، أو الخوف منه ، فيقبلون على الحياة يعبون منها ، قبل أن تقلع بهم السفينة يوماً الى عالم الفناء ، ويتكرر حديثهم عن الموت لفظاً ومعنى وصفة ، حتى يكاد أن يصبح «فكرة ملحة» ، تقفز بين الأبيات ، وتفرض نفسها على القصائد ، تتطلبها الدواعي حينا ، وتجيء عرضاً لأوهى الأسباب في أغلب الأحيان .

كان طرفة من شعراء الجاهلية أول من تحدث عن الموت ، وأبان عن رأيه فيه : «إذا لم يكن من الموت بد ، وإذا لم يكن وراء الموت شيء ، وإذا كان الموت ملماً بالفقير والغني ، بالجواد والبخيل ، بالشجاع والجبان ، أفليس من الخير أن يأخذ المرء في هذه الحياة بلذات النفس والجسم جميعاً ، فيرضي نفسه بأداء الواجب ، والارتفاع عن الدنيات ، ويرضي جسمه في الأخذ بأعظم نصيب ممكن يتاح له من اللذة والمتاع» ؟ .

ألا أيهاذا اللائمي أشهد الوغى
وأن أحضر اللذات هل أنت مخلدي
فان كنت لا تستطيع دفع منيتي
فدعني أبادرها بما ملكت يدي
لعمرك إن الموت ، ما أخطأ الفتى ـ
لكا لطول المرخى وثنياه باليد
أرى قبر نحام بخيل بماله
كقبر غوي في البطالة مفسد .

وقتل طرفة ، وهو دون الثلاثين .

وتقول القصة إن عامل عمرو بن هند على البحرين قال له ، حين أراد أن ينفذ فيه حكما بالموت : إني قاتلك لا محالة ، فاختر لنفسك ميتة تهواها . فقال : إن كان لابد فاسقني الخمر ،

وأفصدني . ففعل به ذلك ، فمازال ينزف دمه حتى مات .

ويمضي العصر الجاهلي ، ويجيء الاسلام ، وتفيض الجزيرة العربية بأهلها شرقاً وغرباً ، وأبان ذهبوا يحملون معهم دينهم ولغتهم ، وتدخل الحياة الفكرية فى صراع مرير من الآراء والمبادىء والمعتقدات ، ويصبح الموت قدر الله لا مهرب منه ، ويمضي عدد من الشعراء به الى جوانب مختلفة ، فياخذ منه أبو العتاهية مقرعة يذكّر بها المقبلين على الدنيا ، والغافلين عن الآخرة ، فى عظات خطابية ، افقدها الكثير من تاثيرها،انه توجه بها الى الآخرين ، ولم يقف بها عند نفسه ولا مرة واحدة :

لدوا للموت وابنوا للخراب
فكلكم يصير إلى تباب
لمن نبني ونحن إلى تراب
نصير ، كما خلقنا من تراب

وقد تضطرب نفسه لمشاهدة البؤس البشري على أيامه ، فتجيء صرخاته حديثاً عن الموت ، وتعلقا به ، فى أن يحسم الأمر ، وان يلقى العظة أمام المقبلين على الدنيا ، يريدونها باي ثمن ، ومهما كانت تعاسة الآخرين فادحة :

حسمت المني ، ياموت ، حسماً مبرّحاً
وعلّمت ، ياموت ، البكاء البواكيا
ومزقتنا ، ياموت ، كل ممزق
وعرفتنا ، ياموت ، منك الدواهيا
أفي كل يوم نحن نلقى جنازة
وفى كل يوم منك نسمع ناديا
وفى كل يوم منك نرثى لمعول
وفى كل يوم نحن نسعد باليا

وكان شعر الرثاء فى الأصل يهتم بالميت فحسب ، وقلما يعرض للموت نفسه فلما حاول المتنبي أن يرثى حالت كبرياؤه دون أن يبكي أو يتحسر ، فجعل من رثائه بسطاً لفلسفته فى الحياة والموت ، ورأى الموت أمراً محتوماً على كل حي ، لأن الحياة من كسب الزمان ، والأجسام من تراب الأرض ، وسوف تستعيد الأرض ما أخذ منها ، ولذلك ينبغي الا نجزع أمام الموت ، وان نستقبله كأمر محتوم :

نحن بنو الموتى فما بالنا
نعاف ما لابد من شربه
تبخل أيدينا بارواحنا
على زمان هن من كسبه
فهذه الأرواح من جوه
وهذه الأجسام من تربه

وقد اختلف الناس على كل شيء إلا الموت ، فقد اتفقوا عليه ، ثم اختلفوا فى حقيقته ، فقال قوم : إنه هلاك للجسم تخلص به النفس ، وقال آخرون : إنه هلاك للجسم والنفس معاً ، وتردد المتنبي بينهما ، فلم يستطع أن ينتهي إلى نتيجة حاسمة ، فاقامه الفكر بين العجز والتعب :

تخالَف الناس حتى لا اتفاق لهم
إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل : تخلص نفس المرء سالمة
وقيل : تَشرك جسمَ المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته
أقامه الفكر بين العجز والتعب .

والموت آت لا محالة ، ومن يخال أنه ناج بما يملك من مال ، أو يلوذ به من جاه ، فهو أحمق :

فالموت آت والنفوس نفائس
والمستعز بما لديه الأحمق

وكما لا يرحم السلطان مهما قوى واستبد ، ولا يتردد أمام صاحب المال مهما طاول وحاور ، لا يضعف أمام الجمال مهما سحر وفتن:

يدفّن بعضنا بعضاً وتمشي
أواخرنا على هام الأوالي
وكم عين مُقَبَّلَةِ النواحي
كحيل بالجنادل والرمال
ومغض كان لا يغضي لخطب
وبال كان يَفكُرُ في الهزال

والمتنبي يحتقر الخوف من الموت ، ويذم الجزع قبل فرقة الروح ، ويندد بالأسى بعدها :

إلف هذا الهواء أوقع فى الأنـ
ـفس أن الحمام مر المذاق
والأسى قبل فرقة الروح عجز
والأسى لا يكون بعد الفراق

وهو فى هذا يلتقي مع أبيقور ، الفيلسوف اليوناني ، في فكرته عن الموت ، إذ يقول : « إن الموت يبدو مخيفاً لنا ، لأننا نتخيل أننا سنلقاه ، ولكن فى الحقيقة لا لقاء بيننا ، فاننا حينما نكون لا يكون موت ، وحينما يكون موت لا يكون لنا وجود » .

وجاءت رؤية المعري للموت وليدة فلسفته ، وجماع فكر حائر متردد ، ركب صاحبه عقله ، ومضى به ، تتدافعه العواصف الهوج ، فلم يستقر على شاطىء ، ولا انتهي إلى رأي واضح محدد ، لأن الأمر غم عليه فى أمور كثيرة ، فقد عاش مرحلة انتشر فيها الفساد ، وعم الشر ، وشاع البلاء ، فاثر كل ذلك فى نفسه ودفع به الى التشاؤم ، واثر فى سلوكه فلزم الوحدة ، وسجن نفسه زهاء خمسين عاماً ، واثر فى ادبه وتجلى ذلك واضحاً فى « اللزوميات » ، وفى «الفصول والغايات» :

أراني في الثلاثة من سجوني
فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدى ناظرى ولزوم بيتي
وكون النفس فى الجسد الخبيث .

لقد هجرته الحياة فهجرها ، واسرفت فى إيذائه فحمل عليها ، وجلبت له البؤس فيئس منها ، ولم ترفعه الى المنزلة التى يستحقها فاخذ يحط من قدرها ، ويذيع فى الناس أن الموت أفضل منها :

ربي متى أرحل عن هذه الـ
ـدنيا فاني قد أطلت المقام
لم أدر ما نجمي ولكنه
فى النحس مذ كان جرى واستقام
فلا صديقي يترجى يدى

● إنه يبدو مخيفاً لنا لأننا نتخيل أننا سنلقاه.. لكن في الحقيقة لا لقاء بيننا

الشعراء
ورحلة العمر القصير.. الجميل!

ولا عدوى يتخشى انتقام
والعين سقم للفتى مُنْصِب
والموت ياتي بشفاء السقام
والترب مثوى ومثواهم
وما راينا احداً منهم قام .

واخيراً اوجز ابو العلاء فلسفته فى الموت فى قصيدته الدالية الشهيرة ، التى رثا بها ابا حمزة الفقيه ، ومطلعها :

غير مجد فى ملتى واعتقادي
نوح باك ولا ترنم شادي .

وتعد من روائع الشعر العربي ، فقد جمعت بين صدق اللوعة وعمق الفكرة ، ومزجت بين عاطفة متاثرة مؤثرة تتغلغل إلى اعماق النفس ، حكمة رصينة معبرة تتجلى فيها قيمة الحياة بازاء الموت ، فى تصوير رائع ، ولفظ حسن ، وكاني به يرثى فيها البشرية جمعاء ، فهو يرى الأرض فاضت بالمقابر على امتداد تاريخ الانسانية ، فاستحالت الاجساد تراباً ، وتحولت إلى معادن نستخرجها ، او اسمدة تخصب الأرض وتغذى الشجر ، او تراباً نسير عليه ، ورب حفنة منه بين ايدينا ، هي فى اصلها البعيد رماد جسد ، وما اكثر القبور التى تستقبل اكثر من وافد ، يختلفون صفات واخلاقاً :

صلح ! ، هذى قبورنا تملأ الرحب
فاين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما اظن اديم الأرض
إلا من هذه الأجساد
سر إن اسطعت فى الهواء رويدا
لا اختيالا على رفات العباد
رب لحد قد صار لحداً مرارا
ضاحك من تزاحم الأضداد
تعب كلها الحياة . فما اعجب إلا
من راغب فى ازدياد .

ويذبل وهج الحضارة العربية ، ويعود كل شيء حديثاً معاداً وقولا مكروراً ، ولم يعد الشعراء يلتفتون الى الموت قوة وظاهرة ، حتى حين يبكون رفاقهم ، وإنما قنعوا بان يعددوا ماكان لهم من صفات ممدوحة حقاً او متخيلة ، دون ان تكون لديهم القوة والشجاعة ، وتوهج الداخل ، لكي يقفوا امام الموت نفسه متاملين . وجاء علماء البلاغة بعدهم لياخذوا من اشعارهم تعريفاً للرثاء فقالوا عنه إنه لا يختلف عن المديح إلا فى صيغة الفعل ، هذا يستخدم المضارع ، وذاك يتحدث عن الماضى .

ويركن الأدب العربى مع اهله الى إغفاءة طويلة ، حتى إذا استيقظ ، وتحرك ، ووقف على قدميه ، ايقظهم معه ، وتغذى بتيارات وثقافات جديدة ، فكان له مع نهضتنا هذا الثراء فى الشعر والنغم ، والاتجاهات والقضايا ، والصدق والمغامرة ، وكان الموت بين ما شغل الشعراء ، والرومانسيين منهم بخاصة ، وقضوا امامه امراً غامضاً ، وقوة ماحقة ، وسراً محيراً ، وقدرا لا حيلة لاحد فى دفعه ، وليس بكاء على رفاق ذاهبين فحسب ، وكان اكثر المتاملين له ، والمتحدثين عنه ، اسبق الجميع رحيلا عن الدنيا .

كان محمد عبد المعطي الهمشرى (١٩٠٨ ـ ١٩٣٨) ، اكثر الشعراء حباً فى الحياة، وفَرقاً من الموت ، واشدهم إصراراً على الحديث عنه ، وقلما تخلو له قصيدة فى مرحلته الاولى من الاشارة إليه ، كانما استقر فى اعماقه نبعاً ، فهو يلون انغامه بالحزن والتشاؤم والبكاء ، رغم انه كان موفور الصحة والعافية ، يفيض نضارة وقوة ، وشباباً وحيوية ، فهو عملاق ، عريض المنكبين ، لا يشكو مرضاً ، ويحب ان يتانق فى ملبسه ، ويمشى فى الأرض مرحاً ، يشق طريقه فى ثقة وكبرياء واعتداد . ومع ذلك يكره ركوب البحر مخافة ان يغرق ، وإذا سار فى الشارع اثر وسطه ، وابتعد عن جانبيه حتى لا تسقط المباني عليه فتدفنه تحت انقاضها .

● سِرْ إن اسطعت في الهواء رويدًا
لا اختيالًا على رفات العبادِ
تعبٌ كُلّها الحياة فما
أعْجَبُ إلّا مِنْ راغبٍ في ازديادِ

فى قصيدة « عاصفة فى سكون الليل » ، وقالها ولم يزل طالباً فى كلية الآداب ، يطل الموت فى كثير من مقاطعها ، رغم طولها ، فاذا حمل الليل الحزن لقلبه ، واقام منه هيكلا ، جعل هو من الموت « شَمَّاسا » يرتل فيه الحانه ، فتجيء اشعاره الحزينة صدى لها :

هاهو الليل كما بدا
يحمل الحزن لقلبي والحنين
هيكل الأحزان فى مذبحه
قرّ العشاق قربان العيون
رتل الشماس فيه لحنه
وصدى ترتيله هذى الشجون .

ويناجي الليل يترضاه ، يامل عنده العزاء ، ويود ان ينشده اغنية فنيت فى الزمن ، واستحالت فى البلى قبرة ، غير انها لا تشقشق فجراً على غصن بان ، ولا تهدهد ضحى فى ايك حديقة ، وإنما تغنى ليلا فى وادى الموت ، واستحالت احلامه زهوراً فى عالم غامض ، تنعق موتا ، ويتدلى عودها على اشباح من الموتى :

إننى ياليل احكي غنوة
فنيت فيك على مر السنين
واستحالت فى البلى قُبَرَّة
تتغنى فى دجى وادى المنون
.....
واستحالت عندها من غضب
زهرة فى عالم غير مبين
تنضح الموت .. وتدلى عودها
نحو اشباح المنايا العابرين .

والشاعر عاطفة غالها فكر طيه الموت ، وحين اقترب من الليل يحاول ان يعرف اسرار الأسى والانين ، استحالت هذه جداول تعبرها «فزعات الموت ليلا فى سفين» . وبعد أعوام خمسة عاد الهمشرى الى هذه القصيدة ، يشذبها ، ويصقلها ، ويستبدل بعض الفاظها ، حذف بعض ابياتها وابقى على بعضها ، فعل ذلك فى أواخر حياته ، قبل ان يدهمه الموت ، ونشرت بعد ان فارق دنيانا ، ومن عجب انه لم يمسس منها بيتاً واحداً ، ولا فكرة واحدة ، مما تتصل بالموت .

وقال قصيدته «الذكريات» فى نفس العام

الذى أبدع فيه «عاصفة فى سكون الليل» ، وهو ١٩٣٣ ، وأخذ فيها يسترجع ماضيه ، ويتحدث عن الحب ، مما لا مجال معه لذكر الموت ، لكن شيئاً فى أعماقه ، يدفع به ، على غير ارادة منه قطعاً ، الى أبياته هذه ، فيقول ان حبه لا يخشى الموت ، وكأنما أدرك أن قولته هذه كانت مجازفة ، لا تعبر عن إحساس يعمل فى أعماقه ، فعاد يسائل حبه : ماذا يصنع اذا حاصره الموت ، هل يواجهه ، ويلقى على يديه مصرعه كما تفعل النفس ، وما يلبث أن يسترد ايمانه به ، فيرى الحب أقوى ، فيهيب به : «أنت للموت موت» ، وانت صنو الحياة ، ونور الله ، وسوف تبقى بعد الفناء شبحاً شفافاً تسبح فى الفضاء ، ترقب الكون فى سبات الموت ، وتراها مثل حلم يرف :

ويك يا حب ، أين تمضى اذا ما
نسجت حولك المنون شباكا
وبعثت الأنفاس معسولة حي
ـرى اليها تبثها شكواكا ؟
أترى يا هوى ستقتحم المو
ت وتلقى كالنفس منه رداكا ؟
.....
أيها الحب أنت للموت موت
ذو غلاب على البلى مستخف
سوف تبقى بعد الفناء سبوحاً
فى فضاء من الأثير يشف
تلحظ الكون فى سبات المنايا
مثل رؤيا تهوى به وتدف

وفى هذه السن الباكرة يخص الموت بقصيدة كاملة ، ويجعل منه كائناً وهو عدم ، وجسداً وهو لا شىء ، وله سفن يلفها فى غياهبه السود ، تمضى بمن تقل خفافاً ، وتموت السنون ليلا ،

ياخيالي ! ، ماذا يطوف بقلبي
ياخيالي ، ماذا يسارق أذني
أى شيء أحس ؟ أى دبيب
مستلذ يخدر الروح مني
إنه ارغن الفناء يغني
ويعيد الحياة في مثل لحن

ويرى فى شاطىء الأعراف واديا للموت ، الطيور فيه تنعب موتاً ، وكل ما تقع عليه العين موت :

لهفي ! كل ما أرى فهو موت
ينذر الأرض موعداً بالثبور

وفيه يستريح الزمان والموت ، ومن ظلام الكهوف تنبعث الأحلام تشكو الموت ، وتستغيث منه الأرواح وتبكي ، ويفزع الجن والأناسي ويضنى.

رسل الليل أن تخوض ظلامه
لو رأوه خروا لديه سكارى
يسألون : أيان يوم القيامه ؟ .

وإذا أعجبه السكون واطمأن إليه لم ير فيه إلا أنه حاكم الموت ، وكان يحكم الحياة قبله ، فاذا جمح به الخيال تصور مغنياً فى وادى الموت يغني الفانين لحناً صامتاً ، والحب طائر تلفه عواصف الموت ، فاذا أحب اشتهى أن يموت راشفاً ثغره ، فاذا مات فشعاع ذاب فى قطره ، أو نحلة ماتت على زهرة ، ويرى القمر عاشقاً ، فاذا مدحه خال النفوس حانت منيتها ، وفي عيونه سحر سوف يحييها .

ويوقف قصيدة بأكملها على «حياة الشاعر» ، فيناجي خياله : إن ضحكاتنا ، وآلامنا ، ومشاعرنا ، غدا تفنى ، وتسلمنا الحياة إلى العدم ، « ويحكم فينا الموت والموت جائر » ، ثم يسائل نفسه : لقد عشت فى دنيا الخيال معذباً فهل ترانى أموت سعيداً ؟

كان الهمشرى يغنى للموت وهو فى سن الصبا والمراهقة ، تلميذا فى الثانوى ، وطالباً فى كلية الآداب ، وحيداً يحلم ويأمل ويخاف ، ويلوذ من نفسه الى نفسه ، فلما عمل محرراً فى مجلة التعاون بوزارة الزراعة ، وكان يرأس تحريرها الدكتور ابراهيم رشاد ، ولم يكن مجرد موظف عادى ، وإنما فيلسوفاً داعية ، يؤمن برسالته ، ومعه الأديب القصاص الدكتور محمد أبو طايلة ، والشاعر الراوية « محمد مصطفى حمام » ، وجد فى صحبتهم أنساً أخرجه من أحزانه ، ودفئاً أنساه برودة الوحدة ، ورفقة ازاحت عنه قتامة الحياة ، فنسي الموت والحديث عنه ، والفناء وما يتصل به ، وبدأ يغنى للفلاحين ، ويصف حياتهم ومواشيهم ، ويترجم عن الانجليزية شعراً ما يوائم هذا الاتجاه ، ومن عجب أن موجة التفاؤل التى غمرته ، ولفت أحاسيسه الداخلية ، لم تنجه من الموت المفاجىء الذى كان يخافه ، فاجريت له عملية الزائدة الدودية ، وأثناء العملية أصيبت امعاؤه بالشلل ، ولقى وجه ربه بعد أربعة أيام ، وهو فى عنفوان شبابه لما يتجاوز الثلاثين من عمره إلا ببضعة شهور :

ومضى الركب فى الردى وتلاشى
أثر الركب فى « ضريح الليالي »
فكأن الحياة كانت مناما
وغرور الحياة طيف خيال

كان حديث الهمشري عن الموت رومانسياً خالصاً ، حين يناجيه أو يخافه ، حين يتحدث عنه ويتأمل أفعاله ، ولكنه لم يتعمق مشكلة الحياة والموت فلسفياً ، وانما وقف عند ظاهرها فحسب ، وهو أمر طبيعي ، فقد عرض لها فتى لم تحنكه التجربة ، وجاءت وفق شعور لا أثر للعقل فيها ، وكانت إرهاصاً برحلته المبكرة ، وافتعالا أن نردها إلى تأثره بالشاعر الانجليزى كيتس ، وكان فى موقفه من الحياة والموت مثله ، أو الى جماعة « أبولو» ، التى احتضنته ، وفتحت له صدر مجلتها ،لأن كثيرين مثله ،

● فى آخر لحظاته مع الحياة .. بلغت معايشة الشابي للموت، حَدَّ الترحيب به ، واللهفة على لقائه، بعد رحلة شَرِيَّة عنى فيها للحياة وتأمّل العصافير والربيع والشمس

الشعراء
ورحلة العمر القصير.. الجميل!

امتدت بهم الحياة ، وكانوا رومانسيين خالصين ، ولكنهم لم يعرضوا للموت من قريب او بعيد ، وإنما أقبلوا على الحياة نهمين ، وعاشوها طويلا ، واعتصروها حتى اخر قطرة ، واحتسوا كأسها حتى الثمالة ، والوحيد من بينهم الذى شاركه مشاعره واتجاهه رحل عن الحياة فى مثل عمره ، وحتى دونه باعوام ، واعني به : أبا القاسم الشابي .

رحل الشابي عن الدنيا فى عمر الزهور ، كما يقال ، مات فى الخامسة والعشرين من عمره ، بعد أن عانى المرض سنوات ، ومات شيئا فشيئا ، ومن ثم كان لحديثه عن الموت رحيق متميز ، فقد كان الموت قاب قوسين منه أو أدنى لسنوات طويلة ، فلم يعد يخافه أو يخشاه ، ولم ير فيه شيئا غير عادي أو مفاجأة غير متوقعة ، وهو فى حديثه عنه أصيل يستمد أفكاره وصوره من دفق مشاعره وفيض خاطره ، فجاء موقفه منه ، والتعبير عنه ، جديدا وطريفا .

فى اخر لحظاته مع الحياة ، واخر قصيدة له فى الدنيا ، وهي « فى ظل وادى الموت » ، بلغت معايشة الشابي للموت حد الترحيب به ، واللهفة على لقائه ، بعد رحلة ثرية مع الحياة ، شدا فيها وغنى ، وتأمل العصافير والربيع والشمس ، وبدا الظلام يلفه ويتغشاه من كل جوانبه ، والظلام والموت توأمان فى شعر الشابي ، ورأى نفسه غريبا فى الدنيا ، بعد أن عدا فى شعاب الحياة حافيا ، وأكل التراب حتى مله ، وشرب الدموع حتى ارتوى ، وخبر الأحلام والحب ، والآلام واليأس والأسى ، حتى شاب فتى :

ثـم مـاذا ؟
هذا أنـا : صرت فى الدنيـا
بعيداً عن لهوهـا وغناهـا
فى ظـلام الفنـاء أدفن أيامي
ولا استطيع حتى بكاهـا
وزهور الحيـاة تهـوى بصمت
محـزن ، مضجـر ، على قدميـا
جـف سحـر الحيـاة ياقلـبي الباكي
فهيـا نجرب المـوت .. هيـا !

«هيا نجرب الموت هيا» ، فى بساطة القى بها الشاعر العظيم ، كما لو كان يدعو حبيبة له الى مغامرة فاتنـة .

ولم يكن الشابي وهو يفتح قلبه وذراعيه للموت متشائما ولا قانطا ، وإنما نهر متدفق من الأحلام والطموح والارادة ، وبها راح يبشر بين أمته ، يود أن يرى شعبه وقد تحرر من الاستعمار والفقر والجهل ، نابدع فنا ، وصاغ انغاما ، ولكن الواقع مختلف ، فلا شيء « إلا الموت والصمت والأسى والظلام » ، فاذا يئس منه ارتحل بعيدا ينشد السلام فى «قبور الزمان» ، وآثر البقاء مع الموتى ، وارتضى القبر سكنا ، وتناسى الحياة والزمان ، وحن الى العالم الذى وفد منه ، فما قبل الحياة وما بعدها صنوان :

ليتني لـم أزل
ـ كما كنت ـ ضـوءا ،
شائعـا فى الوجود غير سجيـن .

وهو فى هذا يلتقى مع بعض الاتجاهات الفلسفية ، إسلامية وعالمية ، ومع اراء المتصوفة ، فى أن النفس ، أو الروح ، نور من أصل علوى ، ينزع دائما الى العودة الى الأصل الذى صدر عنه ، حيث الصفاء والطهر ، ولا يعوقه عن ذلك إلا أدران الجسم وشوائبه ، فالروح سجينة فى الجسم ، والموت يحررها منه.

وإذا كنا ندين للمتنبي بوصفه الرائع للحمى حين زارته وهو فى مصر ، وتقديم صورة مجسمة لها نابضة بالحياة ، فنحن ندين بتجسيم الموت ، وتصويره كائنا يرى ويلمس ، ويجيء ويمضى أمامنا ، لأبي القاسم الشابي ، وهي صورة لا أذكر لها شبيها فيما قرأت ، فى أدبنا العربي أو الأجنبي ، وكمال الصورة واستغراقها ينبىء بأن الموت لم يعد في نظر الشاعر كابوسا مفزعا يهرب من ذكره ، ويجيء لماما بغيضا على خاطره . إنه يهبط على المرء متقنا بالصمت كأعماق الكهوف ، مظلما كالليل البهيم ، متلصصا تحمله أجنحة السكون ، ولكن ظلام الدجى رحيم ، وطيف الموت قاس لا يرق فى مواجهة الحياة ، ولاترتعش يده أمام تملق القلب ، يعتصر الزهرة فيعريها من أوراقها ، ويرى الطير طيفه فيجمد النشيد فى أعماقه :

قد قنعت كف المسـاء الموت
بالصمت الرهيب ،
فغدا كأعماق الكهوف
بـلا ضجيج أو وجيـب ،
يأتي بأجنحـة السكـون
كأنـه الليـل البهيم .
لكـن طيـف الموت قـاس
والدجـى طيف رحيم .

.....!

أرأيـت أزهـار الربيـع
وقـد ذوت أوراقهـا
فهـوت إلـى صـدر التراب
وقـد قضـت أشواقهـا
أرأيـت شحرور الفـلا
مترنمـا بيـن الغصـون
جمـد النشيـد بصـدره
لمـا رأى طيـف المنـون ؟

وكان الشابي فى الأيام الأولى من مرضه قوى الارادة ، واسع الأماني ، عريض الأحلام والآمـال ، فجاء تشبثـه بالحياة قويا فى مستوى روحـه ومشاعـره :

سأعيـش رغـم الـداء والأعـداء
كالنسـر فـوق القمـة الشمـاء
أرنو إلـى الشمـس المضيئـة هازئـا
بالسحب والأمطـار والأنـواء
لا المـح الظـل الكئيـب
ولا أرى
ما في قـرار الهـوة السـوداء
وأسيـر فـي دنيـا المشاعـر حالمـا
غـردا
وتلـك طبيعـة الشعـراء !

وكان تشبثـه بالحيـاة وهمـا ؛ وانتصـاره على الموت طيفـا ، فلمـا انزاحـت عنـه الغشـاوة ، أدرك الحقيقـة واعيـا ، وبكل ما في روحـه من عذوبة ، وما في شعـره من طلاوة ، احتضـن نهايتـه متفائـلا ، فلـم يعد له بقـاء فى هذه الدنيا ، ولم ير الموت ظلاما كما اعتاد ، ولا جاء فى الظلام ، وإنما أصبح فجرا انشـق عن الليـل ، جاء مع هدير المياه ، وربيع الحياة ، يدعوه إلى الرحيل، فيهز قلبـه ، ويعلنه بالا بقاء لـه ، فنشر قلوعه ، وخلف الهمـوم وراءه ، وجرى زورقه فى الخضم العظيم من عالم الفنـاء ، ومضى يلوح : الوداع .. الوداع ! :

من وراء الظـلام
وهدير المياه .

قد دعاني الصباح
وربيع الحياه .
يالـه من دعاء
هز قلبي صداه .
لم يعد لي بقاء
فوق هذى البقاع .
الوداع الوداع !
ياجبال الهموم
ياضباب الأسى
يافجاج الجحيم
قد جرى زورقي
فى الخضم العظيم
ونشرت القلاع
فالوداع الوداع !

هذه الرقة فى تناول الموت والحديث عنه ، والعذوبة فى تصويره ، مع الاعتراف بقسوته ، لا تتاتى إلا لروح شفاف رأى وراء العدم شيئا أجمل من الحياة ، ورأى فى هذه الدنيا ما هو أتعس وأقسى من الموت ! .

هذا الاحساس الصارخ بالموت عند من رحلوا عن الحياة فى زمن مبكر ، وليد شيء فى أعماق النفس يتجاوز التقليد ، وهو ليس وقفاً على الأدب العربى وحده ، وإنما نجده فى الآداب العالمية الأخرى كلها ، وساختار منهم شاعراً واحداً فحسب ، قل أن يعرفه أحد فى اللغة العربية ، أو حتى لا يوجد ، ومن ثم فلا تاثير له فى أحد من شعرائها ، ولكنه من ابناء حوض البحر الأبيض المتوسط ، وهو عند من يؤمنون بالحتمية الجغرافية ، له طابع مشترك ، وخصائص تجمع بين أهله فى العمق ، وتؤثر فى سلوكهم ، وتقارب بين مشاعرهم ، وتوحد نظرتهم الى الكون ، وموقفهم من الحياة والموت رغم الاختلاف الظاهر بينهم ، أو اللون ، أو الأزياء ، وهذا الشاعر من ايطاليا ، وهو :

سرجيو كورازينى (١٨٨٧ ـ ١٩٠٧ م) .

رحل كورازينى عن الدنيا فتى فى عمر الزهور لما يتجاوز الواحد والعشرين من عمره ، ورغم أن حياته كانت قصيرة للغاية ، كان شاعراً ملهماً أبدع حركة ، وانشأ مذهباً ، وخلق فى عالم الفن اتجاهاً ، ودخلت مدرسته تاريخ النقد الأدبى تحت اسم «الشفقيون» ، وازدهرت فى روما بين عامى ١٩٠٥ و ١٩١٠ م ، وجاءت تعبيراً عن مجتمع قلق ، ومغلق فى وجه التجديد ، ويتسم بالعجز والخوف ، فسجن شعراؤها انفسهم داخل ذواتهم يقتاتون حزناً جافاً ، وينطوون على آلام لا سبيل الى الشفاء منها ، وجاءوا رمز عالم منهك يتهيأ للرحيل ، ويومىء فى الوقت نفسه الى أن الشعر الايطالى على أبواب فجر جديد .

بدأ كورازينى يتغنى بالموت صبياً ، مدفوعاً الى ذلك دفعاً بقوى داخلية لا حيلة له فى ردها ولم يكن راضياً عن اتجاهه هذا ، وكان يقول عن نفسه إنه ليس بشاعر ، فلكى تكون شاعراً يجب أن تحب الحياة ، وأن تعيشها بكل جوارحك ، وأن تعتصر مباهجها آخر قطرة ، وأن تندمج فيها حتى تصير معها شيئاً واحداً ، ولكنه على النقيض من هذا كله ، لم ير غير الموت ، ولم يشعر بشيء غيره ، ولم يغن لأحد سواه :

آه ، إنى مريض حقاً
وأموت كل يوم قليلا
انظر : كيف تمضى الأشياء
ولهذا لست شاعراً
أعرف
كى أكون شاعراً عليَّ
أن أعيش حياة تختلف تماماً
ولكنى ـ يا إلهى ! ـ
لا أعرف شيئاً
غير الموت .

آمين ! .

ان يموت أو يبكى كل الأشياء ، يبكيها حتى تعز عليه الدموع نفسها ، وهو مشفق على نفسه تقمص فى مواجهتها شخصاً آخر محايداً يرقب آلامها وعذاباتها ، ومن يفعل صنيعه ليس شاعراً ، إنما هو طفل يبكى ، فحين تغيب الحياة يمضى الشعر معها ، وأصبح مفهومه مع «الشفقيين» أن يرقب واقع الحياة ، وقد تحول كل شيء فيها الى خرائب وأحزان :

لماذا تدعونى شاعراً
أنا لست شاعراً
لست إلا طفلا صغيراً يبكى
انظر :
لا أملك غير الدموع أقدمها للصمت
لماذا تدعونى شاعراً .
أحزانى
مجرد أحزان مسكينة وشائعة .
ومباهجى
كانت بسيطة وساذجة ،
بالغة السذاجة
فاذا اعترفت بها أخجلتنى
أفكر اليوم فى أن أموت
أريد أن أموت
لمجرد أنى متعب فحسب
أنا الآن مرآة مهملة .
مرآة غلبانة حزينة
أنا لست شاعراً .
وإنما صبى حزين يريد أن يبكى !

لماذا كان الشعراء العباقرة وحدهم هم الذين يغازلون الموت سباقين ، ويصحبونه مبكرين ؟

الحق أن الخوف من الموت يختفى ، فيما أرى كلما ارتفع ادراكنا بمعنى الحياة ، ووظيفتنا فيها ، ومن ثم يصبح تقبله شيئاً سهلا حين يدرك المرء دوره وأهميته ، فالحياة نفسها لا قيمة لها ما لم يكن المرء قادراً على أن يميز نفسه عن الآخرين برسالة يؤديها أو دور يضطلع به ، وحين يمل المرء الحياة ، ولا صلة لهذا بقصرها أو امتدادها ، ويشعر بأن يومه كأمسه ، وغده سيكون كيومه ، لا يحمل جديداً له ، ولا لغيره على يده ، يصبح الموت شيئاً جديداً بالنسبة له يمكن أن ينتظره وأن يتطلع اليه . ومثل هذا الاستعداد لا تجده عند الانسان العادى ، وإنما هو وقف على العباقرة وحدهم ! .

د. الطاهر أحمد مكى

● الحياة لا قيمة لها ما لم يكن المرء قادرًا على أن يميز نفسه على الآخرين برسالة يؤديها ودور يقوم به . إدراكنا لمعنى الحياة يجعلنا أقل خوفًا

كاتب مجهول آخر يفوز بالجائزة !

باقتراب اكتوبر من كل عام تتصاعد فورة تخمين من سيفوز بجائزة نوبل للأدب ، وكانت الدوائر الأدبية الغربية تتوقع فوز واحد من عدة كتاب ابرزتهم في العامين الأخيرين بشكل خاص ، منهم الروائي البريطاني غرَاهام غرين والروائي نايبول ، ولكن ستوكهلم كانت تبشر بفوز واحد من الكتاب المسرحيين من أمثال هارولد بينتر وآرثر ميللر وبيتر فايس ، لكن جائزة هذا العام ، مثل جائزة العام الماضي كانت من نصيب كاتب يهودي الأصل ، بلغاري المولد ، أوروبي النشأة ، بريطاني الجواز ، هو ايلياس كانيتي ، خير من يمثل «اليهودي المتجول» وبذا صارت جائزة نوبل للأدب وللعام الثالث على التوالي الى كاتب ظل خارج تيار الكتابة المؤثرة على الأجيال المعاصرة وغير معروف حتى في الدوائر الاكاديمية أو الاعلامية سواء في بريطانيا التي ظل يحيا بها منذ عام ١٩٣٩ أو المانيا التي يكتب بلغتها .. لانه يهودي ، كما قال والقاذفات الألمانية النازية تمطر سماء لندن عام ١٩٤٤ بوابل من قنابلها : «لو قدر لي أن أعيش فان ذلك بفضل جوته» . وقد حاولت بعض الصحف الغربية أن تترك الانطباع بانه أول كاتب بلغاري يفوز بجائزة نوبل ولكن «النيوزويك» الأمريكية أكدت أنه

الياس كانيتي



لايسهل تحديد هذا الكاتب لامن جهة جنسيته أو نوعه الأدبي ، فهو يهودي من أصل أسباني ، ولد في بلغاريا عام ١٩٠٥ ، ونشأ في انجلترا ، والنمسا ، وسويسرا ، والمانيا ، وهاجر الى فرنسا عام ١٩٣٨ ، وظل يسكن في مدينة لندن منذ عام ١٩٣٩ في عزلة تامة حتى أن اسمه لايظهر في أي قائمة تعريفية بالكتاب وغيرهم .

ويبدو أن لجنة الأكاديمية السويدية لجوائز نوبل قد شعرت بانها بالغت فعلا في انتشالها لمغمور لاغداق ما يقارب ١٨٠ الف دولار عليه ، اذ قال أحد أعضائها :

«اننا يجب أن ننتصف للأدب المكتوب في الدول قاصرة النمو» وأضاف : «بالطبع كانت هناك أخطاء .. وربما تمضي سنوات كثيرة قبل أن يتم تقدير قيمة كاتب ما .» .

وكلمته حق أريد بها باطل ، لاأكثر .. فلا هو كاتب يمكن أن يكون ذا قيمة يحتمل اكتشافها وتقديرها ، ولا بلغاريا التي لم يشر ناقد لأعمال هذا الرجل الى وجودها في روايته الوحيدة ، وبعض مذكراته ، تمثل الدول قاصرة النمو ، إلا اذا كانت هي الهدف التالي ـ بعد وارسو ـ لزعزعة الاطراف الهشة في أوروبا الشرقية ، وجاء في التقارير الأدبية التي حاولت أن تلملم ملامح لكانيتي أن لجنة الجائزة المكونة من ١٨ عضوا ، والتي عادة ما تكتم سر ترشيحاتها ومداولاتها وتصويتها ، قد انقسمت في آرائها هذه المرة أكثر من السنة الماضية عندما منحت الجائزة للبولندي تشيسلوف ميلوش .

وتقول الآنسة ماريان بويارز ، الناشرة الأنجليزية لأعمال كانيتي ان المؤسسة الأدبية الانجليزية لم تكترث اطلاقا بهذا الكاتب بالرغم من أنها ـ أي الناشرة ـ قد أخبرت النقاد بأن سيكون له شأن يحرز به جائزة نوبل .. وقالت أن تجاهل النقاد له كان كبيراً حتى أن كتابه الأخير «أصوات المغرب» لم يجد من يكتب عنه في صفحات تقديم الكتب الجديدة ومراجعتها ،

اوديسيوس اليتيس



تشسلاف ليموش



بالرغم من أن الناشرة قد كتبت الى النقاد مشيرة الى أهمية الكتاب .

فما شأن هذا الكاتب ؟

في عام ١٩٣٥ كتب كانيتي أول رواية له ، وظلت هي «بيضة الديك» في محاولته الروائية ، وهي باللغة الألمانية بعنوان «الأغشاء» ونشرت عام ١٩٤٧ مترجمة الى الانجليزية تحت عنوان «برج بابل» في الولايات المتحدة ، وهي عن حياة أستاذ أعزب متخصص في الدراسات الصينية ، انقطع عن العالم ليعيش بين ٢٥ الف مجلد في مكتبته ، ولايعرف أي شيء عن الحياة .. حتى يتزوج المرأة التي تقوم بخدمة بيته ، فيواجه العالم الحقيقي وينتهي الى تدمير مكتبته ونفسه ، باحراقها والاحتراق فيها

ويرى النقاد أن عمله هذا تأثر بالروائي الألماني الرومانتيكي طوماس مان و بالانطباعي الالماني الفريد دوبلين ، مما يسقط عنه عنصر الاصالة المطلوبة في كاتب مؤثر ومقدر ومع ذلك نجد الأكاديمية السويدية تخصه بالجائزة على هذه الرواية ، وتصف كتاباته بانها تتسم بالنظرة الواسعة ، وثراء الأفكار والقوة الفنية .

وكانت نية الكاتب ، كما يقول ، تتجه الى كتابة جزء ثان من تلك الرواية ، ولكنه مثل بطل روايته انطوى منزويا عن الحياة العامة طوال الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة والفترة التي طغت فيها عملية إعادة بناء أوروبا الغربية ، ولم يكتب جزءا ثانيا ، بل عالج بشكل تحليلي القوى الاجتماعية والسيكولوجية التي كان قد عالجها فنيا في روايته ، كما تقول الغارديان البريطانية وكان أن صدر كتاب «الجموع والسلطة» الذي استغرقت كتابته عشر سنوات ونشر عام ١٩٦٠ ، وهو يستمد معظم مادته المصدرية من علم الانثروبولوجي من نوع يعتبر الان متخلفا ، ولم يستطع بنبرته التشاؤمية أن يجذب جيل التفاؤل في أواخر الستينات .

وبجانب عدد من المسرحيات التي تمثل نوعا من الأقنعة الساخرة ، كانت أولاها «الزفاف» عام ١٩٣٢ وآخرها «المهلة الأخيرة» عام ١٩٥٦ ، كتب كانيتي «محاكمة كافكا الأخرى» وهو عبارة عن كتيب يعالج فيه حياة كافكا الخاصة .

واذا كان المحكمون قد شبهوا كانيتي بالكاتب الروسي ديستوفسكي وأظهروا قرب الشبه بينه وبين كتاب آخرين ترعرعوا في مدينة فينا التي فرمنها كانيتي عام ١٩٣٨ من أمثال كافكا ، وروبرت موسيل ، وآرثر كوستلر ، فما ذلك إلا محاولة للرفع من شأنه على حساب سمعتهم .. ويمكن أخذه كدليل على افتقاره الى عناصر الابداع والتأثير .

٢١ وجها لممثل « الكابوكى »

ياله من امتحان لمدى قدرة التحمل أن يقوم ممثل واحد باداء ٢١ دورا يستغرق اداؤها ١٢ ساعة ، وهذا كفيل بان يحطم ممثلين كثيرين ، ولكنه بالنسبة لأينوسوكى ايشيكاوا فرصة طيبة لاظهار مهاراته وقدراته فى أفضل تقاليد مسرح الكابوكى اليابانى ويقول اينوسوكى الذى ورث تقليدا مسرحيا تجاوز عمر تجربته ٣٥٠ عاما :

«كان ممثلو الكابوكى فيما مضى يؤدون ادوارهم مثلى ، ولكنهم في هذه الأيام لايحرصون على التفانى فى العمل بتلك الجدية» .

وهو يبدأ اداءه فى مسرح كابوكيزا بمدينة طوكيو بتصوير كلاسيكى لرجل وحيد يتامل الوجود فى جزيرة منقطعة عن الحضارة ، وذلك فى مسرحية (شونكان) التى تدور حول ثلاثة رجال يثورون على زعيم العشيرة ، فيتم نفيهم وبعد حين ياتيهم مبعوث خاص منتفخ الأوداج زهوا بنفسه ، يحمل العفو لاثنين منهم ، ليس (شونكان) واحدا منهما ، ومن توتر وتقلصات الأداء يدرك المشاهد أن (شونكان) قد قتل المبعوث الخاص .

بعد ذلك ينتقل لأداء دور الأسد الأب وهو يعد شبله لمعارك البقاء التى تنتظره ، يدفعه من حافة صخرة عالية ، وينتظر عودته سالما ، ويرى المشاهد كل خلجة من القلق على محيا الأسد الأب . وتعقب ذلك رقصة لفراشتين ، ثم يعود الشبل عبر ممر الأزهار ، ويؤدى والده رقصة بازياء تمثل روح الأسدين ، رقصة منطلقة شجاعة ثم يقوم اينوسوكى بدور امراة عجوز تستتار فتنقلب ساحرة ..

وفى الجزء الثانى من البرنامج اليومى يؤدى اينوسوكى أدواراً تكلفه تغيير الازياء لها ، ورحلة من العاصمة الامبراطورية القديمة كيوتو الى مدينة ايدو ، طوكيو حاليا .

إن مسرح الكابوكى مازال فنا مثيرا ورائعا بالنسبة لأهل اليابان ، بالرغم من طغيان التلفزيون وشيوع الأفلام السينمائية والمسرح الغربى الطابع ، وفيه يبكون ويضحكون ويهللون .. وفقا لما يقتضيه المسرح الشعبى الأصيل .

سينتقل مسرح الكابوكى الى أوروبا الغربية ، لتقديم بعض العروض ، والمشكلة التى تواجه ممثليه هى مدى استطاعتهم أن يحركوا المشاهد الغربى حين يقومون باول جولة لهم فى أوروبا ، والى أى مدى يستطيع المشاهد الاجنبى ان يفهم العمل المقدم بمجرد قراءة ملخص للقصة ، وبمتابعة الاداء وتخمين مايدور .. من النبرات والتعابير والايماءات ؟

«على أن أقدم سلسلة متتابعة من المشاعر الصريحة فى وقت قصير» هكذا يقول اينوسوكى البالغ من العمر ٤١ عاما ، وأكثر ممثلى الكابوكى شهرة ، ثم يستطرد :

«وهناك تغيرات شعورية كثيرة ، من ضيق وحزن وسعادة . اننى أريد أن يرى الاجنبى فى هذه الدراما أوسع مدى ممكن لفن الكابوكى حتى وان لم يفهم ما يقوله الممثل» .

ومثل كل ممثلى الكابوكى يعارض اينوسوكى اشتراك المراة للقيام بادوار النساء ، والتى كانت محرمة على النساء ، وحجته فى ذلك أن الازياء ثقيلة جدا على المراة !











ج . ب . شـــو والمرأة الخارقـــة

لا يخلو مؤلف عن بيرنارد شو من بث مثير ينزع واحداً من اقنعته . فالرجل كان واسع العـــلاقات ، متنوع النظـــرة ، وكـــان يرتاح الى النساء ، وان مقت فيهن الأنوثة . ولكن ذلك كله لم يمنعه من ان يكون موقفه من المرأة مليئاً بالتناقض . فهو يصر على ان النساء لم يلعبن دوراً مهما فى حياته اذا ما قورن باصدقائه ولكن ألم تكن بياتريس ويب صديقة عمر له ؟ وماذا عن الأدلة المتوفرة التى تشير الى انه كان واقعاً تحت سحر عدد من النساء اللائى كان يطالبهن كطفل مدلل بالاهتمام به ، يكاتبهن فيكثر ويصارحهن فيغدق . ألم يكتب لبعضهن مسرحيات ؟ وغامر بسمعته وارتضى المهانة فى سبيل السيدة باتريك كامبل بسبب سلوكه الولهان . وما حرصه على زوجته الغيورة سوى رضائه بالحماية التى امنتها له لانه كان يدرك مدى ضعفه أمام النساء .

وكتاب مارفوت بتيرز الصادر عن دار نشر كولومبس ـ ٤٦١ صفحة ـ مداره «بيرنارد شو والممثلات» وفيه اضاءة لعدد من النساء اللائى اقتن بهن شوفى المسرح وكشف لمواقفه تجاههن .

هناك فلورنس فار .. الجميلة ذات الموهبة الموسيقية والصوت العذب .. والقدرة الصحفية وكانت تكتب فى مجلة (العصر الجديد) تحت اسم مستعار . وقد تخلصت من زوجها دونما حرج تماماً مثلما كانت تتخلص من معجبيها الكثر .. وقد أعجب شو بسلوكها ، ورآه نظيفاً ، بينما كان الشاعر بيتس يحسبه سلوكاً كريها . ولكنه اتهمها فيما بعد بانها سقطت عن المستوى الرفيع من الأداء الذى كان يتوقعه منها . وفى دفقة من الشعور بالوحدة هاجرت الى سيلان لتصبح مديرة لكلية للبنات . وماتت هناك بذات الصدر .

وأخرى .. هى اليزابث روبنز .. جميلة ، عارمة مثقفة ، امريكية ، غرق زوجها الشاب فى نهر وهو يرتدى بذلة كاملة من الدروع . جاءت انجلترا عام ١٨٩١ أرملة مشحونة الرأس بروايات ومسرحيات عن تحرير المرأة . وقد وصفتها مؤلفة هذا الكتاب بانها تذكرنا ببيرنارد شو نفسه ، ولابد أنها لم تنخدع باطرائه وتعاليه .. وكان هنرى جيمس ، الروائى الأمريكى ، مفتونا بها ، وقرأ مسرحيتها «حق التصويت للنساء» وكاد أن يوقع فى وثيقة تطالب بحق المرأة السياسى .. من أجلها .

وهناك جانيت اشيرش التى لعبت دور (نورا) فى أول اخراج لمسرحية (إبسن) (بيت الدمية) فى يونيو ١٨٨٩ ، والتى كانت نقطة مشعة فى تاريخ شو المهنى . ولكن جانيت دمرت جمالها وموهبتها .. وماتت . ومن بين الممثلات الشهيرات تبرز الن تيرى لأنها تجنبت بمهارة اى لقاء فعلى بينها وشو لسنوات طويلة ، وان كانا يتراسلان فى خطابات مليئة بعبارات الوله والغزل المكشوف .

ولكن ، اذا صدق مايكل هولرويد فان حب شو كان لأمرين فقط (الضحك والاصلاح) .. وكانت مسرحياته والأدوار التى كتبها لممثلاته بريقاً يشع عن هذين الأمرين ، وبهما ايقظ عصباً جديداً فى جمهور المسرح البريطانى .

برنارد شو



جانيت أشيرش . ممثلة

اليزابيث روبنز . كاتبة مسرحية

فلورنس فار . صحفية



كمبيوتر لرصد « العشاء الاخير »



تعتبر لوحة «العشاء الاخير» لليوناردو دافنشي من اكثر معالم مدينة ميلانو الايطالية جذباً للسياحة . لكن معالم المدينة الصناعية بتلوثها وحركة الجلبة بها ، ورطوبة جوها كادت أن تدمر كنزها الفني .. الذى بدأت الشقوق تظهر فيه ، وتزداد ، مما دفع بالحكومة الايطالية الى اتخاذ اجراءات لحماية اللوحة . فاقدم جدار حديدي متين خلف اللوحة يسندها من السقوط ، وهناك محاولة لاستصدار قانون يبطل حركة المرور فى المنطقة المحيطة بالكنيسة التى تضم اللوحة ، وخاصة حركة الحافلات الضخمة التى يستقلها السواح الى الموضع .

ولكن افضل تدبير قامت به الحكومة الايطالية هو شراء «عقل اليكتروني» به شعيرات استشعار حساسة لرصد التشقق الذى تعاني منه اللوحة . وقد كلفها خمسمائة مليون ليرة ايطالية ، او ما يعادل ٤٠٠ الف دولار أمريكي .

وقد وضعت أجهزة الاستشعار على بعد متر من الحائط الذى رسم فيه ليوناردو لوحته فى الأعوام ٩٧/ ١٤٩٥ ، لتقوم هذه الأجهزة مرة كل ساعة برصد اللوحة وإرسال المعلومات الى العقل الاليكتروني.

الشعر والطب النفسي



الشاعر الأمريكى ا . ا. كمنغز

محلل نفسانى يستخدم قصائد «كمينغز» كمرشد للعقل

كان الشعر دائماً ملاذ من يبحث عن الحقيقة ولكن ديفيد فوريست توجه الى الشعر بحثاً عن الحقيقة النفسانية ، وعقد حلفاً خاصا مع اشعار ا.ا. كمينغز لاعتقاده بانه حين يكون شعر هذا الشاعر الأمريكي بجانبه ، يستطيع أن يتفهم الصراعات التى ترقد فى البال المضطرب ، ويسبرها بشكل افضل .

«إن كمينغز يتعامل مع بعض أصعب وأشق المسائل والأسئلة فى التحليل النفسى ، كما أن قوته البيانية قادرة بشكل يمكنه من المضي الى الحدود القصوى للتعبير ، نحو الأفكار التى ترقد فى عمق تقصر عنه الدموع ــ حسب قول الشاعر الانكليزى وردزورث .

وإذا اطرحنا المعالجات المهنية ووسائلها جانباً ، فان الدكتور فوريست يشعر بان الشاعر كمينغز يمكن أن يقدم نوعاً من المرشد الشعرى لكل من يحب الشعر ، مرشداً لتوليد واشعال وتنشيط اجهزة الدفاع ووسائله التى يستخدمها الناس لتعينهم على التعامل مع المواقف المختلفة فى وجودهم ، وسائل مثل حسن الدعابة والفكاهة ، والتسامى ، والحرمان والتبرير ، والتى تمكن الناس من معالجة الم الحياة والموت والحب والبغض والوحدة والنزعة العدوانية ، والعدوان .

معالجة الموت

يستحوذ الموت كموضوع شعرى على جل انتاج كمينغز ، ولم يبدع فى أى موضوع آخر قدر ابداعه فى معالجة الموت : فهو يضحك عليه ومنه ، ويتعامل معه وكانه موضوع جنس ، يغازله ويهينه ، ويخشاه ، ويقبله ، ويتقبله فى آخر الأمر كقدر .

وقد استخدم كمينغز حس الدعابة أيضا فى معالجة الموت كما فى قصيدته عن الرجل العادى الطاعن فى السن ، الفلاح الذى نجح أخيراً بعد موته فى إقامة مزرعة للديدان ، أو كما فى قصيدة اخرى عن موت من نوع اخر .

عمى (ايد)
الذى هو ميت من العنق فما فوق
يقتاده على طول شارع برايتل
جرو مخصي

إن مؤهلات الدكتور فوريست لقراءة وتقويم شعر كمينغز تعادل مؤهلاته الطبية ، فقد ظل يقرأ الشعر ويدرسه مع التركيز على اعمال كمينغز منذ أن كان طالباً ، ولأكثر من عشرين عاماً . وقد تخرج من كلية برينستون بامتياز فى اللغة الانجليزية ، ويرجع فوريست تفوقه الأكاديمى الى أن كمينغز نفسه هو الذى نصحه فى اختيار موضوع دراسته الجامعية العليا . ومنذ ذلك التاريخ كتب فوريست عدة أوراق عن اعمال كمينغز ، ومازال يعمل مع أستاذين عارفين باعمال الشاعر هما «نورمان فريدمان» و «ريتشارد س كيندى» وذلك لانشاء جمعية «ا.ا. كمينغز» لتشجيع الدراسات وبعث الاهتمام بشعر كمينغز . وقبل أشهر قليلة مضت نشرت أول طبعة من مجلة الجمعية .

إن فوريست لا يصف الشعر كدواء لمرضاه لأن تفسير الأشعار أمر ذاتى فى معظم الأحوال ولكن اذا وجد مريضاً يظهر اهتماماً بكتابة الشعر أو قراءته ، فان ذلك يحفز اهتمامه ، لانه قد يساعده ومريضه على التعبير عن صراعاتهما .

ويرى الدكتور فوريست أن فى عمليات الخلق الشعرى لدى كمينغز ، وفى تجاريبه اللانهائية مع وضع المسافات والترقيم والاستخدام الواعى للأحرف الكبيرة فى اللغة الانجليزية ، وفى تقسيم الكلمات ، ما يوازى الكتابة الفصامية ، والتى يراها أطباء النفس طيلة الوقت . وكان «كمينغز» فى حالته الطبيعية ماهراً مثل مرضى انفصام الشخصية فى توليد كلمات جديدة ، ويظهر ذلك فى قصيدته ضد العلوم الطبيعية والتكنولوجية ، حيث يقول :

لا تدخلنك رقة على هذا الوحش المشغول ،
اللابشرية

إن التقدم مرض مريح : ضحيتك (الموت والحياة سالمان) يتلاعب بضخامة ضالته الالكترونات تحسم شفرة موسى حلاقة واحدة كسلسلة من الجبال ، والعدسات تمدد اللارغبة عبر المنحنيات أين ومتى وحتى تعود اللارغبة الى لا نفسها) .

إن استخدام كمينغز للحروف الصغيرة والكبيرة فى اللغة الانجليزية ليس استخداماً متعسفاً عشوائياً كما قد يظن بعض القراء .. فهو يكتب كلمتى (أنا) و أنت) باحرف صغيرة ، ولكنه كثيراً ما يكتب (نحن) وكل ما يشير الى صفة جمع المتكلم بالأحرف الدالة على علم ؛ وتلك ، كما يرى د. فوريست ، هى طريقة الشاعر فى إطراح فرديته جانباً للاحتجاج بقوة الحب :

(إن من يخلص الحب يقوم باعمال تبدو جنونية) كما يقول د. فوريست ، (فالناس كثيراً ما تعانى الكثير فى الحب ؛ ويقول بعضهم إنهم قد يلحق بهم الأذى إن منحوا مشاعرهم للآخرين . هناك امتزاج للشخصيات فى الحب).

وقد حاول كمينغز أن يجد حلا شعرياً لهذه المشكلة .. مثال ذلك هذه القصيدة :

سيدتى هل تأتين معى الى بيت عقلى البالغ الصغر . إن القمر مستدير كما ترين عبر النافذة وليس لي فى الحقيقة من يقوم بخدمتى . هناك غرفة خالية . ونكاد نستطيع أن نذهب (أنت وأنا) فى توحد أبيض كبير هناك ، ولكن ان كذا أو كذا .

ببطء فتحت النافذة ضالة بالغة ؛ القمر (بشعر أبيض مستعار وأزرار مجلوة) سياخذك بعيداً .

وكل الساعات ستنهار فى اليوم التالى .

ولقد سئل د، فوريست عما يشاع عن موقف كمينغز المضاد للعلوم ، فقال :

«كان يكره آلات ثقب الصخور الضخمة ، والضجة وأجهزة الراديو والتكنولوجية . ولكنه سمح ذات مرة باجراء تحليل نفسانى له ، وكان يعود الطبيب إن مرض . لقد قام بعمله كشاعر وتحدث عن كوننا أشخاصاً ، وعن عواطفنا وعلاقاتنا مع عواطفنا ؛ وكمرشد فى هذه المسائل . لم يكن كمينغز سيئاً .

عبـــاس خضـــر

مكائد النساء والرجل المغفل في عـــالم القصـص

« كيد النساء غلب كيد الرجال » .

هذه القضية كانت غالبة على القصص في العصور الوســـطى : في قصصنا الذى تمثله حكايات الف ليلة ، وفى قصص الغرب الذى تمثله قصص « بوكاتشيو » الايطالى ، وخاصة ما يسمى « الكاميرون » .

الرجل يظن انه المسيطر المهيمن على المراة ، يحكمها كما يشاء ، يقفل عليها الأبواب والشبابيك ، او حتى يضعها في قفص ، ويظن انه صانها بهذا التكبيل ، ولكنها ـ في الحقيقة ـ تفعل ما تشاء ، لايعوقها عائق ، ولايقف في سبيل ما تريد اى حاجز ، بل هى تكيد للرجل كيداً ، وتوقعه في الحبائل ، وتلعب به لعباً .

على هذا المحور كانت تدور القصص التى كان يتداولها الناس في أحاديثهم واسمارهم ، ومازالوا يفعلون . وهم يتعجبون ويمصصون الشفاه من هـذا المخلوق الضعيف القوى ، اللطيف الشرس ، الناعم الملمس الذى تنشب اظفاره وتدمى ، الباكى المفترس ، الذى يأتمنه الرجل وهو لا أمان له ..

تستغفل العفريت

وبلغ الأمر بالمراة ان تستغفل العفريت .. الذى خطفها ليلة عرسها ووضعها في علبة ، وجعل العلبة في صنـــدوق له سبعة أقفال ، كما في حكاية الملك شهريار التى يبدأ بها الف ليلة ، إذ سار شهريار وأخوه شهرمان الملكان ، هـــائمين على وجهيهما ، على أثر استكشافهما خيانة زوجتيهما ، فرأيا عفريتاً من الجن على بعد ، فخافا منه وصعدا على شجرة واختبأ بين أغصانها .. وجاء العفريت الى تحت الشجرة ، وأخرج صبية جميلة من علبة ، ونام متوسداً ركبتها ، ولاحت منها التفاتة الى أعلى الشجرة ، فرأت الملكين ، فرفعت رأس العفريت برفق ووضعته على الأرض ، وأمرتهما بالنزول وراودتهما عن نفسها ، وهددتهما ان لم يستجيبا ان توقظ لهما العفريت .. ثم طلبت منهما خاتميهما لتضيفهمـــا الى خمسمائة وسبعين خاتمـــاً اتصلت بأصحابها في غفلة من العفريت ! وقالت لهما :

« إن المراة منا اذا أرادت أمراً لم يغلبها شيء » .

وقال شهريار لأخيه :

« اذا كان هذا عفريتاً ، وجرى له أعظم مما جرى لنا ، فهذا شيء يسلينا » .

في القصص الحديث

ولما بدأ الرواد من قومنا يكتبـــون القصص في العصر الحديث كـــانت « ألاعيب النساء والرجل المغفل » من أهم موضوعاتهم في القصص القصيرة : طاهر لاشين ـ مثلا ـ له مجموعة اسمها « يحكى ان » وتحكي القصـــة الأولى التى بهذا العنوان حكاية رجل استغفلته امراة .. يبدأ القصة هكذا :

« يحكى أن غزالا عطش مرة فورد عين ماء في بئر عميقة ليشرب منها ، فلما شرب حاول الطلوع فلم يقدر ، فنظر اليه ثعلب من فوهة البئر وقال له : لماذا لم تتبصر في الطلوع قبل ورود الماء ؟ » .

وتشتمل المجموعة على قصص مماثلة منها قصة بعنوان « بيت الطاعة » يأخذ الرجل فيها حكماً من المحكمة يجر به زوجته الى بيت الطاعة ، ويحكم عليها الحراسة ، اذ يأتى بامراة عجوز تقوم بشانها وتكون رقيبة عليها .. ولكن العجوز تيسر لها الاتصال بشـــاب من الجيران ! ويقع الزوج في الغفلة .

والعجوز في قصص « كيد النساء » ذات دور بارز ، فهى قد مارست حيـــاة طويلة ، واكتسبت خبرة في تغفل الرجال وأصبحت غير مرغوب فيها منهم ، فتستغل خبرتهـــا وتقـــوم بـــدور « الدبلوماسية المكوك » بين الفتى والفتاة حتى تجمعهما على خلاف ما يجمـــع المأذون الشرعى .. وتسميها الف ليلة وليلة « ذات الدواهى » .

والقصص القصـــيرة الأولى التى كتبها نجيب محفوظ كان بعضها يدور على ذلك المحور : خداع المراة للرجل وجر رجله الى الشرك ..

المغفل وقصص أخرى

وأخيراً وقع في يدى كتـــاب عنوانه « المغفل وقصص أخرى » لـــكاتب من أوائل من كتبوا القصـــة في مصر ، هو « عبد الله حبيب » الذى جر عليه النسيان ذيله .. وما أكثر ما يختـــال النسيان ويجر ذيله في مجتمعنا ! ولهذا الكتاب فضل نبش هذا الموضـــوع في رأسى ، ان كان هذا فضلا ..

صدر الكتاب بمقدمة للأســتاذ عباس محمود العقاد قال فيها :

« وقد قرأت في هذه المجموعة للكاتب الأديب عبد الله أفندى حبيب قصصاً مسجلة وأخرى واصفة من طراز جميل يضاهى أشباهه في قصص أشهر الكتاب الغربيين » .

فهو يلقب الكاتب بلقب « أفندى » الذى كان شائعاً اذ ذاك ويطلق على كل لابس طربوش .. ومثل ذلك فعل العقاد

مع مؤلفين آخرين كتب مقدمات لكتبهم ، منهم « كامل افندى كيلانى » فى مقدمة لديوان « ابن الرومى » .

قانون الانصاف

والغريب أن « عبد الله أفندى حبيب » تخرج من الأزهر ونال شهادة العالمية ، ثم انشغل بالأدب والصحافة ، وخلع العمامة والجبة والقفطان ، ولبس البدلة والطربوش ، وعاش حياة مدنية بعيدة عن الأصل ، عين موظفاً بالقسم الأدبى فى دار الكتب المصرية براتب صغير ، وكان يقول : اتمنى ان أعين وزيراً ، وامنح نفسى « الدرجة السادسة » ثم أستقيل من الوزارة ! وكانت « الدرجة السادسة » مطمح آمال الموظفين فى درجات دونها ، وخاصة حملة العالمية الأزهرية الذين كانوا يعينون فى وظائف حكومية بمرتبات ضئيلة ، وبعضهم باليومية ، أى يحسب أجرهم بالأيام التى يعملون بها فقط ، ولا ينالون شيئاً عن أيام الجمع والعطلات الرسمية .. حتى جاء مكرم عبيد وزيراً للمالية فى وزارة الوفد ، وأصدر قانوناً يقضى بوضع كل موظف يحمل شهادة عالية فى « الدرجة السادسة » وسمي هذا القانون « قانون الانصاف » واستفاد منه عدد كبير جداً من حملة العالمية الأزهرية ، وهى طبعاً شهادة عالية ، وممن استفادوا منه الشاعر الكبير أحمد الزين ، وكان موظفاً باليومية فى دار الكتب وهو يحمل العالمية .. وقد رقى الى الدرجة الخامسة بعد وفاته ! لأن ادارة المستخدمين لم يكن عندها علم بهذه الوفاة !

والشاعر الزين ممن افترسهم غول النسيان .. وكان الى جانب شعره من فطاحل الأدباء الذين ضمهم القسم الأدبى بدار الكتب أمثال حافظ ابراهيم وصادق عنبر ومحمد ابو الفضل الذين حققوا كتب التراث مثل الأغانى وعيون الأخبار ، وتجد اسم احمد الزين على الكتاب الأخير .

تبدأ مجموعة عبد الله حبيب بقصة « المغفل » فيها تتغفل البطل امرأة عجوز تستعمل النساء المنحرفات فى اغراء الرجال تستأجرهن فى منزلها للسهرات ، وتستخدمهن فى النهار على وجه عجيب: تزودهن باطفال تستأجرهم كذلك من



مكائد النساء

الملاجىء ، يصحبونهن ليظهرن فى مظهر بنات العائلات المصونات وبصحبتهن أخوانهن الصغار .. ثم يتعرضن بهذا المظهر للمغفلين من الرجال !

الشيخ عبد الله

وفى المجموعة قصة بعنوان « الشيخ عبد الله » نشرت بمجلة الفكاهة التى كانت تصدر أسبوعية من دار الهلال بالقاهرة ، فى ٢٠ يونيه ١٩٣٠ ، كما ذكر فى هامش القصة بالكتاب ، مصدرة بما يأتى :

« كتب الأديب المعروف الأستاذ عبد الله حبيب هذه القصة بضمير المتكلم وجعل عنوانها الشيخ عبد الله ، فهل هى سلسلة اعترافات حقيقية عن حياته الدراسية الأولى ؟ ذلك ما نميل الى القول به . أما هو فيقول فى هذا الصدد « إن فن القصة يتطلب من الكاتب أن يندمج فى شخصية البطل التى يمثلها فى قصته ، وان من أسباب نجاح كتاب القصص تحدثهم عن أبطال قصصهم بما يجعل القارىء يحس كأنه يسمع لنجوى الكاتب نفسه » .

وقد نقل هذا التصوير من المجلة الى الكتاب على هامش القصة . ونحن نميل الى ما مال اليه محرر « الفكاهة » فان شخصية الكاتب تطل علينا من العنوان ومن خلال القصة ، فهى تصور حياة طالب بالأزهر جاء من قريته يطلب العلم وفى القصة امرأة شابة تتغفل زوجها المسن وتحاول الاتصال بالفتى القروى الأزهرى : الشيخ عبد الله !

وحقاً ما قاله الكاتب من أن فن القصة يتطلب ما ذكره ، ولكن على شرط ألا تظهر شخصية الكاتب ، ومن التمويه فى ذلك أن يسمى البطل باسم غير اسمه . ونجد اسم « عبد الله » يتردد فى قصص أخرى من المجموعة .

والكتاب يشتمل على موضوعات أخرى تأخذ أسلوب القص ، ولكنها لا تعد قصصاً بالمعنى الأدبى ، فهى إما أحاديث صحفية أو حوادث بوليسية أو وصف لشخصيات غريبة فى المجتمع كالشحاذين الأغنياء ! والفتوات والحانوتية . ويبدو أنها كانت تنشر فى مجلة الفكاهة ، ثم جمعها المؤلف فى هذا الكتاب .

المفاجأة

ومن القصص التى نوه بها الأستاذ العقاد قصة « اللآلىء الخداعة » اذ قال :

« والأديب صاحب هذه المجموعة يحسن حبك القصص وتدبير المفاجأة فيها إحساناً يشهد له بالبراعة ويمتع القارىء بلذة الاستطلاع . ومن أفعل مفاجآته فى النفس ختام قصة « اللآلىء الخداعة » الذى يأخذ القارىء على غرة كما تأخذه حوادث الغيب المخبوء » .

والواقع أن كتابنا رواد القصة فى تلك الفترة كانوا يهتمون جداً بالمفاجأة فى القصة ، واللآلىء الخداعة كانت تجمعها زوجة من إهداء خليلها .. وتقول للزوج المخدوع انها لآلىء زائفة رخيصة حتى لا يسألها عن مصدر الثمن ، وانها تهوى هذا النوع من الحلى ، ثم تموت الزوجة ويحتاج الزوج الى المال فيضطر الى بيع اللآلىء ، فيفاجأ بأنها جواهر حقيقية ، ويعرف حقيقة الأمر وأنه كان « مغفلا » .



أساس اجتماعى

وبعد فانه يبدو لى أن ذلك المنحى القصصى كان يقوم على أساس اجتماعى فهو يصور نوعا من النساء مغلوباً على أمره فى الظاهر ، اذ يقع تحت ضغط الرجل . فيضطر الى التنفيس والانتقام من المتسلط المغرور .. وقد يؤدى هذا الى الانحراف والسقوط .. كما نرى فى قصة « بيت الطاعة » : الزوجة التى كانت على مستوى طيب من الخلق الفاضل يسوقها رجال الشرطة الى بيت الطاعة تنفيذاً لحكم المحكمة ، فتشعر بالاهانة والمذلة ، بالاضافة الى سوء معاملة الزوج وأوامره من مثل : النافذة لا تفتح ، الخادم لا يخاطب ، الملابس حسبما يصف ، العتبة لا ترى إلا بمشيئته وتحت إشرافه .. هذه الزوجة حينما ترى نفسها قد فقدت « المودة والرحمة » شعار الزوجية الكريمة تتحول إلى عشيقة لرجل آخر فى الخفاء ، وفى الظاهر تبدى الطاعة لزوجها المغفل .

على أن الأمر فى تلك القصص لا يخلو من تخيل مبالغ فيه ، فالمرأة غائبة عن الرجل فى المجتمع ، تكاد تعيش منفصلة تستقل فى عالم خاص بالنساء ، لا يعرفها الرجل الا دمية يلهو بها ويستمتع . فهو يتخيلها من بعيد ، ويحكي عنها ما يمليه عليه خياله !

البنت هى المغفلة !

ثم يتغير المجتمع ، ويصير موقع المرأة فيه إلى حال آخر : تتعلم وتخرج الى النور ، وتصاحب الرجل ، وتشاركه الحياة . وتنتفى الصورة المقهورة ، ولا يكون ثمة مجال للخيال القديم . وتبعاً لذلك يتغير موقف القاص منها ، فيعتدل فى تصويرها والتعبير عنها . بل أدى الأمر الى العكس ، فحمل الكاتب القصصى على « الرجل الذئب » الذى يغرر بالبنات الساذجات ، ويخدعهن بوعد الزواج ، ويسلبهن أثمن ما تعتز به العذراء ، وصارت البنت هى « المغفلة » !

ولا يزال كثير من القصص والتمثيليات والأفلام يدور على هذا المحور ، وسبحان مغير الأحوال .

عباس خضر

بقلم : د . محمد الغباشي ربيع

بعد انقراض الديناصورات العملاقة

إجراءات حاسمة في العالم للحفاظ على ذوات الدم البارد !

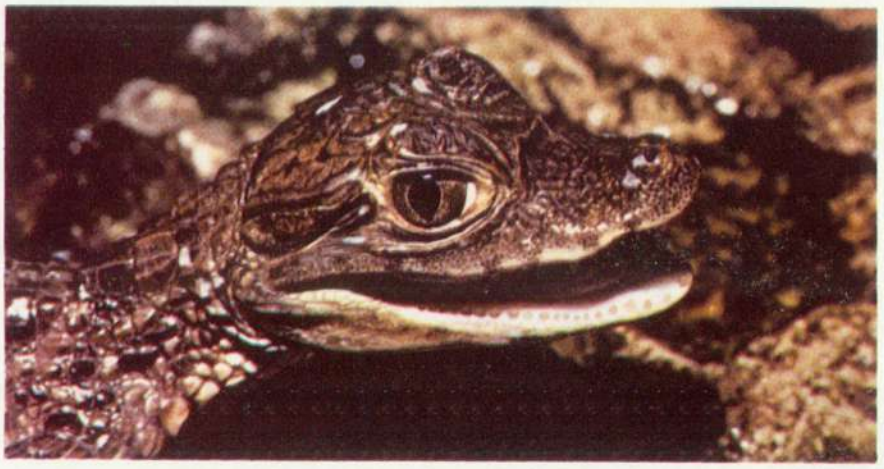
علماء العالم كله يدقون جرس الانذار ويحذرون من اختفاء الزواحف من عالمنا المعاصر .. إن التماسيح والزواحف القشرية كالثعابين والسلاحف البرية والبحرية مهددة بالانقراض مثل « الديناصورات » العملاقة التى أصبحنا لا نراها إلا فى الأفلام الخيالية .. وفى نيوزيلندا مثلا اتخذت الحكومة اجراءات حاسمة من أجل الحفاظ على نوع نادر من الزواحف اسمه « السفندن » ولذا فاننا فى هذه الدراسة العلمية نحاول أن نلقى الضوء على عالم الزواحف الذى يرجع تاريخه إلى مئات الملايين من السنين . !



بعد انقراض الديناصورات العملاقة



نوع من التماسيح يعيش فى الهند .. يفتح فمه لتلطيف درجة حرارة جسمه



صغير التمساح الشهير بـ « الكايمان » الذى يعيش فى المناطق الاستوائية بامريكا الجنوبية

للزواحف تاريخ طويل عريق مليء بالتغيرات على مدى مئات الملايين من السنين ..

فالزواحف حيوانات من ذوات الدم البارد ، انحدرت من البرمائيات البدائية وتطور البعض منها الى الطيور والثدييات ..

والزواحف تتميز بأنها تتنفس تنفساً كاملا عن طريق الرئة بمعنى أن جلد الزواحف ليس له أية وظيفة تنفسية وهو يستعمل فقط لحفظ السوائل من التبخر لكى يقى الجسم من الجفاف الذى تتعرض له أثناء معيشتها ، خاصة فى الأجواء الحارة ، وهذا الجلد حرشفى خال تماماً من الغدد مما جعله يقوم بهذه المهمة بكفاءة عالية ، ويساعد فى ذلك الجهاز الاخراجى لها فى اخراج حامض البوليك عن طريق الكلية فى صورة غير ذائبة .

والزواحف يطلق عليها ذوات الدم البارد ذلك لأنها تستمد كل حرارتها من الجو الذى يحيط بها ويشترك معها فى تلك الصفة الأسماك والبرمائيات . وهى لا تستخدم الغذاء الذى تتناوله فى توليد الحرارة إلا بصورة ضئيلة جداً لذا نجد أن درجة حرارة الزواحف ترتفع وتنخفض حسب درجة حرارة الجو الذى تعيش فيه .

وهى تستمد الحرارة بتمددها فوق

هذا النوع من الزواحف نادر جداً ، واستطاع ان يحافظ على صفاته خلال ٢٠٠ مليون سنة ويطلقون عليه « التيوتارا » أو « السفندن »



سطح الرمال الساخنة أو بعض الأحجار فى الصحراء أو الأراضى القاحلة ، أما فى فصول الشتاء وأثناء الأيام شديدة البرودة فانها تلجأ الى الجحور تحت الأرض معلنة عن مرحلة البيات الشتوى لها لتظل كامنة فى هذه البيوت تحت الأرض طوال فترة الشتاء دون الغذاء أو الماء .

وقد كان لعدم قدرتها على توليد الحرارة من داخل أجسامها أكبر الأثر فى توزيعها الجغرافى فهى قليلة فى الأماكن شديدة البرودة ، وربما كان معظمها فى تلك المناطق من الزواحف صغيرة الحجم ، والحال عكس ذلك فى المناطق المعتدلة والحارة من العالم !

وبالرغم من قلة امكانيات الزواحف الطبيعية ، إلا أنها سيطرت على الأرض وسادت أرجاءها لفترة بلغت مائة وستين مليون عام ، كانت تشكل خلالها المواد الأعظم من الكائنات الحية ، ومنها ما بلغ أحجاماً ضخمة جداً ، ومنها ما كان يمتلك الأجنحة التى تشبه أجنحة الخفافيش ، ومنها من لجأ للماء لكى يعيش فيه وبعضها تحورت أطرافه وأصبح لديه القدرة على أن يمشى على أرجله الخلفيتين !

لماذا انقرضت ؟

والزواحف من الحيوانات التى تضع البيض ، إلا أن بعضها يفقس البيض داخل جسم الأم بعد تلقيحه داخلياً لتلد الصغار ، وفى حالة وضع البيض فانه يفقس بتأثير حرارة الشمس أو الحرارة المتولدة من تحلل المواد العضوية فى التربة دون أن تحتضنه الأم كما تفعل الطيور !

ويختلف بيض الزواحف عن بيض الطيور ، فالبيض فى الزواحف يغلف بقشرة كلسية أو جلدية وهى مسامية لكى تسمح بتنفس الجنين لكنها تقاوم الجفاف فى نفس الوقت .

والزواحف لا توجد لها أطوار يرقية تمر بها فى دورة الحياة كما هو الحال فى البرمائيات .

لذا فانها لا تضطر للعودة الى الوسط المائى فى بعض مراحل حياتها كما تفعل البرمائيات !

والقلب فى الزواحف يتكون من ثلاث حجرات وهو لذلك يعتبر أقل كفاءة من قلب الثدييات والطيور ، وقد يكون ذلك هو السبب فى قلة نشاطها فترات طويلة من السنة ، بالاضافة الى أن الدم فى الزواحف لا يحتوى على كميات كبيرة من الأكسجين كما هو الحال عند الثدييات والطيور !

والغريب أن الزواحف لازمها سوء الحظ منذ ملايين السنين فانقرض الكثير من أنواعها واختفت تماماً ولم يعثر إلا على هياكلها المتحجرة من ملايين السنين .. وانقراض هذه الأنواع حير العلماء ، وذهب كل يعلل انقراضها الى عوامل مرضية أو تغيرات طبيعية ، والبعض يرجح انقراضها لعدم درايتها الكافية بالعناية بمواليدها أو لعدم مقدرتها على مسايرة الظروف المتغيرة على امتداد ملايين السنين .

ويرجع انقراض بعض أنواع الزواحف الى حوالى ثمانين مليون عام مضت ، وربما أراد الله لها ذلك حماية للكائنات الأخرى لكى تستمر الحياة ، ذلك لأن بعضها كان من آكلات اللحوم بكميات كبيرة وبشراهة فائقة ، ولقد ثبت أنه فى الوقت الذى بدأت فيه الزواحف فى الاضمحلال ، فان الثدييات أخذت تسجل الانتشار والازدهار ، ذلك لما للثدييات من قدرة على ممارسة نشاطها وتأقلمها مع كافة الأجواء والبيئات ، ولما تمتاز به عن الزواحف فى رعاية صغارها وحمايتها من الآخرين !

السحالى المروعة

ومن الزواحف المنقرضة وأكثرها شهرة «الديناصور» آكل اللحوم ، وكان يمشى على رجليه الخلفيتين ، أما الأماميتين فكانتا صغيرتين جداً ، وطوله كان حوالى ستة أمتار وهوواقف

إلى اليسار .. تمساح النيل اثناء خروجه من البيضة والى أسفل .. العش الذى تبنيه التماسيح لتضع البيض ويرى فى الصورة البيض قبل الفقس فى تجويف الأرض





بعد انقراض الديناصورات العملاقة

وطول الجمجمة حوالى المتر وربع المتر وكان الفكان مزودين بأسنان حادة !

وديناصور معناها الحرفى (السحالى المروعة) وقد ازدهرت لمدة ١٢٠ مليون سنة ثم انقرضت فجأة ـ وقد عاشت متباينة الأحجام فبعضها كان لا يتعدى حجم الانسان العادى بينما كان يصل بعض أنواعها الى أكثر من خمسين طناً وزناً .

وترجع نشأة الديناصورات الى العصر الترياسى منذ حوالى ٢٠٠ مليون سنة مضت ، من مجموعة صغيرة من الزواحف يطلق عليها مغمدة الأسنان ، تطورت الى مجموعتين كبيرتين ، المجموعة الأولى هى ذوات الأرداف شبيهة السحالى ، والأخرى ذوات الأرداف شبيهة الطيور .

كما دلت بعض الحفريات على أن أنواعاً منها كان لها منقار يشبه منقار البط وأقدام ذات كف يشبه أقدامها وذيول مفلطحة تساعدها على العوم فى الماء .

ويرجع انقراض الديناصورات الى العصر الكريتاسى من حوالى ٨٠ مليون سنة تقريباً .

ويعلل انقراض الديناصورات الى انها أصيبت بأمراض وبائية قضت عليها أو أن الثدييات كانت تتغذى على بيضها بشراهة .

على أنه لم تكن الديناصورات وحدها التى انقرضت فى تلك الفترة بل صاحبها انقراض أنواع أخرى من الثدييات .

ويرجح بعض العلماء أن يكون سبب ابادتها عوامل تدميرية هائلة مثل تكون جبلى أو انفجار فى الأشعة الكونية أو سقوط بعض النيازك على سطح الأرض !

الزواحف المعاصرة

والزواحف المعاصرة تتمثل فى اربع رتب هى التماسيح ، والتيوتارا أو السفندن ، والزواحف القشرية وهى تضم الثعابين والسحالى ، أما الرتبة الأخيرة فهى رتبة السلاحف البرية منها والبحرية .

والتيوتارا أو حيوان السفندن يعتبر من أقرب الزواحف المعاصرة فى التقسيم الى الديناصورات المنقرضة ، إلا أنه هو النوع الوحيد من تلك الرتبة الذى استطاع أن يحافظ على نوعه من الانقراض ليقطع هذا المشوار الطويل وعلى مرور ٢٠٠ مليون سنة ، وهو يحتفظ ببعض العلامات التى وضعت أساساً لتقسيم الزواحف ومنها وجود علامات معينة على الجمجمة وكذا العين الصنوبرية التى تنمو مع نموه باستمرار طوال حياته بالاضافة الى سقف حلق كامل ! .

وكاد حيوان التيوتارا أو السفندن أن ينقرض بعد أن بلغ ذروته فى الانتشار فى نيوزيلندا ، إلا أن الحكومة النيوزيلاندية سرعان ما تنبهت الى خطورة الأمر مما اضطرها الى اتخاذ اجراءات حاسمة للحفاظ على هذا النوع النادر من الحيوانات ، فعاد مرة أخرى الى الانتشار فى الجزر الشمالية منها .

والسفندن أو التيوتارا يبلغ حوالى قدمين طولا ولونه أسود أو زيتونى ، مزود ببقع صفراء . وهو من الزواحف التى تفضل العيش فى الأجواء الباردة على عكس السواد الأعظم من الزواحف وهو يقضى معظم نهاره داخل الجحور ولا يخرج منها إلا عندما يحل الظلام باحثاً عن غذائه الذى يتكون من بعض الحشرات والقواقع وغيرها .

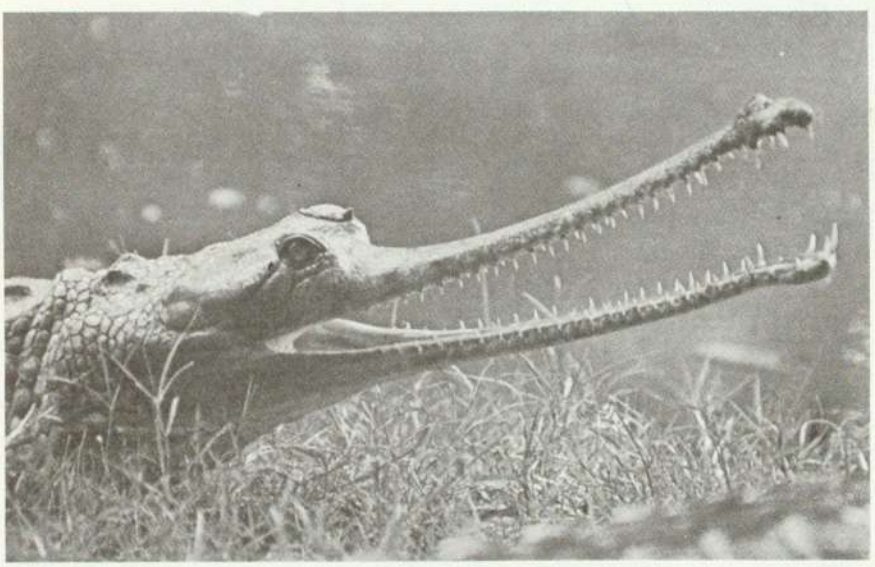
والسفندن له صوت يشبه نقيق الضفادع ، والأنثى تضع بيضاً قد يصل عدده الى أربع عشرة بيضة فى حفرة تحفرها له فى الأرض ثم تغطيها كى لا يتعرض لسطو الطيور الجارحة أو بعض الحيوانات الأخرى ، ثم ينقضى على هذا البيض عام كامل لكى تخرج الصغار منه ، والصغار تبلغ من الطول حوالى ١٠ سم وتنمو ببطء طوال حياتها الى أن تبلغ من الطول قدمين تقريباً !

أما عن سنوات عمره فقد سجل التيوتارا فى نيوزيلاندا فى الأسر خمسين عاماً من العمر ، وفى حديقة حيوانات دبلن عاش ٢٥ عاماً . أما فى السويد فقد سجل ٢٨ عاماً ، وكان طوله يكاد أن يكون ثابتاً بعد فترة زمنية معينة بلغ فيها ٣٧ سم فقط !

الزواحف الكسولة

أما التماسيح فهى تعد من الزواحف المائية ، ويوجد منها ١٢ نوعاً شهيرة

تمساح « الجيفال » الهندى الذى يتغذى على الأسماك



تعيش جميعها فى المياه العذبة بالمناطق الدافئة فى العالم ، ويوجد منها نوع واحد تطيب له المعيشة فى المياه المالحة فى جزر الهند الشرقية .

ومن صفات التماسيح أنها كسولة ، تقضى معظم نهارها مستلقية فى الماء أو على ضفاف الأنهار تحت أشعة الشمس وصغار التماسيح تتغذى على الحشرات والضفادع وتتدرج فى تغذيتها على الأسماك ثم صغار الحيوانات الى أن تكبر فتستطيع أن تتغذى على الثدييات والطيور ، وبعضها يأكل الانسان اذا ما أتيحت له الفرصة .

والتماسيح تضع البيض فى حفرة على الشاطىء قريبة من المياه التى تعيش فيها ثم تغطيه بالطين أو بعض النباتات وتقوم بحراسته الى أن يفقس، وأثناء الفقس تقوم الأم بمساعدة الصغار على الخروج من البيض وتسهيل مأموريتها ويبدو أن الصغار بحكم الغريزة تعرف ذلك فهى تصدر أصوات الاستغاثة أثناء محاولتها الخروج من البيض !

ومن أشهر التماسيح تمساح النيل وقد كان منتشراً فى نهر النيل ، إلا أنه اختفى تماماً بعد بناء خزان أسوان ، ولكنه يوجد ويعيش بكثرة عند منابع النيل ، وهو يبلغ ٦ أمتار طولا ولون ظهره أخضر برونزى مزين يتحرك بسرعة فى الماء ولكنه أقل حركة على الأرض ، وعند السباحة فى الماء لا يظهر منه سوى عينيه وأنفه .

ويتغذى تمساح النيل على الأسماك ، ولديه من الصبر والخداع الكثير فهو يختبىء على ضفاف النهر لعدة ساعات فى سكون تام حتى تقترب بعض الحيوانات لتحصل على ماء الشرب وهى فى غفلة تامة لينقض قابضاً عليها بفكيه القويتين ويغوص بها فى القاع

وأنثى التمساح تضع بيضاً فى حجم بيض الأوز ، وتقوم بوضعه فى حفرة وتغطيه حتى يفقس بعد ذلك لتعود الصغار الى الماء بالغريزة لتسبح فيه من أول يوم لها .

ولتمساح النيل تاريخ عند قدماء المصريين فكانوا يطلقون عليه «تشابسا» وهى كلمة معناها فى اللغات المصرية القديمة شروق الشمس ، وربما كانت تلك التسمية نظراً لبريق عينيه الشديد الذى يبدو ظاهراً بوضوح عندما يطفو على سطح الماء ـ وكان قدماء المصريين يقيمون لتمساح النيل الشعائر والاحتفالات الدينية فى مواسم معينة وذلك فى معابد طيبة ، كما كانوا يقومون بتربيته أيضاً فى تلك المعابد ويتقربون اليه بتقديم الحلى والجواهر حتى اذا مات قاموا بتحنيطه وحفظه فى المقابر !

أشهر التماسيح

ومن التماسيح الشهيرة المعاصرة أيضاً تمساح «الكايمان» وهو يعيش فى المناطق الاستوائية فى أمريكا الجنوبية ومنه الكايمان الأسود ، وسمى كذلك نسبة الى لون الظهر ، أما البطن فلونها مائل الى الاصفرار ، وهو يبلغ خمسة أمتار طولا ، وتوجد عدة أنواع من تمساح الكايمان تعيش فى نهر الأمازون ومعظم أنهار أمريكا الجنوبية وتهاجر منها فى فصل الجفاف الى البرك والمستنقعات داخل الغابات ، وبعض هذه الأنواع تعمد فى فصل الجفاف الى دفن نفسها فى الطين الى أن يحل موسم سقوط الأمطار لكى تعود مرة أخرى من بياتها وتدب فيها الحياة من جديد !

والليجاتور من التماسيح المعاصرة أيضاً ومنه الليجاتور الأمريكى الذى يعيش فى نهر المسيسبى ولونه أخضر داكن أو أسود ، والليجاتور الصينى الذى يتميز بالصغر فى الحجم عن الأمريكى ولون ظهره أسود مرقط باللون الأخضر وتوجد عليه خطوط صفراء أما بطنه فلونها رمادى .

وتمساح المصبات يوجد عند مصبات الأنهار ويحلو له التنقل بين ماء البحر المالح ومياه الأنهار العذبة ، ويمتاز هذا النوع بكبر حجمه ، ويبلغ طوله ٣٣ قدماً ، ويعرف بشراهته واعتدائه المتكرر على الحيوانات الكبيرة وحتى الانسان ، ولهذا النوع من التماسيح غدد فكية تفرز نوعاً من المسك إلا أنه غير مقبول الرائحة !

والتمساح الأمريكى أيضاً من التماسيح التى تقطن أماكن متفرقة فى الولايات المتحدة الأمريكية فى كولومبيا وفلوريدا وفنزويلا ، كما يوجد أيضاً فى جزر الهند الغربية ـ ولون ظهره زيتونى ضارب الى السواد.

أما تمساح الكاتافراكتس فهو يعيش فى أنهار غرب افريقيا من السنغال الى الكونغو ، وهو يسمى التمساح طويل الفم نظراً لأن فمه بالغ الطول رفيع ، وطول هذا النوع من التماسيح ١٨ قدماً وهو أكثر التماسيح خوفاً وحذراً ، ولقد تعود الأهالى فى تلك المناطق على سيده وأكل لحومه .

وهناك تمساح الجافيال الذي يشبه فمه المنقار ، وله أسنان رفيعة مقوسة مخروطية ، ولون ظهره زيتونى داكن ، وهو يتغذى على الأسماك التى يسهل عليه اصطيادها بمنقاره الطويل الرفيع وأسنانه الحادة ، وهو أكثر أنواع التماسيح اجادة للسباحة ، وهو لا يميل الى افتراس الحيوانات الثديية أو الانسان بل يقتصر فى أمر غذائه على الأسماك ، لذلك فان بعض الهندوس يقدسونه ويعبدونه !

ويعيش هذا النوع فى أنهار الهند وبعض الأنهار المنتشرة فى قارة آسيا !

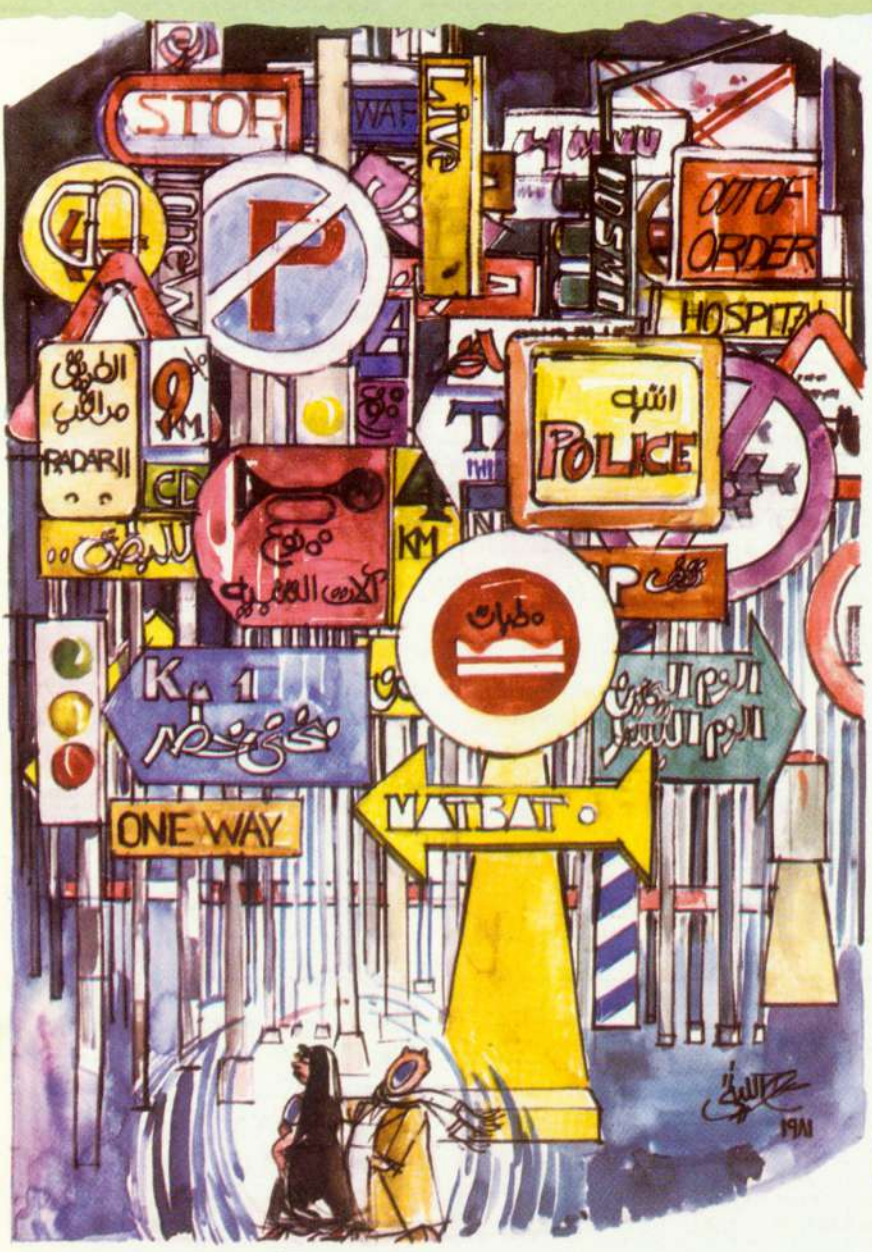
د. محمد الغباشى ربيع

التمساح الامريكى ويشتهر باسنانه القوية



ضحكات الشهر





العلامات موش لينا ياحميده ، انا وانت « رحال » يعني مشاة



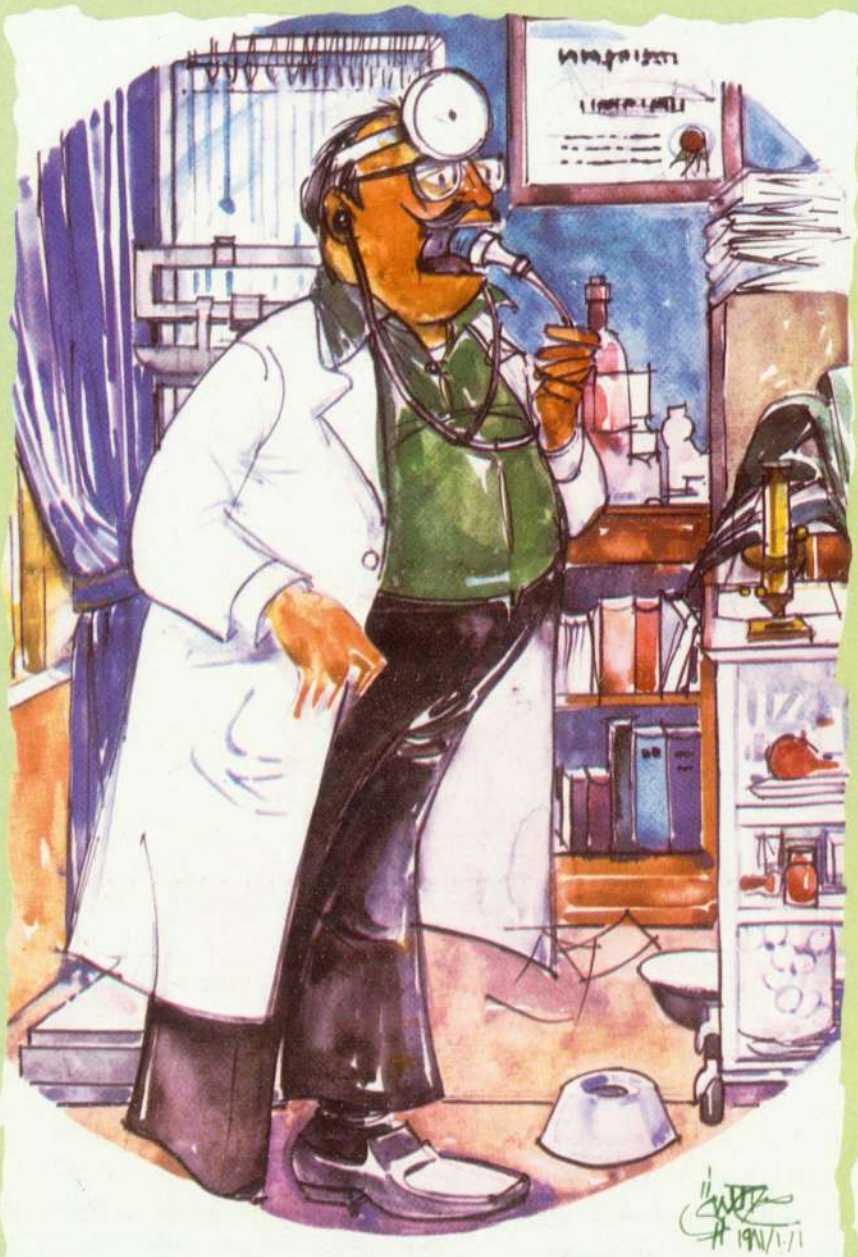
(الحر) نيران حرارة .. !!

حارس مـــرمى ـ .. الحارس الله .. !!





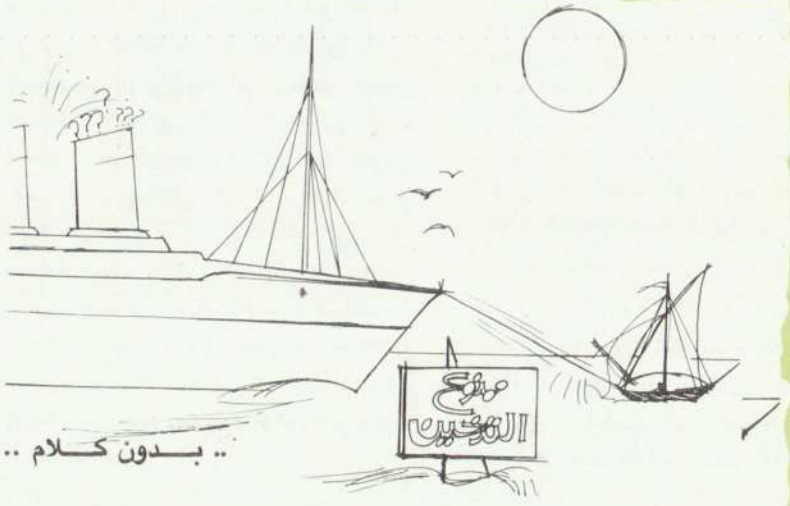
طبيب لأخوه الغلبان ـ دى اخر مرة اسالك عن الصحة .. وبعدها حضطر اعالجك بفلوس .. !!



.. طبيب ـ .. اهلا .. ازيك يا روحى .. !!



ست ـ .. مالهم .. أهله !!



.. بـدون كـلام ..



قطع من الشطرنج من القرن الثانى عشر تم العثور عليها فى اسكتلندا

الشطرنج .. حرب سلميّة

بقلم : إبراهيم السمّان

لقد اختلفت الروايات فى معرفة تاريخ الشطرنج ، فنسب تارة الى القائد الاغريقي (باليداس) فى حصار طروادة ، ومن المؤرخين من نسبه الى الكلدانيين او الاشوريين او الفراعنة ، وذكر المؤرخ السويسرى «ليوبولد دى سوسور» أن الشطرنج من اختراع الصين فى القرن العاشر قبل الميلاد .. وقد عثر علماء الآثار السوفيتيون على أحجار شطرنج يعود تاريخها الى القرن الثانى بعد الميلاد ومنها حجر على هيئة فيل وآخر على هيئة ثور

على أن العلماء المعاصرين يجزمون بأن الشطرنج هو اختراع هندى . معتمدين فى ذلك على مصادر الثقافة العربية الاسلامية التى أكدت أن مخترعه هو «صصه بن داهر البرهمى الهندى» . وانه وضعه فى القرن السادس الميلادى . فقد قال المسعودى إن «صصة» وضعه للملك «بلهيث» وجعل احجار الشطرنج على صورة آدميين وغيرهم من الحيوان وجعلهم درجات ومراتب قد يظن أنها صور البروج .. وقال الزمخشرى « ان ملوك الهند كانوا حكماء لايريدون القتال وإراقة الدماء فوضعوا الشطرنج ، وكانوا اذا تنازع ملكان اصطف الجيشان وتقابل الفريقان وتقدم الملكان فلعبا فى موقع المعركة بالشطرنج فمن غلب استولى على الشيء المتنازع عليه من غير قتال» وذكر اليعقوبى أن فضائل الهند ثلاث : «الشطرنج ، وكليلة ودمنة ، وتسعة أحرف تجمع الحساب» .

وقد حظيت لعبة الشطرنج باهتمام بارز فى التاريخ العربى فحققت انتشارا واسعاً فى عهد الدولة الأموية والدولة العباسية ...

ومن الشخصيات العربية التى عنيت بهذا الفن ابو عثمان الجاحظ .

وأما الفيلسوف يعقوب بن اسحق الكندى فقد قال فى وصيته لولده «يابنى كن كلاعب الشطرنج مع الناس تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم، فان مالك اذا خرج من يديك لم يعد اليك» .

وقد ورد كثير من شعر العرب فى وصف الشطرنج كاشارة الشاعر صفى الدين الحلي فى قصيدته القومية المشهورة :

سلى الرماح العوالى عن معالينا
واستشهدى البيض هل خاب الرجا فينا

والتى جاء فيها :

بيادق ظفرت أيدى الرخاخ بها
ولو تركناهم صاروا فرازينا

ومن درر الشعر العربى فى الشطرنج قول الشيخ جمال الدين بن نباته :

أفديه لاعب شطرنج قد اجتمعت
فى حسنه من معانى الحسن اشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة
والخد فيه لقتل النفس شامات

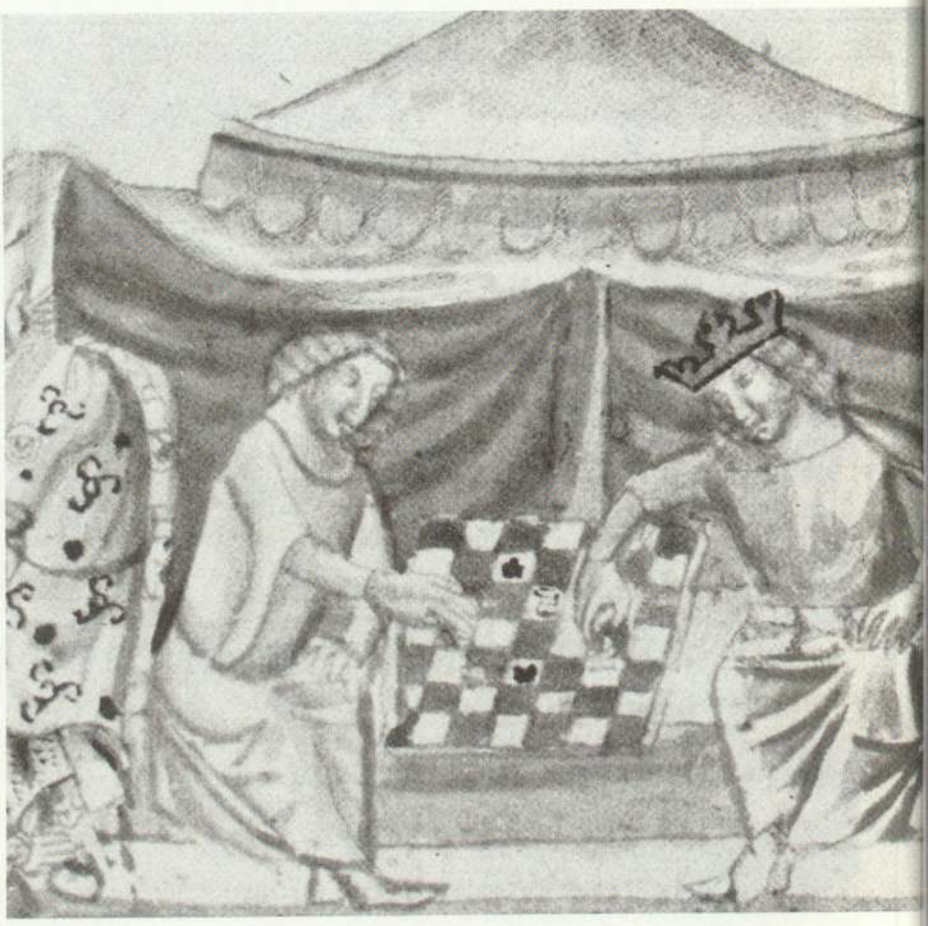
وذكر الثعالبى فى «يتيمة الدهر» أخباراً عن مشاركة ابى العلاء المعرى فى لعبة الشطرنج فقال على لسان الشاعر المصيصى «رأيت بمعرة النعمان عجباً من العجب رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب الشطرنج ويدخل فى كل فن من الجد والهزل ، يكنى ابو العلاء» .

●●

ومن الشطرنجيين الذين لمعت اسماؤهم فى التاريخ العربى أحمد بن يحيى بن ابى بكر بن ابى حجلة التلمسانى ، شهاب الدين ابو العباس (٧٢٥ ـ ٧٧٦ هـ) الذى ولد فى تلمسان ثم رحل الى دمشق ثم انتقل الى القاهرة واشتغل بالأدب وولع به ثم ولى مشيخة الصوفية بصهريج منجك بظاهر القاهرة ومات فيها . وقد صنف أكثر من ثمانين كتاباً فى شتى فنون المعرفة والعلوم وأشهرها (ديوان الصبابة) ، و (منطق الطير) وقد عالج فيها أمور الشطرنج .

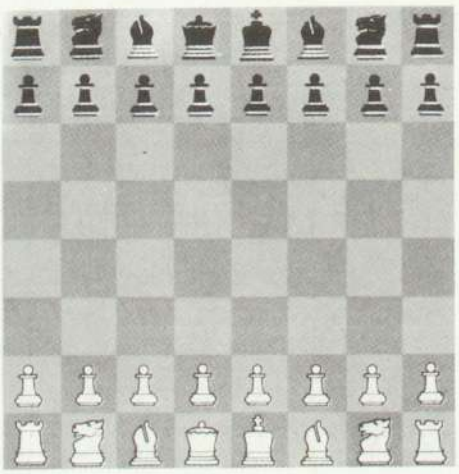
وقد تألق فى الأندلس نجم شطرنجى هو ابو زيد محمد بن عمار وهو شاعر كبير وقد لاعب ملك قشتالة الفونس فغلبه .

وقد ذكر مستشرق اسمه كرجكوفسكى أن فى متحف أرميتاج فى لينغراد كتاباً



مباراة بين الملك والملكة فى ايطاليا فى القرن الثانى عشر

هكذا يرتبون قطع الشطرنج قبل المباراة



عربى المنشأ فيه صور لشتى الالعاب يمثل الحياة فى زمن الفونس الذى كان من أكبر دعاة الثقافة الاسلامية فى اسبانيا . وكان للشطرنج مكانة كبيرة بين مخلفات الاسلام ، ويرجع الشطرنج الأوروبى فى أصله الى الشطرنج الذى نقلته أوروبا عن المسلمين ، ذلك أن لعبة الشطرنج تمثل لوناً من الوان النشاط الفكرى . ومن الذين اشتهروا بالشطرنج فى الاندلس الوزير والاديب الشاعر تمام ابن عامر الثقفى .

●●

وقد حظى الشطرنج بقسط وافر فى ادب العرب : نثرهم وشعرهم . ففى الأرجوزة الشطرنجية يقول الشاعر مهدى البغدادى المتوفى عام ١٣٢٧هـ .

إياك والسرعة فى المحاربه
لتدرك المراد فى المغالبه
يلزم للشطرنج أن يصطنعا
بيتا ثمانيا له مربعا
مجموعه الستون بعد الأربعه
وكل ابيات له مربعه
ونصفها يصبغ بالسواد
على اختلاف لاعلى اتحاد
وفى البياض منه يبقى نصف
وكل وجه فيه صف

إلى آخر الأرجوزة التى يصف فيها بدقة، وفن لعبة الشطرنج .

ولعبة الشطرنج هى حرب بين جيشين يجرى فيها كل مايقع فى الحرب من هجوم ودفاع وخدعة ومبادرة وتكتيك وفيها هزيمة وانتصار وتعادل وهدنة وصلح ! ولكنها حرب سلمية ، إذا جاز هذا التعبير ، بين فكرين ساحتها الرقعة وجنودها القطع وقادتها اللاعبون..؟؟ وهى صراع فكرى يسهم فيه الذكاء والدهاء والفن والعلم. وقد اهتم بهذه اللعبة معظم شعوب العالم المتقدم في الشرق والغرب فقامت فيها أندية وجمعيات الشطرنج ، وألفت حولها الكتب . وأسست فى بعض الدول جامعات وطنية ترعى شؤون الشطرنجيين وتنظم لهم المباريات وتمنحهم الجوائز والمكافآت . كما أنشىء لتحاد دولى للشطرنج فى باريس عام ١٩٢٤ تحت شعار (نحن اسرة واحدة) .

●●

ومن طريف ما يروى ، دلالة على مدى ارتباط هذه اللعبة بالذكاء أن الملك الهندى اراد مكافاة الحكيم «صصه» مخترع الشطرنج ، فطلب المخترع طلباً متواضعاً هو أن توضع له حبة قمح واحدة على المربع الأول من الرقعة ثم تضاعف بمتوالية ١ ـ ٢ ـ ٤ ـ ٨ ـ ١٦ ـ الخ .

وقد استهان الملك الهندى بالطلب . ولكن عند التنفيذ وبعد الحساب الدقيق تبين أن المخترع قد طلب ما يعادل محصول الكرة الأرضية لو زرعت جميعها قمحاً بعد تجفيف بحارها وتسوية جبالها لمدة ستة الاف عام؟؟ هذا على ذمة الراوي !! ومن يشك فى صحة هذا التقدير فليحسب .. اذا ما اتسع وقته .. وصدوره !!

ابراهيم السمان
عمان ـ الأردن



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

حاول أن تعرف



(صورة ١) عاصمة دولة أوروبية صغيرة ، لا يتجاوز عدد سكانها سبعة ملايين نسمة ، يمر فى أرضها نهر مشهور ، تشتهر بالمهرجانات الفنية وعلى الأخص الموسيقية .

ما اسم العاصمة واسم النهر ؟

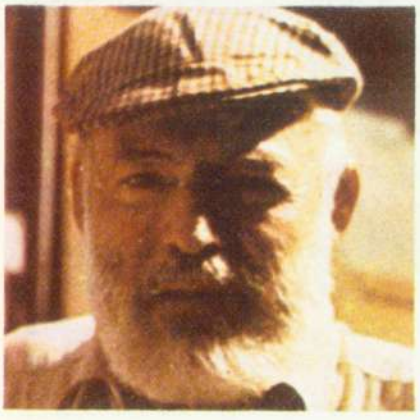


(صورة ٢) مغنية أوبرا شهيرة ، يونانية الأصل ، أمريكية الجنسية ، درست الموسيقى فى كونسرفتوار أثينا ثم بنيويورك ، وقد بدأت شهرتها عام ١٩٤٧ ، وظلت حتى موتها أشهر مغنية أوبرا فى العالم تؤدى «السوبرانو» .. من هي ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٧١



الصورة الأولى :
ساحة الأسود بقصر الحمراء بقرطبة ، بدأ بناؤها عام ١٣٥٤ م .
ـ مختار خلفى ـ تونس
ـ هيثم بن فهد ـ الرياض



الصورة الثانية :
الروائى الأمريكى أرنست همنجواى مات منتحراً بالرصاص عام ١٩٦١ .
ـ محمد اسحق عبد الله ـ السعودية
ـ منيرة حامد أحمد ـ ج . م . ع

من يملك السعادة

غاضب الرجل زوجته وقال لها متوعداً لأشقينك ، فقالت فى هدوء .. ليس فى مقدورك أن تشقيني ، فقال لها وكيف ذلك ؟ .. قالت .. لو كانت السعادة فى مال لحرمتنى منه ، أو فى حلى لمنعته عنى ، ولكنها فى شىء لا تملكه أنت ولا الناس ، .. إنى أجد سعادتى فى ايمانى ، ايمانى فى قلبى ، وقلبى لا سلطان لأحد عليه غير ربى .

محمد فارس عبد المنعم
القاهرة

قالوا في كتمان السّر



قال علي كرم الله وجهه ، سرك أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره .

وقال عمر بن عبد العزيز ، القلوب أوعية والشفاة أقفالها والألسن مفاتيحها . فليحفظ كل انسان مفتاح سره .

وقال عمرو بن العاص : إذا أفشيت سرى إلى صديقي فأذاعه ، كان اللوم علي لا عليه ... قيل له وكيف ذلك ، قال : لأني كنت أولى بصيانته منه .

وقال الشاعر :

صن السر عن كل مستصحب
وحاذر فما الرأى إلا الحذر
أسيرك سرك إن صنته
وأنت أسيرله إن ظهر

وقال غيره :

كل علم ليس فى القرطاس ضاع
كل سر جاوز الاثنين شاع

وقال شاعر ثالث :

إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه
فصدر الذى يستودع السر اضيق

محمد مهدي النسعة
عمان ـ العبدلي

لقطة الشهر



عازف الجيتار

فازت بالجائزة وقدرها مائة ريال القارئة السيدة ابراهيم محمد ـ قطر

الطفل المعجزة



طفل صينى فى الحادية عشرة من عمره ، يرى بعينيه ماتراه أشعة «إكس» أو الأشعة السينية ، فهو بامكانه أن يرى القلب والرئتين والكبد ، وكل الأعضاء الداخلية بجسم الانسان .

هذا الطفل المعجزة اسمه «تشي زوهوى» يعيش فى مدينة «وان» بجنوب الصين ، وقد أجرى عليه الأطباء كثيراً من التجارب لمعرفة صحة ما يقوله ، وأثناء التجارب دخلت سيدة «حامل» فنظر اليها وقال أنه يرى طفلين .. وبعدها وضعت السيدة توأمين .. وحتى الآن لا يستطيع الأطباء التوصل لحل هذه المعجزة علمياً !

عبد الملك حمواشو
تطوان ـ المغرب



دوحة القراء

مسابقة الدوحة ؟ ؟

يرجى من الاصدقاء ان يكتبوا اسماءهم وعناوينهم بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

مَن ؟	أين ؟	ما ؟
عالم رياضيات مسلم عبقري كان له الفضل فى انشاء اساس الجداول المعروفة باسمه المكون من تسعة احرف : ٥ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٨ ـ ٦ ام الكبائر ٧ ـ ١ ـ ٤ ـ ٩ مدبب الحواف	مدينة عربية حدودية شهدت حروبا ولازالت فى حاجة إلى تحرير ، واشتهرت أيام نابليون . اسمها من كلمتين فى سبعة أحرف : ٣ ـ ٧ ـ ٦ ـ ٢ ـ ٧ حيوان مضحك . ٢ ـ ١ ـ ٥ ـ ٤ ذو قرابة .	خلق رفيع لا تفقده أية جماعة بشرية إلا وهوت فى أوحال الرذيلة والغش والفساد اسمه من خمسة أحرف : ٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ٢ فعل أمر بمعنى اقبل . ١ ـ ٤ من عقوق الوالدين

الإجابة الصحيحة

١ ـ ابنة السلطان الملتاث خمارويه ، والتى جهزها لزفافها من الخليفة المعتضد جهازاً ادى إلى خراب الدولة وجوع الرعايا وانتشار الثورات ، كان اسمها :
جمانة ـ قطر الندى ـ قطقوطة بسبوسة .

٢ ـ جاء ذكر الزيتون فى القرآن الكريم :
ست مرات ـ ثلاث مرات ـ مرتين

٣ ـ الهيئة البرلمانية فى دولة قطر تسمى :
مجلس الاعيان ـ مجلس النواب ـ مجلس الشورى

٤ ـ المادة المنبهة فى الشاي هي مادة :
الكفايين ـ الثيامين ـ الهيوسيامين .

٥ ـ أول من اكتشف تأثر أملاح الفضة بضوء الشمس ؛ فكان ذلك فاتحة التفكير فى التصوير الفوتوغرافي المعروف ؛ هم :
الاغريق ـ العرب ـ الهنود الحمر

٦ ـ العدوان الذى شنته بريطانيا وفرنسا بالاتفاق مع اسرائيل على مصر وسمي بالعدوان الثلاثي كان بتاريخ :
١٩٤٨/١١/٢٩
١٩٥٦/١٠/٢٩
١٩٥٨/٩/٢٩

٧ ـ « تنتقل عدوى الملاريا باستعمال ثياب المريض للسليم »
هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟

٨ ـ ولد الامام الشافعي رضي الله عنه فى البلدة العربية الفلسطينية :
القدس ـ يافا ـ عكا ـ صفد ـ غزة .

٩ ـ وطني لو شغلت بالخلد عنه
أكمل هذا البيت ولنسبه إلى قائله .

١٠ ـ تبلغ مساحة شبه جزيرة سيناء :
١٠١ ـ ٨١ ـ ٦١ الف كيلومتر مربع .

حل مسابقة "العدد ٧١

من : كافور
أين : الطائف
ما : الجهل .

الاجابة الصحيحة

١ ـ الاسترکنين
٢ ـ ٧٧ هـ
٣ ـ داود
٤ ـ هذا أوان الشد فاشتدى زيم
قد لفها الليل بسواق حطم
ليس بداع إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم
وزن الشعر يسمى : الرجز
٥ ـ الأزرق
٦ ـ غير صحيحة ، لأن العنبر يستخرج من أحد أنواع الحيتان بالمحيطات .
٧ ـ القرامطة
٨ ـ ٢٥٥ هـ
٩ ـ ابن منظور المصري .
١٠ ـ التانين

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة

القارىء : العمارتى محمد .
حومه المعطوبين رقم ٣٨/ شارع باب النوادر / تطوان / المغرب .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .

القارىء : غسان سامى نعيم حمود .
مدرسة ميرة الملك فيصل / ساحة المريجه .
مؤسسة غصيبه / ملك يوسف السباعى / بيروت .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة .

القارئة : لولوه شاهين المضحكي
منزل رقم ٣٩ شارع الشيخ خليفة بن محمد .
طريق رقم ٢٧٢٧/ منطقة رقم ٢٢٧/ البستين / المحرق / البحرين .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ منتصر خالد أبو عيشة الكويت
٢ ـ هيثم سعد الموسى الامارات
٣ـ وديع بن محمد سعيد الصابري تونس

٤ ـ ليلى ابراهيم زاهر ليبيا
٥ـ محمد أمين الكسم سوريا
٦ ـ مصطفى فزاكة المغرب
٧ ـ ميسون عبد الهادي الأردن
٨ ـ خالد صلاح الدين عبد العزيز جمهورية مصر العربية

٩ ـ عبد الرحمن عبد العزيز الخطيب المملكة العربية السعودية

١٠ـ خير الدين المسعودى تونس
١١ـ فوزية محمد عياد مصر
١٢ ـ عيثم بن فهد السعودية

قرأت

لامعنى للحياة بلاكتاب!

كان سومرست موم الكاتب الانجليزى الشهير مولعاً بالقراءة ، وكان يخصص ست أو سبع ساعات يومياً لقراءة أحدث الكتب ، ولم تكن كتب الأدب والتاريخ وحدها التى تستهويه ، فقد كان مولعاً أيضاً بقراءة كل جديد فى الطب والعلوم . وقد ظل على عادته هذه حتى بعد أن جاوز الثمانين !

سألوه يوماً : «لقد نصحك الأطباء بالاقلال من القراءة ، فقد تعبت عيناك ، لماذا لاتترك الكتب جانباً ؟ ، أو تطلب الى سكرتيرتك أن تقرأ لك ؟»



وأجاب الكاتب الكبير وشبح ابتسامة ترتسم على شفتيه : «انكم كمن جاء يطلب منى أن أعيش بلا غذاء أو أن أكتفى بما تأكل سكرتيرتى لأشبع أنا . لا ، لن أكف عن القراءة مهما تعبت عيناى ، لا لأننى أريد أن أشبع فحسب ، بل لأننى أحس بعد قراءة كل كتاب جديد أن أسلوبى فى الكتابة قد تحسن !!» .

محمد حسام الدين مراد
جمهورية مصر العربية ـ الزقازيق

سمعت

أول الخيوط حول التحنيط



لاتزال اسرار التحنيط عند الفراعنة ـ تحير كثيراً من علماء الاثار والباحثين .

ولكن أخيراً ـ أعلن فريق من أساتذة كلية الصيدلة بجامعة أسيوط أنهم وضعوا ايديهم على أول خيوط كشف سر تحنيط المومياء .

أثبتت الابحاث العلمية أن نسيج «الكتان» الذى تلف به المومياء تعطى المرونة للجسم ، وتتحمل درجات الحرارة والرطوبة .

وأن المواد الحافظة تتضمن : القطران والصمغ العربى والقرفة والصبر والحنظل والمر ـ وكلها مواد تعمل على سد مسام الجسم ، وقتل الميكروبات الداخلية لجسم المومياء ، وبالتالى يحتفظ الجسم بمعالمه .. وما زالت الابحاث مستمرة فى هذا الشأن .

مهندس زراعى / السيد محمد شفيق
القاهرة ـ مصر

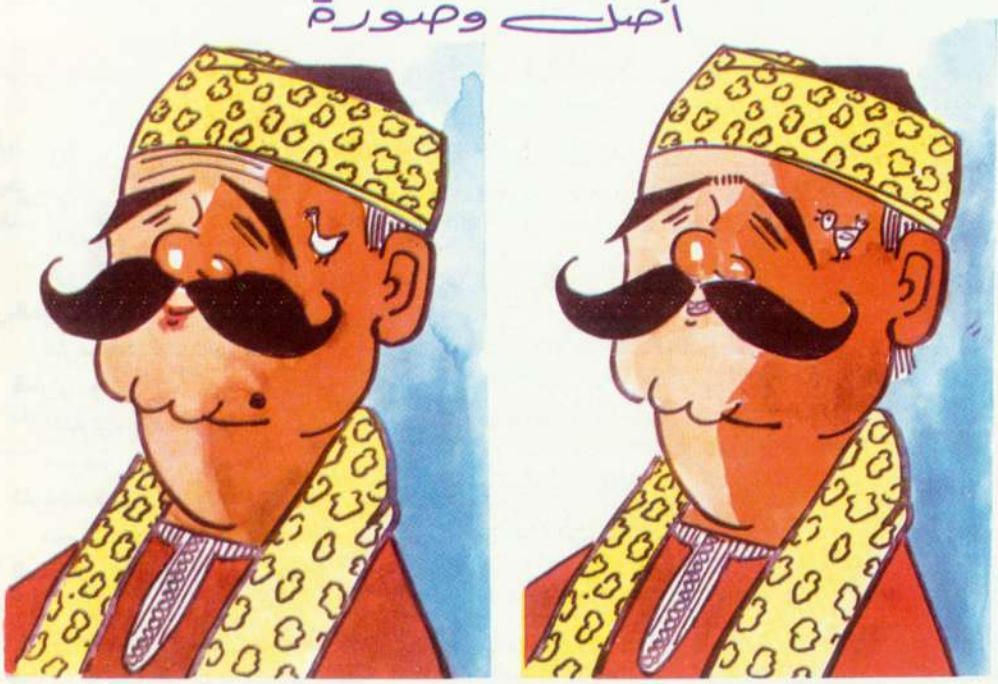


استراحة الدوحة!

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف

أصل وصورة



هناك سبع اختلافات بين أصل وصورة فنان الكوميديا المعلم محمد رضا .. هل تستطيع التعرف عليها

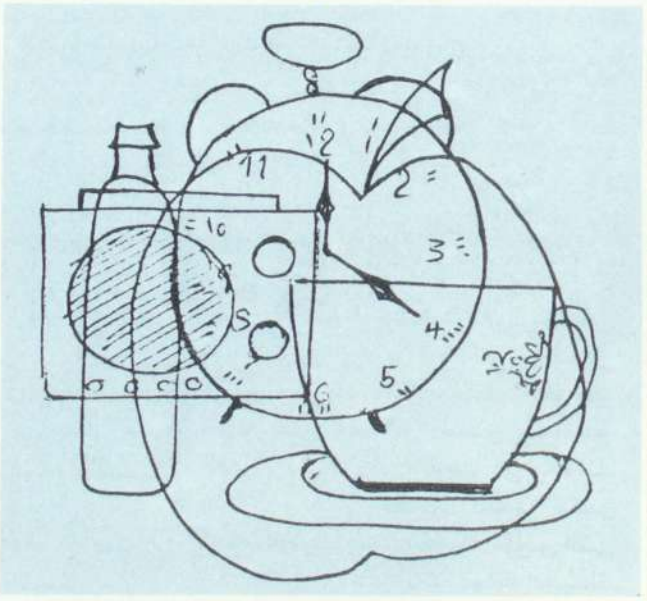
(الجائزة ٦٠ ريال)

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب الهدف ، وما رقم فانلته بدون الاستعانة بالقلم او أصبعك ؟ .. إذا استطعت فجائزتك هى شهادة منا بانك قوى التركيز والملاحظة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



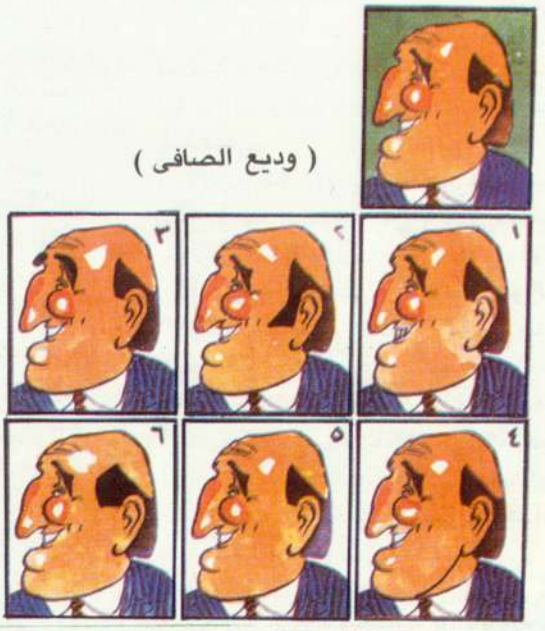
امامك رســـوم لستة اشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصـــل على جائزة (٦٠ ريال) .

لوحـة لم تتـم!



هذه اللوحة لشاعر عربى كبير ، لميستطع الرسام أن يكملها لرغبته الشديدة فى أن تكملها بنفسك وتتعرف على شخصية هذا الشاعر لتفوز بجائزة (٦٠ ريال) .

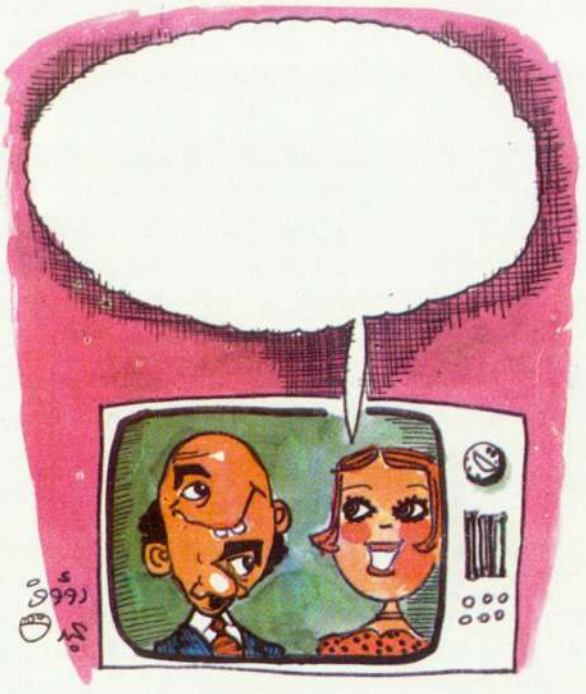
يخلق من الشبه أربعين



(وديع الصافى)

الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون مطرب للغتربين .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف على اللوحة .. الجائزة (٦٠ ريال) .

هات أجمل تعليق



هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريال) .

الورقة الأخيرة

أول إنسان عربى قال الشعر من هـــو ؟

بقلم: حـــامد بـــــدر

كيف نشأ الشعر ؟ وأين ؟ ومتى ؟

أسئلة يستقبلها الذهن ، ويبحث لها عن جواب .

والجواب البسيط المرتجل الذى لا يرد عليه اعتراض ، ولا يحتاج إلى تنقيب فى مراجع الأدب والتاريخ ، هو أن الشعر نشأ مع الانسان من كل جنس وكل لسان ، فى كل زمان ومكان .

وهذا الجواب لا يتفق مع ما زعمـــه الجاحظ ، قال فى الجزء الأول من كتابه (الحيوان) :

« .. وأما الشعر فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله ، وسهل الطريق إليه امرؤ القيس بن حجر ومهلهل بن ربيعة ... فاذا استظهرنا الشعر وجدنا له ـ إلى أن جاء الله بالاسلام ـ خمسين ومائة عام ، واذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام »

ولو قال: إن أول شعر جاهلي جيد وصل إلينا كان للمهلهل وأمرىء القيس ، لمـــا ورد على هذا القول اعتراض ، فهو قول لا يمنع أن للعرب الجاهليين قبل هذين الشاعرين شعراً كان نصيبه الضياع ، فليس ما وصل إلينا من شعر هو كل ما قيل ، وليس هو أقدم ما قيل . بل لابد أنه مسبوق بشعر أكثر منه قدماً ، وأقل حظاً من التهذيب والصقل . فشعر المهلهل وامرؤ القيس وصل إلينا بعد شعر جاهلى أكثر قدماً ، وبعد مراحل وتجارب انتهى منها إلى هذا المستوى من الجودة

لابد أن هذين الشاعرين قد ســـبقا بشعـــراء كثيريـــن مجهوليـــن ذهبـــت أسماؤهم نسياً منسياً كالآف الدين لم يعرفهم التاريخ ولم يعرفوه ، ولابد أن هذا الشعر الذى وعاه الحفاظ ، ودونه المدونون قد سبق بشعر كثير لم ينل حظاً من الحفظ والتدوين فأودى به الضياع .

ولاشك أن للشعر العربى بذوراً نبتت ونمت فى وطنها الأول وهو الجزيرة العربية ، وفي عهدها الأول وهو العصر الجاهلى . أمـــا كيف كانت تلك البذور ، وكيف تعمقت جذورها وبسقت سيقانها ، والتفت أغصانها ، وأينعت ثمارها .. فمن البدهيات أن البذور لكى تنبت وتنمو تحتاج إلى التربة والماء والمناخ ، فهى تتغذى بالتربة ، وترتوى بالماء ، وتشب وتترعرع فى المناخ الصالح ، حتى تصير شجرة صغيرة ، أو شجرة باسقة ، أو دوحة وارفة الظلال . فلا مانع لدينا من وجود تلك البذور والجذور قبل المهلهل وامرىء القيس.

لماذا لا يكون أول انسان عربى قال الشعر هو شاعر عاش قبل المهلهل وأمرىء القيس له مثل ما لهما من الطبع والوجدان ؟ من هو ذلك الشاعر العربى الأول ؟ .. لا نستطيع أن نعرف لأن حظوظ الشعراء من وسائل التاريخ والتدوين والرواية الصحيحة المتصلة لم تكن متكافئة فى كل زمان لاسيما العصر الذى عاش فيه ذلك الشاعر المجهول .

واذا كنا نشك فى بعض ما وصل إلينا من شعر منسوب إلى العصر الجاهلى ، نشك فى من نسب إليه،هل هو قائله أم وضعه غيره ، وهل قائله الحقيقى جاهلى أم اسلامى ؟ فلا ريب أننا عاجزون عن معرفة أول شاعر عربى ، وإن وجدنا فى أنفسنا الدليل على أن بذور الشـــعر الجاهلى موجودة قبل المهلهل وامرىء القيس .

وبنظرة بعيدة إلى الشعر عموماً ، لا إلى الشعر العربى فقط ، نجد أن الشعر والحياة صنوان ، فمن الناس من خلق بطبعه شاعراً ، لا فرق فى ذلك بين عربى وغير عربى . بل ان أى مخلوق فيه حياة واحساس ، ولديه القدرة على التعبير الجميل عن حياته واحساسه يمكن أن يكون شاعراً أو شبه شاعر .

ولو رجعنا بتفكيرنا إلى تصور النشأة الأولى للانسان ، والنشأة الأولى للشعر فقد لا نرى موجباً لافتراض الفاصل الزمنى بين النشأتين . وأكاد أجزم بأن أول شاعر هو أول انسان استطاع التعبير باللغة التى عرفها عن وجدانه وتأثره بالحياة تعبيراً صادقاً متقناً جميلاً مؤثراً . ومنذ اللحظة الأولى التى ولد فيها أول شاعر حتى نهاية الحيـــاة الدنيا لم يخل ولن يخلو جيل من شاعر أو شعراء .

وفى كل عصر من العصـــــور عاش شعراء من كل جنس ، ومن كل دين ، فهم مختلفون فى لغاتهم وعقائدهم وميولهم وأغراضهم . وهذا الاختلاف أمر طبيعى ما دام الشعر ترجمة للاحساس والطبع والوجدان .

فمن الأئمة شعراء ومن المتصوفة شعراء ، ومن الزنادقة شعراء . وقـــد تناول الشعر كل الأغراض الشريفة وغير الشريفة .

ولأن خاتم الأنبياء محمداً صلى الله عليه وسلم بعث بأبلغ وانقى دستور سماوى ، عصمه الله من الهوى والاثم والضلال ، وطهره من كل شائبة تدعو إلى الاتهام ، فلم يعلمه الشعر . قال سبحانه « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » صدق الله العظيم .

هل نستطيع بعد ما تقدم أن نحكم بأن البذور الأولى للشعر وجدت عند أول انسان لديه القدرة على تصوير وجدانه فى عبارات جميلة موزونة مؤثرة ؟

فان لم تكن تلك البذور الأولى قد وجدت عند أبينا الأول آدم عليه السلام ، فهى بلاشك قد وجدت عند أحد أبنائه السابقين إلى هذا الفن ، أو احدى بناته السابقات إليه منذ بدء الخليقة .



بيبسى

مشْـروب الجيـل الصَاعدْ



"لعبة الكتور"

للفنانة القطرية : أمينة كاظم

عن مجلة "الجامعية" التي يصدرها مكتب خريجات جامعة قطر